شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

الجزء الرابع عشر

مؤسسة اسماعيليان
للطباعة والنشر والتوزيع
قم ايران - تلفون ٢٥٢١٢

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

باب
الکتب والرسائل

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد العدل

الأصل :

باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام ورسائله إلى أعدائه وأولياء[1] بلاده، ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله ووصاياه لأولاده وأصحابه

الشرح :

لمّا فرغ من إيراد المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكلامه الجارى مجرى الخطب من المواعظ والزواجر ، شرع في إيراد بابٍ من مختار كلامه عليه السلام ، وهو ما كان جارياً مجرى الرسائل والكتب ، ويدخل في ذلك العهود والوصايا . وقد أورد في هذا الباب ماهو بالباب الأوّل أشبه، نحو كلامه عليه السلام لشُرَيح القاضي لما اشترى دارا، وكلامه لشريح بن هانئ لما جعله على مقدّمته إلى الشام .

وسمي ما يكتب للولاة عهدا اشتقاقا من قولهم : عهدت إلى فلان ، أي أوصيته .

---

(١) ا : « وأمراء بلاده » .

(١)

الأصل :

من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة :

مِنْ عبدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ ، جَبْهَةِ الْأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ.
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ .
إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ ، فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ وَأُقِلُّ(١) عِتَابَهُ ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنَ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ . وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِينَ ، وَلَا مُجْبَرِينَ ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ .
وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا ، وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمِرْجَلِ ، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ ، فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ . إِنْ شَاءَ اللهُ .

* * *

الشرح :

قوله : « جبهة الأنصار » ؛ يمكن أن يريد جماعة الأنصار ، فإنّ الجبهة فى اللغة الجماعة ، ويمكن أن يريد به سادة الأنصار وأشرافهم ، لأنّ جبهة الإنسان أعلى أعضائه ، وليس يريد بالأنصار هاهنا بنى قيلة(٢) ، بل الأنصار هاهنا الأعوان .

---

(١) مخطوطه النهج : « فأقل » . (٢) هى قبيلة أم الأوس والخزرج .

قوله عليه السلام : « وسَنام العرب »؛ أى أهل الرفعة والعلوّ منهم ، لأنّ السّنام أعلى أعضاء البعير .

قوله عليه السلام : « أكثر استعتابه وأقلّ عتابه » ، الاستعتاب: طلب العُتْبَى، وهى الرّضا ، قال : كنت أكثر طلبَ رضاه ، وأقل عتابه وتعنيفه على الأمور ، وأمّا طلحة والزبير فكانا شديدين عليه .

والوجيف : سير سريع ، وهـذا مَثَلٌ للمشمرين[1] فى الطعن عليه ، حتى إنّ السّير السريع أبطأ ما يسيران فى أمره ، والخِداء العنيف أرفق مايحرّضان به عليه .

ودار الهجرة : المدينة .

وقوله : «قد قلعت بأهلها وقلعوا بها» ، الباء هاهنا زائدة فى أحد الموضعين ، وهو الأول، ومعنى « من » فى الثانى ، يقول : فارقت أهلها وفارقوها ، ومنه قولهم : «هذا منزل قلعة» أى ليس بمستوطن .

وجاشت : اضطربت . والمِرْجل : القِدْر .

ومن لطيف الكلام قوله عليه السلام : «فكنت رجلا من المهاجرين » ،فإنّ فى ذلك من التخلّص والتبرّى مالا يخفى على المتأمّل،ألا ترى أنّه لم يبق عليه فى ذلك حجّة لطاعن ، حيث كان قد جعل نفسه كواحدٍ من عُرْض المهاجرين ، الذين بنفرٍ يسير منهم انعقدت خلافة أبى بكر ،وهم أهل الحلّ والعقد ، وإنما كان الإجماع حجّةً لدخولهم فيه .

ومن لطيف الكلام أيضا قوله : « فأتيح له قوم قتلوه » ، ولم يقل : « أتاح الله له قوما» ، ولا قال : « أتاح له الشيطان قوماً » ، وجعل الأمر مبهما .

وقد ذكر أنّ خط الرضىّ رحمه الله « مستكرِهين » بكسر الراء ، والفتح أحسن وأصوب ، وإن كان قد جاء : استكرهتُ الشىء بمعنى كرهته .

---

(١) ا: « وهذا مثل فى العرب للمشمر فى الطاعن عليه » .

وقال الراوندىّ : المراد بدار الهجرة هاهنا الكوفة التى هاجر أمير المؤمنين عليه السلام إليها ، وليس بصحيح ، بل المراد المدينة ،وسياق الكلام يقتضى ذلك ، ولأنّه كان حين كتب هذا الكتاب إلى أهل الكوفة بعيداً عنهم ، فكيف يكتب إليهم يخبرهم عن أنفسهم .

* * *

[أخبار علىّ عند مسيره إلى البصرة ، ورسله إلى أهل الكوفة]

وروى محمّد بن إسحاق عن عمّه عبد الرحمن بن يسار القرشىّ ، قال : لمّا نزل علىّ عليه السلام الرّبذة متوجّها إلى البصرة بعث إلى الكوفة محمّد بن جعفر بن أبى طالب ومحمد بن أبى بكر الصديق ، وكتب إليهم هذا الكتاب ، وزاد فى آخره :

فحسبى بكم إخواناً ، وللدّين أنصاراً ، فـ ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وروى أبو مخنف ، قال : حدّثنى الصّقعب ، قال : سمعتُ عبد الله بن جُنادة يحدّث أنّ عليا عليه السلام لمّا نزل الرّبذة بعث هاشم بن عُتبة بن أبى وقّاص إلى أبى موسى الأشعرىّ ، وهو الأمير يومئذ على الكوفة ، لينفر إليه النّاس ، وكتب إليه معه :

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس . أمّا بعد ، فإنّى قد بعثت إليك هاشم بن عُتبة لتشخص إلىّ مَنْ قِبَلك من المسلمين ليتوجّهوا إلى قوم نكثوا بيعتى ، وقتلوا شيعتى ، وأحدثوا فى الإسلام هذا الحدث العظيم ، فاشخص بالنّاس إلىّ معه حين يقدم عليك ، فإنى لم أولّك المصر الّذى أنت فيه ، ولم أقرّك عليه إلّا لتكون من أعوانى على الحقّ ، وأنصارى على هذا الأمر ، والسّلام .

---

(١) سورة التوبة ٤١ .

فأما رواية محمد بن إسحاق فإنه قال : لمّا قدم محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر الكوفة ، استنفرا[1] النّاس ، فدخل قومٌ منهم على أبي موسى ليلًا ، فقالوا له : أشِرْ علينا برأيك فى الخروج مَعَ هذين الرجلين إلى عليّ عليه السلام ، فقال : أمّا سبيلُ الآخرة فالزموا بيوتكم ، وأمّا سبيلُ الدنيا فاشخصوا معهما . فمنع بذلك أهلَ الكوفة من الخروج. وبلغ ذلك المحمدَيْن ، فأغلظا لأبي موسى ، فقال أبو موسى : والله إنّ بيعة عثمان لفى عنق عليّ وعنقِي وأعناقكما ، ولو أردنا قتالًا ما كنّا لنبدأ بأحدٍ قبل قَتَلة عثمان . فخرجا من عنده ، فلحقا بعليّ عليه السلام ، فأخبراه الخبر .

وأمّا رواية أبي مِخنف ؛ فإنه قال : إنّ هاشم بن عُتْبة لمّا قدم الكوفة ، دعا أبوموسى السّائبَ بن مالك الأشعريّ ، فاستشاره ، فقال : اتّبع ما كتب به إليك . فأبى ذلك ، وحبس الكتاب ، وبعث إلى هاشم يتوعّده ويخوّفه .

قال السائب : فأتيتُ هاشما فأخبرتُه برأى أبى موسى ، فكتب إلى عليّ عليه السلام :

لعبد الله على أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة . أمّا بعدُ ياأميرَ المؤمنين ؛ فإنى قدمت بكتابك على أمرئ مشاقّ بعيد الوُدّ ، ظاهر الغلّ والشنآن ، فتهدّدنى بالسجن ، وخوّفنى بالقتل ، وقد كتبتُ إليك هذا الكتاب مع المحلّ بن خليفة ، أخى طيّئ ، وهو من شيعتك وأنصارك ، وعنده علمُ ماقبلنا ، فاسأله عمّا بدا لك ، واكتب إلىّ برأيك والسلام .

قال : فلما قدم المحلّ بكتاب هاشم على عليّ عليه السلام سلّم عليه ، ثم قال : الحمدُ لله الّذى أدّى الحقّ إلى أهله ، ووضعه موضعه؛ فكرّه ذلك قوم قد والله كرهوا نبوّة محمد صلى الله عليه وآله ، ثم بارزوه وجاهدوه ، فردّ الله عليهم كيدَهم فى نحورهم ، وجعل دائرة السّوْء عليهم . والله ياأميرَ المؤمنين لنجاهدنّهم معك فى كلّ موطن؛ حفظا لرسول الله صلى الله عليه وآله فى أهل بيته ، إذ صاروا أعداءً لهم بعده .

---

(١) ا : « واستنفرا » ، وما أثبته من ب .

فرحّب به عليّ عليه السلام ، وقال له خيرا ، ثم أجلسه إلى جانبه ، وقرأ كتاب هاشم ، وسأله عن النّاس وعن أبي موسى ، فقال : والله يا أميرَ المؤمنين ، ما أثقُ به ولا آمنه على خلافك ، إن وجد مَنْ يساعده على ذلك . فقال عليٌّ عليه السلام : والله ما كان عندي بمؤتمَن ولا ناصح ، ولقد أردت عزله فأتاني الأشتر ، فسألني أن أقرّه ، وذكر أنّ أهل الكوفة به راضون فأقررته .

* * *

وروى أبو مخنف ، قال : وبعث عليٌّ عليه السلام من الرَّبذة بعد وصول المحلّ بن حليفة ، (١أخي طيّئ١) ، عبدَ الله بن عباس ومحمدَ بن أبي بكر إلى أبي موسى ؛ وكتب معهما :

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس ، أمّا بعد يا ابن الحائك ، يا عاض أير أبيه ، فوالله إني كنت لأرى أن بُعْدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلا ، ولا جعل لك فيه نصيبا ، سيمنعك من ردّ أمري والانتراء(٢) عليّ ، وقد بعثت إليك ابنَ عباس وابنَ أبي بكر فخلّهما والمصر وأهله ، واعتزل عملنا مدءوما مدحورا . فإن فعلت وإلّا فإنّي قد أمرتُهما أن ينابذاك على سواء ، إنّ الله لا يهدي كيدَ الخائنين . فإذا ظفرا عليك قطّعاك إربًا إربًا ، والسلام ، على مَنْ شكر النعمة ، ووفّى بالبيعة ، وعمل برجاء العاقبة .

قال أبو مخنف : فلمّا أبطأ ابنُ عباس وابنُ أبي بكر عن عليّ عليه السلام ، ولم يدرِ ما صنعا ، رحل عن الرَّبذة إلى ذي قارٍ فنزلها ، فلمّا نزل ذا قارٍ ، بعث إلى الكوفة الحسنَ ابنَه عليه السلام ، وعمّارَ بن ياسر وزيد بن صُوحان ، وقيسَ بن سعد بن عُبادة ، ومعهم كتاب إلى أهل الكوفة . فأقبلوا حتى كانوا بالقادسيّة ، فتلقّاهم النّاس ، فلما دخلوا الكوفة قرءوا كتاب عليّ ، وهو :

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين ، إلى مَنْ بالكوفة من المسلمين .

(١ - ١) ساقط من ب (٢) الانتراء : الوثوب

أمّا بعدُ ؛ فإنى خرجت مخرجى هذا إمّا ظالماً، وإمّا مظلوماً، وإما باغياً ، وإما مبغياً علىّ، فأنشد الله رجلاً بلغه كتابى هذا إلّا نفر إلىّ ، فإن كنتُ مظلوماً أعاننى ، وإن كنت ظالماً استعتبنى. والسلام .

قال : أبو مخنف : فحدّثنى موسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن أبيه ، قال : أقبلنا مع الحسن وعمّار بن ياسر من ذى قار ، حتى نزلنا القادسيّة ، فنزل الحسن وعمّار ، ونزلنا معهما ، فاجتبى عمّارٌ بحمائل سيفه ، ثم جعل يسأل الناس عن أهل الكوفة وعن حالهم ، ثم سمعتُه يقول : ما تركت فى نفسى حرّة أهمّ إلىّ من ألّا يكون نبشنا عثمان من قبره ، ثم أحرقناه بالنار .

قال : فلمّا دخل الحسن وعمّار الكوفة ، اجتمع إليهما الناس ، فقام حسن ، فاستنفر الناس ، فحمد الله وصلّى على رسوله ، ثم قال : أيّها الناس ، إنّا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنّة رسوله ، وإلى أفقه مَنْ تفقّه من المسلمين ، وأعدل مَنْ تعدّلون ، وأفضل من تفضّلون ، وأوفى مَنْ تبايعون ، مَنْ لم تعنه القرآن ، ولم تجهّله السنّة ، ولم تقعد به السابقة ، إلى مَنْ قرّبه الله تعالى إلى[1] رسوله قرابتين : قرابة الدين وقرابة الرّحم ، إلى مَنْ سبق الناس إلى كلّ مأثرة ، إلى مَنْ كفى الله به رسوله والناس متخاذلون ؛ فقرب منه وهم متباعدون ، وصلّى معه وهم مشركون ، وقاتل معه وهم منهزمون ، وآزر معه وهم محجمون ، وصدّقه وهم يكذّبون . إلى مَنْ لم تردّ له رواية ولا تكافأ به سابقة ، وهو يسألكم النصر ، ويدعوكم إلى الحقّ ، ويأمركم بالمسير إليه ، لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته ، وقتلوا أهلَ الصلاح من أصحابه ، ومثّلوا بعمّاله ، وانتهبوا بيت ماله . فاشخصوا إليه رحمكم الله ، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، واحضروا بما يحضر به الصالحون[2] .

قال أبو مخنف : حدثنى جابر بن يزيد ، قال حدثنى تميم بن حذيم الناجىّ ، قال : قدم علينا

(١) ا . « ورسوله »

(٢) تاريخ الطبرى . . .

الحسنُ بن على عليه السلام وعمّار بن ياسر ، يستمدان النّاس إلى عليّ عليه السلام ، ومعهما كتابه، فما فرغ من قراءة كتابه، قام الحسن ـ وهو فتى حَدَث ، والله إني لأرثى له من حداثة سنّه وصعوبة مقامه ـ فرماه النّاسُ بأبصارهم وهم يقولون : اللهمّ سدّد منطق ابن بنت نبيّنا ! فوضع يده على عمود ليتساند إليه ، وكان عليلا من شكوى به ، فقال. الحمدُ لله العزيز الجبّار ، الواحد القهّار، الكبير المتعال ، ﴿سواء منكم من أسرّ القول ومَنْ جهر به ومَنْ هو مستخفٍ بالليل وسارب بالنهار﴾. أحمده على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدّة ورخاء . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أمين عليها ومؤتمنه ، واختصّه برسالته ، وأنزل عليه وحيه ، واصطفاه على جميع خلقه ، وأرسله إلى الإنس والجنّ ، حين عُبدت الأوثان وأُطيع الشيطان ، وجُحِد الرحمن ، فصلّى الله عليه وعلى آله وعترته أفضل ما جرى المسلمين . أمّا بعد ، فإني لا أقول لكم إلّا ما تعرفون ، إن أميرَ المؤمنين علي بن أبي طالب ـ أرشدَ الله أمرَه ، وأعزّ نصره ـ يعني إليكم يدعوكم إلى الصواب ، وإلى العمل بالكتاب ، والجهاد في سبيل الله ، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون ، فإنّ في آجله ما تحبّون إن شاء الله . ولقد علمتم أنّ عليّاً صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده ، وإنه يومَ صدّق به لفي عاشرة من سنّه ، ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميعَ مشاهده . وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم ، ولم يزل رسولُ الله صلى الله عليه وآله راضياً عنه ، حتى غسّله بيده وعجّله وحده ، والملائكة أعوانه ، والفضل ابن عمّه ينقل إليه الماء ، ثم أدخله حفرته ، وأوصاه بقضاء دينه وعداته ، وغير ذلك من أموره ، كلّ ذلك من منّ الله عليه . ثم والله ما دعا إلى نفسه ، ولقد تداكّ الناس عليه تداكّ الإبل الهيم عند وُرودها ، فبايعوه طائعين ، ثم نكث منهم ناكثون بلا حدَثٍ أحدثه ، ولا خلافٍ أتاه ، حسداً له وبغياً عليه . فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته ، والجدّ والصبر والاستعانة بالله ،

والخوف إلى مادعاكم إليه أمير المؤمنين . عصمنا الله وإيّاكم بما عصم به أولياءه وأهل طاعته ، وألهمنا وإيّاكم تقواه ، وأعاننا وإيّاكم على جهاد أعدائه . وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

ثم مضى إلى الرُّحبة فهيّأ منزلا لأبيه أمير المؤمنين .

قال جابر : فقلت لتميم : كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه ؟ فقال : ولَمَا سقط عنّي من قوله أكثر ، ولقد حفظت بعض ما سمعت .

* * *

قال : ولمّا نزل علىّ عليه السلام ذا قار ، كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر : أمّا بعد ، فإني أخبرك أنّ علينا قد نزل ذا قار ، وأقام بها مرعوباً خائفاً مما بلغه من عُدّتنا وجماعتنا ، فهو بمنزلة الأشقر : إن تقدم عُقِر ، وإن تأخر نُحِر ، فدعت حفصة جواريَ لها يتغنّين ويضربن بالدفوف ، فأمرتهنّ أن يقلن في غنائهنّ : ما الخبر ما الخبر ، علىّ في السفر ، كالفرس الأشقر ، إن تقدم عُقِر ، وإن تأخر نُحِر .

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ، ويجتمعن لسماع ذلك الغناء

فبلغ أمّ كلثوم بنت علىّ عليه السلام ، فدنست جلابيبها ، ودخلت عليهنّ في هيئة متنكّرات ، ثم أسفرت عن وجهها ، فلمّا عرفنها خفصة خجلت ، واسترجعت ، فقالت أم كلثوم : لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم ، لقد تظاهرتما على أخيه من قبل ، فأنزل الله فيكما ما أنزل !

فقالت حفصة : كفى رحمك الله ، وأمرتْ بكتاب فمزّق ، واستغفرت الله .

قال أبو مخنف : روى هذا جرير بن يزيد ، عن الحكم ، ورواه الحسن بن دينار ، عن الحسن البصريّ .

وذكر الواقديّ مثل ذلك ، وذكر المدائنيّ أيضا مثله ، قال : فقال سهلُ بن حُنَيف في ذلك هذه الأشعار :

عَذَرْنَا الرِّجَالَ بحرْبِ الرِّجالِ ... فما للنساء وما للسِّبابِ !
أمَا حسبُنا ما أتينا به ؟ ... لكِ الخيرُ من هَتْكِ ذاكَ الحِجَابِ
ومخرجُها اليومَ مِنْ بيتِها ... يُعَرِّفُها الذَّنْبَ نَبْحُ الكِلابِ
إلى أن أتانا كتابٌ لها ... مشومٌ ، فيا قبحَ ذاكَ الكتابِ !

قال : فحدّثنا الكلبيّ ، عن أبي صالح أنّ عليا عليه السلام : لمّا نزل ذا قارٍ في قلّة من عسكره ، صعد الزُّبير منبر البصرة ، فقال : ألا أنف فارس أسير بهم إلى عليّ ، فأبيّته بياتا ، وأصبّحه صباحا ، قبل أن يأتيه المدد ! فلم يجبه أحدٌ ، فنزل واجماً ، وقال : هذه والله الفتنة التي كنّا نحدّث بها ! فقال له بعض مواليه : رحمك الله يا أبا عبد الله ! تسمّيها فتنة ثم تقاتل فيها ! فقال : ويحك ! والله إنا لنُبْصِر ثمّ لا نُصْبِر . فاسترجع المولى ثم خرج في اللّيل فارّا إلى عليّ عليه السلام ، فأخبره فقال : اللهمّ عليك به !

* * *

قال أبو مخنف : ولمّا فرغ الحسن بن عليّ عليه السلام من خطبته ، قام بعده عمّار ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على رسوله ، ثم قال : أيّها النّاس ، أخو نبيّكم وابن عمّه يستنفركم لنصر دين الله ، وقد بلاكم الله بحقّ دينكم ، وحرمة أمّكم ، فحق دينكم أوجبُ ، وحرمته أعظم . أيّها الناس ، عليكم بإمام لا يؤدّب ، وفقيه لا يعلّم ، وصاحب بأس لا ينكل ، وذي سابقة في الإسلام ليست لأحد ، وإنّكم لو قد حضرتموه بيّن لكم أمركم إن شاء الله .

قال : فلمّا سمع أبو موسى خطبة الحسن وعمّار ، قام فصعد المنبر ، وقال : الحمدُ لله الّذي أكرمنا بمحمّد ، فجمعنا بعد الفُرْقة ، وجعلنا إخواناً متحابّين بعد العداوة ، وحرّم علينا دماءنا وأموالنا ، قال الله سبحانه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة ١٨٨

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ﴾ [١] . فاتقوا الله عباد الله ، وضعوا أسلحتكم ، وكفّوا عن قتل إخوانكم .

أمّا بعد يا أهلَ الكوفة ، إن تطيعوا الله هادياً ، وتطيعوني ثانيا ، تكونوا حُرثومةً من جراثيم العرب ، يأوي إليكم المضطر ، ويأمَنُ فيكم الخائف . إنّ عليا إنّما يستنفركم لجهاد أمّتكم عائشة وطلحة والزّبير حواريّ رسول الله ومَنْ معهم من المسلمين ، وأنا أعلم بهذه الفِتَن أنّها إذا أقبلت شَبّهت ، وإذا أدبرت أسفرت ، إنّي أخاف عليكم أن يلتقي عارّان منكم فيقتتلا ثم يتركا كالأحلاس المنفوضة مجوةٍ من الأرض ، ثم يبقى رِخْرِخة [٢] من النّاس ، لا يأمُرُون بالمعروف ، ولا ينهَوْن عن منكر . إنها قد جاءتكم فتنة كافرة لا يدرى من أين تؤتى ! تترك الحليم حيران ! كأنّي أسمعُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله بالأمس يذكر الفِتَن ، فيقول : « أنت فيها يا عمّ خيرٌ منك قاعدا ، وأنت فيها جالساً خير منك قائما ، وأنت فيها قائماً خيرٌ منك ساعيا » . فثُلّوا سيوفكم وانصِلوا [٣] وقصموا رماحكم ، سهامَكم ، وقطّعوا أوتارَكم ، وحُلّوا قريشا عن رُشَح طَنقها ، وتراثَ ضَدْعها ، فمن فعلتْ فلأنفسها ما فعلت ، وإن أبت فعلى أعقابها ما جَنَتْ ، سمّها في أديمها . استصحوني ولا تستعشّوني ، وأطيعوني ولا تعصوني . يتبيّن لكم رشدُكم ، ويَضِلّ هذه الفتنة مَنْ حناها .

فقام إليه عمّار بن ياسر ، فقال : أنت سمعتَ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك ! قال : نعم هذه يدي بما قلت ، فقال : إن كنت صادقاً فإنما عَنَاك بذلك وحدك ، واتّحذ عليك الحجّة ، فالزم بيتك ولا تدخلنّ في الفتنة ، أما إنّي أشهدُ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر عليّا بقتال الناكثين ، وسمّى له فيهم مَنْ سمّى ، وأمره بقتال القاسطين ، وإن شئت لأحيمنّ لك شهودا يشهدون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة النساء ٩٣ (٢) الرخرخة : البقية ، وأصله في الماء .

(٣) أنصل السهم : أزال عنه النصل .

إنّما نهاك وحذّرك من الدخول فى الفتنة . ثم قال له : أعطنى يدك على ما سمعت ، فمدّ إليه يده ، فقال له عمّار : غبن الله مَنْ غالبه وجاهدهُ ! ثم جذبه فنزل عن المنبر .

* * *

وروى محمد بن جرير الطبرى فى " التاريخ " قال : لما أتى عليًّا عليه السلام الخبرُ وهو بالمدينة بأمْرِ عائشة وطلحة والزبير ، وأنّهم قد توجّهوا نحو العراق ، خرج يُبادر[1] ، وهو يرجو أن يدركهم ويردّهم ، فلمّا انتهى إلى الرَّبذة أتاه عنهم أنّهم قد أمعنوا ، فأقام بالرَّبذة أيّاماً ، وأتاه عنهم أنّهم يريدون البَصرة ، فسُرّ بذلك ، وقال : إنّ أهل الكوفة أشدُّ لى حُبًّا ، وفيهم رؤساء العرب وأعلامهم . فكتب إليهم : إنّى قد اخترتكم على الأمصار ، وإنى بالأثر[2] .

* * *

قال أبو جعفر محمد بن جرير رحمه الله : كتب عليٌّ عليه السلام من الرَّبذة إلى أهل الكوفة : أما بعد ، فإنى قد اخترتُكم ، وآثرت النزولَ بين أظهركم ، لما أعرف من مودّتكم وحبّكم لله ولرسوله ، فمن جاءنى ونصرنى فقد أجاب الحقّ ، وقضى الذى عليه .

قال أبو جعفر : فأوّلُ مَنْ بعثه عليٌّ عليه السلام من الرَّبذة إلى الكوفة محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر ، فجاء أهلُ الكوفة إلى أبى موسى ، وهو الأمير عليهم ليستشيروه[3] فى الخروج إلى عليّ بن أبى طالب عليه السلام ، فقال لهم : أمّا سبيلُ الآخرة فأنْ تقعدُوا وأمّا سبيلُ الدنيا فأن تخرجُوا .

وبلغ المحمدين قولُ أبى موسى الأشعرىّ ، فأتياه وأغلظا له ، فأغلظ لهما ، وقال :

---

(١) تاريخ الطبرى يبادرهم

(٢) تاريخ الطبرى ١ : ٣١٠٦

(٣) ب : « يستشيروه » .

لا يحلّ لك القتال مع عليّ حتى لا يبقى أحد من قتلة عثمان إلّا قتل حيث كان .

وقالت أخت عليّ بن عديّ ، من بنى عبد العُزّى بن عبد شمس ، وكان أخوها عليّ ابن عديّ من شيعة على عليه السلام ، وفى جملة عسكره :

لاهمّ فاعقر على حَمَلَهْ ولا تبارِكْ فى بعيرٍ حَمَلَهْ

* ألّا على بن عديّ ليس لَهْ [1] *

قال أبو جعفر : ثم أجمع علىّ عليه السلام على المسير من الرَبَذة إلى البصرة ، فقام إليه رفاعة بن رافع ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أىّ شىء تريد ؟ وأين تذهب بنا ؟ قال : أمّا الذى نريد وسوى فإصلاح ؛ إن قبلوا منّا وأجبنا إليه ، قال : فإن لم يقبلوا ، قال : ندعُوهم ونعطيهم من الحقّ ما نرجو أن يرضَوْا به [2] ، قال فإن لم يرضوا ، قال : نَدَعُهم ما تركونا : قال : فإن لم يتركونا ، قال : نمتنع منهم ، قال : فعم إذا .

وقام الحجّاج بن غَزِيّة الأنصارىّ ، فقال . والله يا أميرَ المؤمنين لأرضينّك بالفعل ، كما أرضيتَنى منذ اليوم بالقول . ثم قال :

دَرَاكِها دَرَاكِها قَبْلَ الفَوْتْ وامْرُرْ بنا واسمُ بِنا نحوَ الصَّوتْ

* لا وألتْ نفسى إن خفتُ الموتْ *

والله لننصرن الله عزّ وجلّ كما نصرنا أنصارا .

قال أبو جعفر رحمه الله : وسار علىّ عليه السلام نحو البَصْرة ، ورايتُه مع ابنه محمّد ابن الحنفيّة ، وعلى ميمنته عبدُ الله بن عباس ، وعلى ميسرته عُمَر بن أبى سَلَمة ، وعلىّ عليه السلام فى القلب على ناقة حَمْراء ، يقودُ فرسًا كُمَيْتا [3] . فتلقّاه بعَبيدٍ غلامٌ من

---

(١) تاريخ الطبرى ١ : ٣١٣٩ ، مع تصرف واختصار .

(٢) الطبرى : « وتعطيهم الحق وتصبر » .

(٣) الكميت من الخيل . الذى خالط حمرته قتوء ؛ أى سواد غير خالص .

بنى سعد بن ثعلبة ، يدعى مُرّة ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قيل : هـذا أمير المؤمنين ، فقال : سَفرةٌ قانية ، فيها دماء من نفوس فانية . فسمعها عليٌّ عليه السلام فدعاه ، فقال : ما اسمُك؟ قال: مُرّة ، قال: أمرَّ الله عيشك! أكاهن سائر اليوم؟ قال: بل عائف، فخلّى سبيله. ونزل بَفيْد فأتته أسدٌ وطيّئ ، فعرضوا عليه أنفسهم ، فقال : الزموا قراركم ، ففى المهاجرين كفاية .

وقدِم رجلٌ من الكوفة فَيْداً ، فأتى عليا عليه السلام ، فقال له : من الرّجل ؟ قال : عامر بن مطرّف ، قال : الليثى ؟ قال : الشَّيْبانىّ ، قال : أخبرنى عمّا وراءك ؟ قال : إن أردت الصّلح فأبو موسى صاحبُك ، وإن أردتَ القتال فأبو موسى ليس لك بصاحب. فقال عليه السلام : ما أريد إلّا الصلح إلّا أن يُردّ علينا[1]

قال أبو جعفر : وقدم عليه عُثمان بن حُنَيف ، وقد نتف طلحة والزبير شعرَ رأسه ولحيتَه وحاجبيْه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، بعثتنى ذا لحية ، وجئتك أمرد ، فقال : أصبت خيرا وأجرا . ثم قال : أيُّها النّاس ، إنّ طلحة والزُّبير بايعانى ، ثم نكثانى بيعتى ، وألّبا علىّ النّاس ، ومن العجَب انقيادهما لأبى بكر وعمر وخلافهما علىّ ، والله إنّهما ليعلمان أنّى لستُ بدونهما[2] . اللهمّ فاحلُل ما عَقَدا ، ولا تبرم ما أحكما فى أنفسها ، وأرِهما المساءة فيما قد عملا[3] .

قال أبو جعفر . وعاد محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر إلى علىّ عليه السلام ، فلقياه وقد انتهى إلى ذى قارٍ ، فأخبراه الخبر ، فقال علىّ عليه السلام لعبد الله بن العباس : اذهب أنت إلى الكوفة ، فادعُ أبا موسى إلى الطاعة ، وحَذِّره من العصيان والخلاف ، واستنفِر النّاس . فذهب عبد الله بن عباس حتى قدِم الكوفة ، فلقىَ أبا موسى ، واجتمع الرؤساء من أهل الكوفة فقام أبو موسى فخطبهم ، وقال : إنّ أصحابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم صحبُوه فى مواطن كثيرة ، فهم أعلم بالله ممّن لم يصحبْه ، وإنّ لكم علىّ حقًّا ،

(١) تاريخ الطبرى ١ : ٣١٤١ — ٣١٤٣ (٢) الطبرى : « بدون رجل » .
(٣) تاريخ الطبرى ١ : ٣١٤٣ ، ٣١٤٤ .

وأنا مؤدّيه إليكم ، أمر ألّا تستعفّوا بسلطان الله ، وألّا تختزنوا [على الله] وأن تأخذوا كلّ مَنْ قدم عليكم من أهل المدينة فى هذا الأمر ، فتردّوه إلى المدينة ، حتى تجتمع الأمّة على إمام ترتضى به ؛ إنها فتنة صمّاء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا خُرثومةً من خراثيم العرب ، أعمدوا سيوفكم ، وانصلوا أسنّتكم ، واقصدوا أوتار قسيّكم ، حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلىَ هذه الفتنة .

قال أبو جعفر رحمه الله : فرجع ابن عبّاس إلى علىّ عليه السلام ، فأخبره ، فدعا الحسنُ ابنَه عليه السلام وعمّار بن ياسر ، وأرسلهما إلى الكوفة ، فمّا قدماها كان أوّل مَنْ أتاهما مسروق بن الأجدَع ، فسلّم عليهما ، وأقبل على عمّار ، فقال : يا أبا اليقظان ، علامَ قتلتم أمير المؤمنين ؟ قال : على شتم أعراضنا ، وضرب أبشارنا قال : فوالله ماعاقبتم بمثل ماعوقبتم به ، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين . ثم خرج أبو موسى فلقىَ الحسن عليه السلام فضمّه إليه ، وقال لعمّار : يا أبا اليقظان ، أعدوتَ فيمن عدا على أمير المؤمنين[1] ، وأحللت نفسك مع الفجّار ؟ قال : لم أفعل ، ولِمَ تسوءنى ؟ فقطع عليهما الحسن ، وقال لأبى موسى : ياأبا موسى ، لم تثبّطُ الناس عنّا ، فوالله ما نُريد إلا الإصلاح ، وما مثل أمير المؤمنين يخاف على شىء ، قال أبو موسى : صدقت بأبى وأمّى ! ولكنّ المستشار مؤتمن ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ستكونُ فتنة[2] .. » وذكر تمام الحديث . فعصب عمار وساءه ذلك ، وقال : أيّها الناس ، إنّما قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله ذلك له خاصّة ، وقام رجلٌ من بنى تميم فقال لعمّار : اسكت أيّها العبد ! أنت أمس مع الوعاء ، وتسافه أميرنا اليوم ! وثار زيد بن صُوحان وطَنَقته ، « فتصروا لعمّار ، وجعل أبو موسى يكفّ الناس ويردعهم عن الفتنة . ثم انطلق حتى صعد المنبر ، وأقبل زيد بن صُوحان ومعه كتاب من عائشة إليه خاصّة ، وكتاب منها إلى أهل الكوفة عامّة ، تثبّطهم عن نصرة

(١) الصواب : « أعدوت فيمن عدا » (٢) تمة الحديث : « القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى والماشى خير من الراكب » .

عليّ ، وتأمرهم بلزوم الأرض ، وقال : أيّها الناس ، انظروا إلى هذه ، أُمِرَتْ أن تقرّ في بيتها ، وأُمِرنا نحن أن نقاتل ، حتى لا تكون فتنة ، فأمرتنا بما أُمِرتْ به ، وركبت ما أُمِرْنا به ، فقام إليه شَبَث بن رِبْعيّ فقال له : وما أنت وذاك أيها العُمانيّ الأحمق ! سرَقْتَ أمس بحَبُولاء فقطَعكَ الله ، ونسبتَ أم المؤمنين ! فقام زيد ، وشال يدَه المقطوعة وأومأ بيده إلى أبي موسى وهو على المِنبر ، وقال له : ياعبدَ الله بن قَيْس ، أتردّ الفرات عن أمواجِه ! دَعْ عنك مالست تدركه ، ثم قرأ : ﴿ الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا ... ﴾[1] الآيتين ، ثم نادى : سيرُوا إلى أمير المؤمنين وصراط سيّد المرسلين ، وانفِرُوا إليه أجمعين . وقام الحسن بن عليّ عليه السلام ، فقال : أيُّها الناس ، أجيبوا دعوةَ إمامكم ، وسيرُوا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر مَنْ ينفر إليه ، والله لأن يليه أولُو النّهى أمثلُ في العاجلة ، وخيرٌ في العاقبة ، فأجيبوا دعوتَنا ، وأعينونا على أمرنا ؛ أصلحكم الله !

وقام عبد خير فقال : ياأبا موسى ، أخبِرْني عن هذين الرجلين ، ألم يبايعا عليا ! قال : بلَى ، قال : أفأحدَث عليّ حدثا يحلّ به نقض بيعته . قال : لا أدري ، قال : لا دَرَيت ولا أتيت ! إذا كنت لا تدري فنحن تاركوك حتى تدري . أخبرني . هل تعلم أحداً خارجا عن هذه الفرق الأربع : عليّ بظهر الكوفة ، وطلحة والزبير بالبصرة ، ومعاوية بالشام ، وفرقة رابعة بالحجاز قعُود لا يجبى بهم فَيْء ، ولا يقاتَل بهم عدو ! فقال أبو موسى : أولئك خيرُ الناس ، قال عبد خير : اسكت ياأبا موسى ، فقد غلب عليك غشُّك[2] .

* * *

قال أبو جعفر : وأتت الأخبار عليًّا عليه السلام باختلاف الناس بالكوفة ، فقال للأشتر : أنت شفعتَ في أبي موسى أن أُقِرّه على الكوفة ، فاذهب فأصلِحْ ماأفسدتَ ،

(١) سورة العنكبوت ١ ـ ٣ (٢) تاريخ الطبري ١ : ٣١٤٦ ـ ٣١٤٢ مع تصرف واختصار .

فقام الأشتر ، فشخص نحو الكوفة ، فأقبل حتى دخلها والناس فى المسجد الأعظم ، فجعل لا يمرّ بقبيلة إلّا دعاهم ، وقال : اتّبعونى إلى القصر ، حتى وصل القصر ، فاقتحمه وأبو موسى يومئذ يخطب النّاس على المنبر ، ويثبّطهم ، وعن يخاطبه ، والحسن عليه السلام يقول : اعتزل عملنا وتنحّ عن منبرنا ، لا أمّ لك !

قال أبو جعفر : فروى أبو مريم الثقفىّ ، قال : والله إنّى لفى المسجد يومئذ إذ دخل علينا غلمان أبى موسى يشتدّون ويبادرون[1] أبا موسى : أيّها الأمير ، هذا الأشتر قد جاء ، فدخل القصر ، فصرنا وأخرجنا . فنزل أبو موسى من المنبر ، وجاء حتى دخل القصر ، فصاح به الأشتر : اخرج من قصرنا لا أمّ لك ، أخرج لفّ هنتك ! فوالله إنّك لمن المنافقين قديماً . قال : أجّلنى هذه العشيّة ، قال : قد أجّلتك ولا تبيتنّ فى القصر [الليلة][2] . ودخل النّاسُ ينتهبون متاعَ أبى موسى ، فسمع الأشتر ، وقال : إنّى قد أخرجتُه وعزلتُه عنكم ، فكفّ الناس حينئذ عنه[3] .

* * *

قال أبو جعفر : فروى الشعبىّ ، عن أبى الطُّفيل ، قال : قال على عليه السلام : يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجُل واحد ، فوالله لقعدت على تَحَفَة[4] ذى قار ، فأحصيتهم واحدا واحدا ، فما زادوا رجلًا ، ولا نقصوا رجلًا[5] .

* * *

[فصل فى نسب عائشة وأخبارها]

وينبغى أن نذكر فى هذا الموضع طرفا من نَسَب عائشة وأخبارها ، ومايقوله أصحابنا المتكلّمون فيها ، جريًا على عادتنا فى ذكر مثل ذلك كلّما مررنا بذكر أحد من الصحابة .

---

(١) الطبرى : « يبادرون » . (٢) من الطبرى (٣) تاريخ الطبرى ١ : ٣١٥٣ ، ٣١٥٤
(٤) فى الأصول : « لجفة » ، والصواب ما أثبته من الطبرى والتحفة المكان المشرف على ماحوله من الأرض . (٥) تاريخ الطبرى ١ : ٣١٧٣ ، ٣١٧٤ .

أمّا نسبُها ، فإنها ابنةُ أبي بكر ، وقد ذكرنا نسبه فيما تقدم ، وأمُّها أم رُومان ابنة عامر بن عُوَيمر بن عبد شمس بن عتّاب بن أذينة بن سُبيع بن دُهمان بن الحارث بن تميم بن مالك بن كنانة . تزوجها رسولُ الله صلى الله عليه وآله بمكّة قبل الهجرة بسنتين — وقيل بثلاث — وهي بنت ست سنين — وقيل بنت سبع سنين — وبنى عليها بالمدينة وهي بنت تسع ، لم يختلفوا في ذلك .

وكانت تذكر لجبير بن مطعم ، وتسمّى له ، وورد في الأخبار الصّحيحة أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله أُرِيَ عائشة في المنام في سَرَقةٍ حرير ، متوفّى خديجة رضي الله عنها ، فقال : إن يكن هذا من عند الله يُمْضِهِ ؛ فتزوّجها بعد موت خديجة بثلاث سنين ، وتزوّجها في شوّال ، وأعرس بها بالمدينة في شوّال ، على رأس ثمانية عشر شهرا من مهاجَره إلى المدينة[1] .

وقال ابن عبد البرّ في كتاب " الاستيعاب " : كانت عائشة تحبّ أن تدخُل النّساء من أهلها وأحبّتها في شوال على أزواجهنّ ، وتقول . هلّ كان في نسائه أحظى عنده مني وقد نكحني وبنى عليّ في شوال[1] !

قلت : قرئ هذا الكلام على بعض الناس ، فقال : كيف رأت الحال بينها وبين أحمائها وأهل بيت زوجها !

وروى أبو عمر بن عبدالبرّ ، في الكتاب المذكور : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله تُوفّي عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة ، فكان سنّها معه تسع سنين ، ولم ينكح بِكْراً غيرها ، واستأذنت رسول الله صلى الله عليه وآله في الكُنية ، فقال لها : اكتَني بابنك عبدالله بن الزّبير — يعني ابن أختها — فكانت كنيتُها أم عبد الله ، وكانت فقيهةً عالمة بالفرائض والشّعر والطب[1] .

---

(١) الاستيعاب ٤٧٤ :

وروى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ، قال : « فضلُ عائشة على النّساء كفضل الثّريد على الطعام » ، وأصحابنا يحملون لفظة النّساء في هذا الخبر على زوجاته ، لأنّ فاطمة عليها السلام عندهم أفضلُ منها ، لقوله صلى الله عليه وآله : « إنّها سيّدة نساء العالمين » .

وقذِفت بصفوان بن المعطل السُّلَمِيّ في سنة ستّ ، منصَرفَ رسول الله صلى الله عليه وآله من غزاة بني المصطلق ـ وكانت معه ـ فقال فيها أهل الإفك ماقالوا ، ونزل القرآن ببراءتها .

وقوم من الشّيعة زعموا أنّ الآيات التي في سورة النور لم تنزل فيها ، وإنما أنزلت في مارِيَة القبطيّة ، وما قذفت به مع الأسود القبطيّ . وجحدهم لإنزال ذلك في عائشة جحدٌ لما يعلم ضرورة من الإخبار المتواترة ، ثم كان من أمرها وأمر حفصة وما جرى لهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الأمر الّذي أسرّه على إحداهما ما قد نطق الكتاب العزيز به . واعتزل رسول الله صلى الله عليه وآله نساءه كلهنّ ، واعتزلهما معهنّ ثم صالحهنّ ، وطلّق حفصة ثم راجعها ؛ وجرت بين عائشة وفاطمة إبلاغات ، وحديث يُوغر الصّدور ، فتولّد بين عائشة وبين عليّ عليه السلام نوع ضغينة ، وانضمّ إلى ذلك إشارته على رسول الله صلى الله عليه وآله في قصّة الإفك بضرب الجارية وتقريرها ، وقوله : « إنّ النّساء كثير » .

ثم جرى حديث صلاة أبي بكر بالنّاس ، فتزعم الشّيعة أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله لم يأمر بذلك ، وأنّه إنّما صلّى بالناس عن أمر عائشة ابنته ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج متحامِلًا وهو مثقَل ، فنحّاه عن المحراب . وزعم معظم المحدّثين أن ذلك كان عن أمر رسول الله صلى عليه وآله . وقوله ثم اختلفوا ، فمنهم من قال : نحّاه وصلّى هُوَ بالناس ، ومنهم من قال : بل ائتمّ بأبي بكر كسائر الناس ، ومنهم

من قال : كان الناس يصلّون بصلاة أبي بكر ، وأبو بكر يصلّي بصلاة رسول الله صلى عليه وآله .

ثم كان منها في أمر عثمان ، وتضريب الناس عليه ، ماقد ذكرناه في مواضعه ، ثم تلا ذلك يوم الجمل .

* * *

واختلف المتكلمون في حدها وحال مَنْ حضر واقعة الجمل ، فقالت الإماميّة : كفّر أصحابُ الجمل كلُّهم ؛ الرؤساء والأتباع . وقال قوم من الحشويّة والعامّة : اجتهدوا فلا إثم عليهم ، ولا نحكم بخطئهم ولا خطأ عليّ عليه السلام وأصحابه .

وقال قوم من هؤلاء : بل نقول : أصحاب الجمل أخطئوا ، ولكنه خطأ معفور ، وكخطأ المجتهد في بعض مسائل الفروع عند مَنْ قال بالأشبه ؛ وإلى هذا القول يذهب أكثر الأشعريّة .

وقال أصحابنا المعتزلة : كلّ أهل الجمل هالكون إلّا مَنْ ثبتت توبته منهم ، قالوا : وعائشة ممّن ثبتت توبتها ، وكذلك طلحة والزبير ، أمّا عائشة فإنّها اعترفت لعليّ عليه السلام يوم الجمل بالخطأ ، وسألته العفوَ ، وقد تواترت الرواية عنها بإظهار الندم ، وأنّها كانت تقول : ليتَه كان لي من رسول الله صلى الله عليه وآله بنون عشرة ، كلّهم مثل عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام — وثكلتُهم — ولم يكن يومُ الجمل ! وأنّها كانت تقول : ليتني متّ قبل يوم الجمل ، وأنّها كانت إذا ذكرت ذلك اليوم تبكي حتى تبلّ خمارها . وأمّا الزبير فرجع عن الحرب معترفا بالخطأ لمّا أذكره علي عليه السلام ما أذكره . وأمّا طلحة فإنّه مرّ به — وهو صريع — فارس ، فقال له : قف ، فوقف ، قال : من أيّ الفريقين أنت ؟ قال : من أصحاب أمير المؤمنين ، قال : أقعدني ، فأقعده ، فقال : امدُد يدك أبايعْك لأمير المؤمنين ، فبايعه .

وقال شيوخنا : ليس لقائل أن يقول : مايروى من أخبار الآحاد بتوبتهم لايعارض ماعلم قطعا من معصيتهم . قالوا : لأن التوبة إنما يحكم بها للمكلف على غالب الظن في جميع المواضع ، لا على القطع ، ألا ترى أنا نجوز أن يكون من أظهر التوبة متافقاً وكاذبا ، فبان أن المرجع في قبولها في كل موضع إنما هو إلى الظن ، فجاز أن يعارض ماعلم من معصيتهم بما يظن من توبتهم .

(٢)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة :

وَجَزَاكُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ.

* * *

الشرح :

موضع قوله : « من أهل مصر » نصب على التمييز ، ويجوز أن يكون حالا .

فإن قلت : كيف يكون تمييزا وتقديره . وجزاكم الله متمذين أحسن ما يجزى المطيع ؛ والتمييز لا يكون إلا جامداً ، وهذا مشتق ؟

قلت : إنهم أجازوا كونَ التمييز مشتقا نحو قولهم : « ما أنت جارةً » ، وقولهم : « يا سيّداً ما أنت من سيّد » .

وما ، يجوز أن تكون مصدرية ، أى أحسن جزاء العاملين ، ويجوز أن تكون بمعنى الذى ، ويكون قد حذف العائد إلى الموصول ، وتقديره أحسن الذى يجزى به العاملين .

(٣)

الأصل :

وصية كتاب له عليه السلام لشريح بن الحارث قاضيه .

ورُوِيَ أنَّ شُرَيْحَ بن الحارث قاضيَ أميرِ المؤمنين عليه السَّلام اشترى على عَهْدِهِ داراً بثمانينَ دينارا ؛ فبلغهُ ذلك ، فاستدعى شُرَيْحاً ، وقال له : بَلَغَنِي أنَّكَ ابتعْتَ داراً بثمانينَ دينارا ، وكَتَبْتَ لها كِتاباً ، وأشْهَدْتَ فيهِ شُهُوداً . فقالَ لَهُ شُرَيْحٌ : قد كانَ ذلكَ يا أميرَ المؤمنينَ ، قال : فنظر إليهِ نظرَ المُغْضَبِ ، ثُمَّ قالَ لَهُ :

يا شُرَيْحُ ، أمَا إنَّهُ سيأتيكَ مَنْ لا ينظرُ في كِتابِكَ ، ولا يَسْألُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ ، حتَّى يُخْرِجَكَ مِنْها شاخِصاً ، ويُسْلِمَكَ إلى قَبْرِكَ خالِصاً فانظُرْ يا شُرَيْحُ لا تكونَ ابْتَعْتَ هذهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مالِكَ ، أوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلالِكَ ؛ فإذاً أنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دارَ الدُّنْيا ودارَ الآخِرَةِ .

أمَا إنَّكَ لَوْ كُنْتَ أتَيْتَنِي عِنْدَ شِرائِكَ ما اشْتَرَيْتَ ، لَكَتَبْتُ لَكَ كِتاباً عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ ، فلمْ تَرْغَبْ في شِراءِ هذهِ الدَّارِ بالدِّرْهَمِ [1] فما فوقُ ، والنسخةُ هذهِ :

« هذا ما اشْتَرى عَبْدٌ ذَليلٌ ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحيلِ . اشْتَرى مِنْهُ داراً مِنْ دارِ الغُرُورِ ، مِنْ جانِبِ الفانينَ ، وَخِطَّةِ الهالِكينَ . وَتَجْمَعُ هذهِ الدَّارَ حُدُودٌ أرْبَعَةٌ : الحَدُّ الأوَّلُ يَنْتَهي إلى دَواعِي الآفاتِ ، وَالحَدُّ الَّذي يَنْتَهي إلى دَواعِي المُصيباتِ ؛ وَالحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهي إلى الهَوى المُرْدي ، والحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهي إلى الشَّيْطانِ المُغْوي . وَفيهِ يُشْرَعُ بابُ هذهِ الدَّارِ . اشْتَرى هذا المُغْتَرُّ بالأمَلِ ، مِنْ هذا

(١) مخطوطة النهج : « بدرهم » .

الْمُزْعِجِ بِالأَجَلِ هَـذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ ، وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالصَّنَاعَةِ ؛ فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ . فَعَلَى مُثْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ ، وسالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْقَنَاعَةِ ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَكَثَّرَ ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ — إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ ، الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَمَوْصِلِ إِذَا وَقَعَ الأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ . شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى ، وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا » .

* * *

الشَّـرْحُ :

[نسب شريح وذكر بعض أخباره]

هو شُرَيح بن الحارث بن المتجمع بن معاوية بن جَهْم بن ثَوْر بن عُفير[1] بن عدىّ ابن الحارث بن مُرّة بن أدد الكندىّ ؛ وقيل إنه حليف لكِنْدة من بنى الرائش .

وقال ابنُ الكلبىّ : ليس اسم أبيه الحارث ، وإنما هو شريح بن معاوية ابن ثَوْر .

وقال قوم : هو شريح بن هانئ .

وقال قوم : هو شريح بن شَرَاحيل . والصحيح أنه شريح بن الحارث ، ويكنى أبا أميّة . استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بكوفة ، فلم يزل قاضيا ستّين سنة ، لم يتعطّل فيها إلا ثلاث سنين فى فِتْنة ابن الزّبير ؛ امتنع فيها من القضاء ، ثم استعفى الحجّاجَ من

---

(١) ب : « عفر » ، والصواب ما أثبته من الاستيعاب .

العمل فأعفاه ، فلزم منزله إلى أن مات ، وعُمّر عمراً طويلا ، قيل : إنه عاش مائة سنة وثمانيا وستين ، وقيل مائة سنة ، وتوفّى سنة سبع وثمانين .

وكان خَفيف الرّوح ، مَزّاحا ، فقدم إليه رجلان فأقرّ أحدهما بما ادّعى به خصمه ، وهو لا يعلم فقضى عليه ، فقال لشريح : مَنْ شهد عندك بهذا ؟ قال : ابن أخت خالك .

وقيل : إنه جاءته امرأته تبكي وتتظلّم على خَصْمها ، فما رقّ لها حتى قال له إنسان كان بحضرته : ألا تنظر أيُّها القاضي إلى بكائها ! فقال : إنّ إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون .

وأقرّ علي عليه السلام شُرَيحاً على القضاء ، مع مخالفته له في مسائل كثيرة من الفقه مذكورة في كتب الفقهاء .

واستأذنه شُرَيح وغيره من قُضاة عثمان في القضاء أوّل ما وقعت الفُرْقة ، فقال : اقضوا كما كنتم تَقْضُون حتى تكون للنّاس جماعة ، أو أموت كما مات أصحابي .

وسخط عليٌّ عليه السلام مرّة عليه فطرده عن الكوفة ولم يعزله عن القضاء ، وأمره بالمقام بنافقيا — وكانت قرية قريبة من الكوفة أكثر ساكنها اليهود — فأقام بها مدّة ، حتى رضي عنه وأعاده إلى الكوفة .

وقال أبو عمر بن عبد البرّ في كتاب " الاستيعاب " : أدرك شُريح الجاهليّة ، ولا يعدّ من الصحابة ، بل من التابعين ، وكان شاعرا محسنا ، وكان سِباطاً لا شعر في وجهه [1] .

* * *

قوله عليه السلام : « وخِطّة الهالكين » بكسر الخاء ، وهي الأرض التي يختطها الإنسان ،

---

(١) الاستيعاب ٥٩٠ ، وذكر أنه توفي سنة سبع وثمانين وهو ابن مائة سنة ؛ وولي القضاء ستين سنة من زمن عمر إلى زمن عبد الملك بن مروان .

أى يُسْلِم عليهـا علامة بالخطّ ليعمرها ؛ ومنه خطط الكوفة والبصرة .

وزخرف البناء ، أى ذهّب جدرانه بالزّخرف ، وهو الذهب .

ونجّد : فرش المنزل بالوسائد ، والتنجّد : لذى يعالج الفرش والوسائد ويخيطها ، والتنجيد : التزيين بذلك ، ويجوز أن يريد بقوله : « نجّد » رفع وعلا ، من النّجْد ، وهو المرتفع من الأرض .

واعتقد : جعل لنفسه عُقْدة كالضّيعة أو الذّخيرة من المال الصامت .

« وإشخاصُهم » مرفوع بالابتداء وخبره اختار المحرور المقدّم ، وهو قوله : « فصلى مبلغ أحسام الملوك » ، وموضع الاستحسان من هذا الفصل — وإن كان كله حسناً — أمران :

أحدُهما : أنّه عليه السلام نظر إليه نظر متعجّب إنكارا لابتياعه داراً بثمانين دينارا ، وهذا يدلّ على زهد شديد في الدنيا ولمتكثر للقليل منها ، ونسبه هذا المشترى إلى الأسراف ، وخوف من أن يكون ابتاعها بمال حرام .

الثانى : أنه أملى عليه كتابا زهديًّا وعظيًا ، ممثلا لكتب الشّروط التى تكتب فى ابتياع الأملاك . فإنهم يكتبون : « هذا ما اشترى فلان من فلان ، اشترى منه دارا من شارع كذا وحطة كذا ، ويجمع هذه الدار حدود أربعة ، فحدّ منها ينتهى إلى دار فلان ، وحدّ آخر ينتهى إلى ملك فلان ، وحدّ آخر ينتهى إلى ما كان يعرف بفلان ، وهو الآن معروف بفلان ، وحدّ آخر ينتهى إلى كذا . ومنه شروع فى هذه الدار ، وطريقها : « اشترى هذا المشترى المذكور من البائع المذكور جميع الدار المذكورة بثمن صلحه كذا وكذا دينارا ، أودعها ؛ فما أدرك المشترى المذكور من درك فمرجوع به على من يُوجب الشرع الرجوع به عليه » . ثم تكتب الشهود فى آخر الكتاب . شهد فلان ابن فلان بذلك ، وشهد فلان ابن فلان به أيضاً ؛ وهذا يدلّ على أنّ الشروط المكتوبة الآن قد كانت

فى زمن الصحابة تكتب مثلها أو نحوها ؛ إلا أنّ ما سمعنا عن أحد منهم أنه نقل صيغة الشرط الفقهىّ إلى معنى آخر كما قد نظمه هو عليه السلام ، ولا عرْو فما زال سبّاقًا إلى العجائب والغرائب !

فإن قلت : لم جعل الشيطان للغوى فى الحدّ الرابع ؟

قلت : ليقول : وفيه يشرع باب هذه الدار ، لأنه إذا كان الحدّ إليه ينتهى كان أسهل لدخوله إليها ودخول أتباعه وأوليائه من أهل الشيطنة والضلال .

(٤)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه :

فَإِنْ عَادُوا إِلَى طِلِّ الطَّاعَةِ ، فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ ، وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ ، وَاسْتَعِنْ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ ، عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ ؛ فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَعِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ .

• • •

الشرح :

انهد : أي انهض . وتقاعس ، أي أبطأ وتأخر .

والمتكاره : الذي يخرج إلى الجهد من غير نية و بصيرة ، وإنما يخرج كارها مرتابا ، ومثل قوله عليه السلام : « فإن المتكاره معيبه خير من مشهده ، وقعوده أغنى من نهوضه » قوله تعالى : ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾[1] .

---

(١) سورة التوبة ٤٧ :

(٥)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس ، وهو عامل آذربيجان :

وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ ، وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ ، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ ، وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ . وَالسَّلَامُ .

* * *

الشرح :

قد ذكرنا نسب أشعث من قيس فيما تقدم .

وأذربيجان : اسم أعجمي غير مصروف ، الألف مقصورة ، والذال ساكنة . قال حبيب :

وأذربيجان احتيال ، بعد ما كانت معرّس عيرة وسكال[1]

وقال الشماخ :

تذكّرتُها وهنًا وقد حال دونها قُرَى أذْرَبِيجانَ المَسالحُ والجالُ

والنسبة إليه أذْرِيّ بسكون الذال ، هكذا القياس ، ولكن المروي عن أبي بكر في الكلام الذي قاله عند موته : « ولتأتينّ الروم على الصوف الأذَرِيّ » بفتح الذال .

والطُّعمة بضم الطاء المهملة : المأكلة ، ويقال : فلان خبيث الطعمة ، أي ردئ الكسب . والطِّعمة بالكسر لهيئة التطعّم ، يقول : إنّ عملك لم يسوّغه الشرع ، والوالي من قِبَلِ إمامه ؛

(١) ديوانه ٢٦٠

ولا جعله لك أكلاً؛ ولكنه أمانة فى يدك وعنقك للمسلمين ، وفوقك سلطان أنتَ له رعيّة فليس لك أن تفتاتَ فى الرعيّة الذين تحت يدك ، يقال : افتاتَ فلان على فلان ، إذا فعل بغير إذنه ماسبيلُه أن يستأذنه فيه ، وأصلُه من الفَوْت وهو السَّبْق، كأنّه سبقه إلى ذلك الأمر .

وقوله : « ولا تخاطرْ إلاّ بوثيقةٍ » ، أى لا تُقدِم على أمرٍ مَخوفٍ فيما يتعلّق بالمال الذى تتولاّه إلا بعد أن تتوثّق لنفسك ، يقال : أخذ فلان بالوثيقة فى أمره ، أى احتاط .

ثم قال له : « ولعلّى لا أكون شرّ ولاتِك » ، وهو كلام يطيّب به نفسَه ويسكّن به جأشَه ، لأنّ فى أوّل الكلام إيحاشا له، إذ كانت ألفاظه تدلّ على أنّه لم يره أمينا على المال ، فاستدرك ذلك بالكلمة الأخيرة ، أى ربّما تحمد خلافتى وولايتى عليك ، وتصادف منّى إحساناً إليك ، أى عسى ألّا يكون شكرُك لعثمان ومَنْ قبله أكثرَ من شكرك لى ، وهذا من باب وعدك الحقّ ، وتسميه العرب الملك .

وأول هذا الكتاب كـ[illegible]

« من عبد الله علىّ أميرِ المؤمنين إلى الأشعث بن قيس . أمّا بعدُ ، فلولا هَنات وهَنات كانت منك ، كنت المقدّم فى هذا الأمر قبل الناس ، ولعلّ أمرا كان يحمل بعضه بعضا إن اتّقيت الله عزّ وجلّ ، وقد كان من بيعة النّاس إيّاى ماقد علمت ، وكان من أمر طلحة والزبير ماقد بلغكَ ، فخرجت إليهما ، فأبلغت فى الدُّعاء ، وأحسنت فى البقيّة ، وإن عملك ليس لك بطعمة ... » ، إلى آخر الكلام ، وهذا الكتاب كتبه إلى الأشعث ابن قيس ، بعد انقضاء الجمل .

(٦)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

إِنَّهُ بَايَعَنِي ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ، فَإِنِ ٱجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا ، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، وَوَلَّاهُ ٱللَّهُ مَا تَوَلَّى .

وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةُ ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ ، لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ ٱلنَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى ؛ فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ ! وَٱلسَّلَامُ .

* * *

الشرح :

قد تقدّم ذكرُ هذا الكلام فى أثناء اقتصاص مراسلة أمير المؤمنين عليه السلام معاويةَ بجرير بن عبد الله البَجَلِيّ ، وقد ذكره أرباب السِّيَر كلُّهم ، وأورده شيوخنا المتكلّمون فى كتبهم احتجاجا على صحة الاختيار ، وكونه طريقا إلى الإمامة ، وأول الكتاب :

« أما بعد ، فإن بيعتى بالمدينة لزمتك وأنت بالشام ، لأنه بايعنى القومُ الّذين بايعوا ... » ، إلى آخر الفصل .

والمشهور المروىّ : « فإن خرج من أمرهم خارجٌ بطعن أو رغبة » ، أى رغبة عن ذلك الإمام الذى وقع الاختيار له .

والمروىّ بعد قوله : « ولّاه الله ما تولّى » : « وأصلاه جهنّم وساءت مصيرا . وإنّ طلحةَ والزّبيرَ بايعانى ثم نقضا بَيْعتى ، فكان نقضُهما كردّتهما ، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون ، فادخل فيما دخلَ فيه المسلمون ، فإنّ أحبّ الأمور إلىّ فيك العافية ، إلّا أن تتعرّض للبلاء ، فإن تعرّضْتَ له قاتلتك ، واستعنت بالله عليك ، وقد أكثرتَ فى قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل النّاسُ فيه ، ثم حاكم القوم إلىّ أحملْك وإيّاهم على كتاب الله ، فأمّا تلك التى تريدها فخدْعة الصبىّ عن اللبن ، ولعمرى يامعاوية إن نظرت بعقلك . » إلى آخر الكلام .

وبعده : « واعلم أنّك من الطُّلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة ، ولا تعترض بهم الشورى ، وقد أرسلتُ إليك جريرَ بن عبد الله البَجَلىّ ، وهو من أهل الإيمان والهجرة ، فبايع ولا قوة إلا بالله » .

واعلم أنّ هذا الفصلَ دالّ بصريحه على كون الاختيار طريقا إلى الإمامة كما يذكره أصحابنا المتكلّمون ، لأنه احتجّ على معاوية ببيعة أهل الحلّ والعَقْد له ، ولم يراعِ فى ذلك إجماعَ المسلمين كلّهم ، وقياسه على بيعة أهل الحلّ والعقد لأبى بكر ، فإنه ماروعِى فيها إجماع المسلمين ، لأنّ سعد بن عُبادة لم يبايعْ ، ولا أحدٌ من أهل بيته وولده ، ولأنّ عليًّا وبنى هاشم ومَن انضوَى إليهم لم يبايعوا فى مبدأ الأمر ، وامتنعوا ؛ ولم يتوقّف المسلمون فى تصحيح إمامة أبى بكر وتنفيذ أحكامه على بيعتهم ، وهذا دليل على صحة الاختيار وكونه طريقا إلى الإمامة ، وأنّه لا يقدح فى إمامته عليه السلام امتناعُ معاوية من البيعة وأهل الشام ؛ فأما الإماميّة فتحملُ هذا الكتابَ منه عليه السلام على التقيّة ، وتقول : إنّه ما كان يمكنه

أن يصرّح لمعاوية فى مكتوبه بباطن الحال ، ويقول له : أنا منصوص عليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومعهود إلى الناس أن أكون خليفةً فيهم بلا فصل ، فيكون فى ذلك طعن على الأئمة المتقدّمين ، وفساد حاله مع الذين بايعوه من أهل المدينة ؛ وهذا القول من الإماميّة دعوى لو عضّدها دليل لوجب أن يقال بها ، ويُصار إليها ؛ ولكن لا دليل لهم على ما يدّعونه ، بل هم من الأصول التى تسوقهم إلى تحمّل هذا الكلام على التقيّة .

فأما قوله عليه السلام : «وقد أكثرتَ فى قَتَلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكم القوم إلىّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله» ، فيجب أن نذكر فى شرحه ما يقول المتكلّمون فى هذه الواقعة

قال أصحابنا المعتزلة رحمهم الله . هذا الكلام حقّ وصواب ، لأن أولياء الدّم يجب أن يبايعوا الإمام ويدخلوا تحت طاعته ، ثم يرفعوا خصومتهم إليه ، فإنْ حَكَم بالحقّ استديمت إمامته ، وإن حادَ عن الحق انتقض خلافه ، وأولياء عثمان الذين هم سُوقة لم يبايعوا عليًّا عليه السلام ، ولا دَخَلوا تحت طاعته ثمّ ، وكذلك معاويةُ ابنُ عمّ عثمان لم يبايع ولا أطاع ؛ فمطالبتهم له بأن يقتصّ لهم من قتلة عثمان قبل بيعتهم إياه وطاعتهم له ظلم منهم وعدوان .

فإن قلت : هب أنّ القصاص من قتلة عثمان موقوفٌ على ما ذكره عليه السلام ؛ أما كان يجبُ عليه لأمن طريق القصاص أن ينهى عن المنكر ! وأنتم تذهبون إلى أنّ النهى عن المنكر واجب على مَنْ هو سُوقة ، فكيف على الإمام الأعظم !

قلت : هذا غير وارد هاهنا ، لأنّ النهى عن المنكر إنّما يجب قبل وقوع المنكر ، لكيلا يقع ، فإذا وقع المنكر ، فأىّ نهى يكون عنه ! وقد نهى عليّ عليه السلام أهلَ مصر وغيرَهم عن قتل عثمان قبل قتله مرارا ، وبايدهم بيده ولسانه وبأولاده فلم يغنِ

شيئاً ، وتفاقم الأمر حتى قُتِل ؛ ولا يجب بعد القتل إلّا القصاص ، فإذا امتنع أولياء الدم من طاعة الإمام لم يجبْ عليه أن يقتصّ من القاتلين ، لأنّ القصاص حقّهم ، وقد سقط بسعيهم على الإمام وخروجهم عن طاعته . وقد قلنا نحن فيما تقدّم : إنّ القصاص إنّما يجب على مَنْ باشر القتل ؛ والذين باشروا قتل عثمان قُتِلوا يوم قتل عثمان فى دار عثمان ، والذين كان معاوية يطالبهم بدم عثمان لم يباشروا القتل ، وإنّما كثّروا السواد وحَصروا عثمان فى الدار ، وأحلموا عليه وشتموه وتوعّدوه ، ومنهم مَنْ تسوّر عليه داره ولم ينزل إليه ، ومنهم مَنْ نزل فحصر محصر قتله ولم يشرك فيه ، وكلّ هؤلاء لا يجب عليهم القصاص فى الشرع .

* * *

[جرير بن عبد الله البجلىّ عند معاوية]

وقد ذكرنا فيما تقدّم شرحَ حال جرير بن عبد الله البجلىّ فى إرسال علىّ عليه السلام إيّاه إلى معاوية مستقصى . وذكر الزبير بن بكّار فى " الموفقيات " أنّ عليا عليه السلام لما بعث جريرا إلى معاوية ، خرج وهو لا يرى أحداً قد سبقه إليه ، قال . فقدمت على معاوية فوجدته يخطب النّاس وهم حوله يبكون حول قميص عثمان وهو معلّق على رُمح مخضوب بالدّم ؛ وعليه أصابع زوجته نائلة بنت الفرافصة مقطوعة ، فدفعت إليه كتاب علىّ عليه السلام ، وكان معى فى الطريق رجلٌ يسير بسيرى ، ويقيم بمقامى ، فتمثّل بين يديه فى تلك الحال وأنشده :

إنّ بنى عمّك عبدِ المطّلبْ هم قتلوا شيخَكُمُ غيرَ كذِبْ

* وأنت أولى النّاس بالوثْب فثِبْ *

وقد ذكرنا تمامَ هذه الأبيات فيما تقدم .

قال ثم دفع إليه كتابا من الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط ؛ وهو أخو عثمان لأمه ، كتبه مع هذا الرجل من الكوفة سرا أوله :

* مُعَاوِيَ إنّ المُلكَ قد جُبَّ غَارِبُهْ *

الأبيات التي ذكرنا فيما تقدم .

قال : فقال لي معاوية : أقمْ فإنّ الناس قد نفروا عند قتل عثمان حتى يسكنوا . فأقمت أربعة أشهر ، ثم جاءه كتاب آخر من الوليد بن عُقْبة ، أوله :

ألا أبلِغْ معاويةَ بنَ حَرْبٍ ... فإنّكَ مِن أخي ثقةٍ مُلِيمُ (١)
قَطَعْتَ الدّهرَ كالسَّدِمِ المعنّى ... تهدر في دمشقَ ولا تَرِيمُ (٢)
وإنّك والكتابَ إلى عليٍّ ... كذابغةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ (٣)
فلو كنتَ القتيلَ وكان حيًّا ... لشمّرَ لا ألفُّ ولا سَئُومُ (٤)

قال : فلما جاءه هذا الكتاب وصل بين طُومارين (٥) أبيضين ، ثم طواهما وكتب عنوانهما .

---

(١) مليم : من وقع منه ما يلام عليه

(٢) السدم في الأصل : الذي يرغب عن فحلته ، فيحال بينه وبين الآفة ؛ والبيت في اللسان ١٥ : ١٧٦

(٣) يقول : أنت تسعى في إصلاح أمر قد تم فساده كالمرأة التي تذيع الأديم الحلم الذي وقعت فيه الحلمة (وهي دودة) فنفته وأفسدته فلا ينتفع به . وقد وردت الأربعة في اللسان (حلم) ، وذكر بعدها :

لَكَ الوَيْلاتُ أفحِمْها عَلَيْهِمْ ... فَخَيْرُ الطَّالِبِي التِّرَةِ الغَشُومُ
فَقَوْمُكَ بالمدينةِ قد تَرَدَّوْا ... فَهُمْ صَرْعَى كأنّهُمُ الهَشِيمُ

(٤) رواية هذا البيت في اللسان :

فَلَوْ كُنْتَ المُصَابَ وَكَانَ حَيًّا ... تَجَرَّدَ ، لا ألفُّ وَلا سَئُومُ

(٥) الطومار : الصحيفة .

« من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب » .

ودفعهما إليّ، لا أعلم ما فيهما، ولا أظنّهما إلا جواباً، وبعث معي رجلاً من بني عَبْس لا أدري ما معه، فخرجنا حتى قدمنا إلى الكوفة، واجتمع النّاس في المسجد، لا يشكّون أنّها بيعة أهل الشام؛ فلما فتح عليّ عليه السلام الكتاب لم يجد شيئاً، وقام العبسيّ، فقال: مَنْ هاهنا من أحياء قيس، وأخصّ من قيس غطفان، وأخصّ من غَطَفان عَبْس؟ إنّي أحلف بالله لقد تركت تحت قميص عثمان أكثرَ من خمسين ألف شيخ خاضبي لحاهم بدموع أعينهم، متعاقدين متحالفين، ليقتُلن قَتَلَته في البرّ والبحر، وإنّي أحلف بالله ليقتحمنّها عليكم ابنُ أبي سفيان بأكثر من أربعين ألفاً من خِصْيان الخيل، فما ظنّكم بعد بما فيها من الفُحول. ثم دفع إلى عليّ عليه السلام كتاباً من معاوية ففتحه فوجد فيه:

أتانيَ أمرٌ فيه للنفس غُمّةٌ ... وفيه اجتداعٌ للأنوف أصيلُ
مصابُ أمير المؤمنين وَهَدّةٌ ... تكادُ لها صُمُّ الجبالِ تزولُ

وقد ذكرنا هذا الشعر فيما تقدّم .

(٧)

الأصل :

ومن كتاب منه عليه السلام إليه أيضا :

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَتْنِي مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ ، تَنَقَّصْتَهَا بِضَلَالِكَ ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ . وَكِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ نَصْرٌ يَهْدِيهِ ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ ، فَهَجَرَ لَاغِطاً ، وَضَلَّ خَابِطاً

* * *

الشرح :

موعظة موصّلة ، أى مجموعة الألفاظ من هاهنا وهاهنا ، وذلك عيب فى الكتابة والخطابة ، وإنما الكاتب من يرتجل فيقول قولا فصلًا ، أو يروى فيأتى بالبديع المستحسن وهو فى الحالين كلاهما يُنفِق من كِيسه ، ولا يستعير كلامَ غيره .

والرسالة المحبّرة : المزيّنة الألفاظ ؛ كأنه عليه السلام يشير إلى أنه قد كان يظهر عليها أثر التكلّف والتصنّع .

والتّنميق : التزيين أيضاً .

وهَجَر الرّجل ، أى هَذَى ، ومنه قوله تعالى فى أحد التفسيرين : ﴿ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾[1] .

واللّاغط : ذو اللغط ، وهو الصوت والجلبة .

---

(١) سورة الفرقان ٣٠

وخَبَط البعير فهو خابط ، إذا مشى صلًا فخبط بيديه كلَّ ما يَلْقاه ، لا يتوقى شيئاً .

* **

وهذا الكتاب كتبه عليٌّ عليه السلام جواباً عن كتاب كتبه معاويةُ إليه في أثناء حرب صِفِّينَ بل في أواخرها ، وكان كتاب معاوية :

« من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، أما بعد ، فإنّ الله تعالى يقول في محكم كتابه : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١) ، وإني أحذرك الله أن تحبط عملك وسابقتك بشقّ عصا هذه الأمّة وتفريق جماعتها ، فاتق الله واذكر موقف القيامة ، وأقلع عمّا أسرفتَ فيه من الخوض في دماء المسلمين ، وإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « لو تمالأ أهلُ سمائه وعذّب على قتل رجل واحد من المسلمين لأكبّهم الله على مناخرهم في النار » ، فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين وسادات المهاجرين ، لله ما طَحنتْ رَحا حربه من أهل القرآن ، وذوي العبادة والإيمان ، من شيخ كبير ، وشابّ غرير ، كلّهم بالله تعالى مؤمن ، وله مخلص ، ورسوله مقرّ عارف ! فإن كنتَ أنا حسن إنما تحارب على الإمرة والخلافة ، فلعمري لو صحّت خلافتك لكنتَ وَرِيّاً من أن تعذّر في حرب المسلمين ، ولكنّها ما صحّت لك ؛ أنّى نصحّتها وأهلُ الشام لم يدخلوا فيها ، ولم يرتضوا بها! وخف الله وسَطَوَاته ، واتق بأسه ، ونكاله ، وأغمِدْ سيفك عن الناس ، فقد والله أكلتهم الحرب ، فلم يَبقَ منهم إلا كالثمد في قراره الغدير والله المستعان ».

فكتب عليّ عليه السلام إليه جوابا عن كتابه :

---

(١) سورة الزمر : ٦٥

من عبد الله علىٍّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان : « أمّا بعد فقد أتتنى منك موعظةٌ موصّلة ، ورسالة محبّرة ، نمّقتها بصلالك ، وأمضيتها بسوء رأيك ، وكتاب امرئٍ ليس له بصرٌ يهديه ، ولا قائد يُرشده ، دعاه الهوى فأجابه ، وقاده الضلال فاتّبعه ، فهجر لاغطاً ، وضلّ خابطاً ، فأمّا أمرك لى بالتقوى فأرجو أن أكونَ من أهلها ، وأستعيذ بالله من أن أكونَ من الذين إذا أُمِرُوا بها أخذتهم العزّة بالإثم . وأمّا تحذيرك إيّاى أن يحبَط عملى وسابقتى فى الإسلام ، فلعَمرى لو كنتُ الباغىَ عليك ، لكان لك أن تحذّرَنى ذلك ، ولكنّى وجدت الله تعالى يقول : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ ﴾[1] ، فنظرنا إلى الفئتين ، أما الفئة الباغية فوجدناها الفئة التى أنت فيها ، لأن بيعتى بالمدينة لزمتك وأنت بالشام ، كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على الشام ، وكما لزمتْ يزيد أخاك بيعةُ عمر وهو أمير لأبى بكر على الشام . وأمّا شقّ عصا هذه الأمّة ، فما أحقّ أن أسهاك عنه . فأمّا تحويفك لى من قَتْل أهلِ البغى ، فإن رسول الله صلى عليه وآله أمرنى بقتالهم وقَتْلهم ، وقال لأصحابه : « إنّ فيكم مَنْ يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » ، وأشار إلىّ وأنا أولى من اتّبع أمره .

وأما قولك : إنّ بيعتى لم تصحّ لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها كيف وإنما هى بيعة واحدة ، تلزم الحاضر والغائب ، لا يُثنّى فيها النظر ، ولا يستأنف فيها الخيار ، الخارج منها طاعنٌ ، والمرَوّى فيها مُداهن . فارتَعْ على طَنِيبك ، وارعَ مع الهمَل غَنَمك ، واترك مالا حَدوَى له عليك ، فليس لك عندى إلّا السيف ، حتى يفىء إلى أمر الله صاغرا ، وتدخل فى البَيعة راغما . والسلام » .

---

(١) سورة الحجرات

الأصل :

ومن هذا الكتاب :

لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ ، الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ ، وَالْمَرْوِيُّ فِيهَا مُدَاهِنٌ .

* * *

الشرح :

لا يثنى فيها النظر ، أى لا يعاود ولا يرجع ثانية ولا يستأنف فيها الخيار . ليس بعد عقدها خيار لمن عقدها ولا لغيرهم ، لأنها تلزم غير العاقدين كما تلزم العاقدين ، فيسقط الخيار فيها ، الخارج منها طاعن على الأمة ، لأنهم أجمعوا على أن الاختيار طريق الإمامة .

والمروى فيها مداهن ، أى الذى يرتئى ويبطىء عن الطاعة ويفكر ، وأصله من الروية ، والمداهن : المنافق .

(٨)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى حرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُخْلِيَةٍ ، أَوْ سِلْمٍ مُحْرِيَةٍ ، فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ وَالسَّلَامُ

* * *

الشرح :

قد تقدّم ذكر نسب حرير بن عبد الله البَجَلِيّ .

وقوله عليه السلام : « فاحمل معاوية على الفصل » ، أى لا تتركه متلكّئا متردّدا ، يُطْمِعُك تارة ويؤيسك أخرى ، بل احمله على أمر فَيْصَلٍ ، إمّا البَيْعة ، أو أن يأذَن بالحرب .

وكذلك قوله : « وخذه بالأمر الجزم » ، أى الأمر المقطوع به ، لا تكنْ ممّنْ يُقدّم رِجْلا ويؤخّر أخرى ، وأصل الجزْم القطع .

وحرب مُخْلِيَة : تُجْلِي المقهورين فيها عن ديارهم ، أى تُخرجهم .

وسِلْم محرية ، أى فاضحة ؛ وإنما جعلها محرية لأن معاوية امتنع أولا من البَيْعة ؛ فإذا دخل فى السِّلْم فإنما يدخل فيها بالبيعة ، وإذا بايع بعد الامتناع ؛ فقد دخل تحت الهَضْم ورَضِىَ بالضَّيم ؛ وذلك هو الخِزْى .

قوله « فانبذ إليه » من قوله تعالى: ﴿ فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾[1] وأصله العهد والهدنة وعقد الحلف يكون بين الرجلين أو بين القبيلتين ، ثم يبدولهما فى ذلك فينتقلان إلى الحرب فينبذ أحدُهما إلى الآخر عهده ، كأنه كتاب مكتوب بينهما قد نبذه أحدُهما يوم الحرب وأبطله ، فاستعير ذلك للمجاهرة بالعداوة والمكاشفة ، ونسخ شريعة السلام السابقة بالحرب المعاقبة لها .

(١) سورة الأنفال ٥٨

(٩)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا ، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا ، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ .

فَعَزَمَ اللهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حَوْمَتِهِ ، مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ ، وَكَافُّنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ .

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ ، وَاحْجَمَ النَّاسُ ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ ، وَلَكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ ، وَمَنِيَّتَهُ أُخِّرَتْ .

فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا ، إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ ، وَلَا أَظُنُّ اللهَ يَعْرِفُهُ . وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ ، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ ، وَلَا جَبَلٍ

وَلَا سَهْلٍ ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ بَدُوكَ وِجْدَانُهُ ، وَرَوْرٌ لَا يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ .
وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

* * *

الشَّـرْحُ :

قوله عليه السلام : « فأراد قومنا » ، يعنى قريشا .

والاجتياح : الاستئصال ، ومنه الجائحة وهى السَّنَة ، أو الفتنة التى تجتاح المال أو الأنفس .

قوله : « ومنعونا العذب » ، أى الجيش العذب . لا أنهم منعوهم الماء العَذْب ، على أنه قد نقل أنهم منعوا أيام الحصار فى شِعْب بنى هاشم من الماء العذب .

وسنذكر ذلك .

قوله : « وأحلسونا الخوف » ، أى ألزموناه . والحِلْس : كساء رقيق يكون تحت بردعة البعير .

وأحلاس البيوت : ما يُبسَط تحت حُرّ الثياب ، وفى الحديث : « كن حِلْس بيتك » ، أى لا تخالط الناس واعتزلهم عنهم ، فما كان الحِلْس ملازماً ظهرَ البعير ، وأحلاس البيوت ملازمة لها ، قال : « وأحلسونا الخوف » ؛ أى جعلوه لنا كالحِلْس الملازم .

قوله : « واضطرونا إلى جبل وعر » ، مَثَّل صرَّه عليه السلام لخشونة مُقامهم وشَظَف منزلهم ، أى كانت حالنا فيه كحال من اضطر إلى ركوب جبل وَعْر ، ويجوز أن يكون حقيقة لا مثلا ، لأن الشِّعب الذى حصروهم فيه مَضِيق بين جبلين .

قوله : « فعزم الله لنا » ، أى قضى الله لنا ، ووفّقنا لذلك ، وجعلنا عازمين عليه .

والحوْزة : الناحية ، وحوزة الملك : بَيْضته .

وحومة الماء والرمل : معظمه .

والرمى عنها : المناضلة والمحاماة ، ويروى : « والرمى من وراء حرمته » ، والضمير فى « حورته » و « حومته » راجع إلى النبى صلى الله عليه وآله ، وقد سبق ذكره ، وهو قوله: « بينا » ، ويروى « والرميا » .

وقال الراوندى : « وهموا بما الهموم » ، أى همّوا بزوال الهموم بما ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وليس ماقاله بجيّد بل « الهموم » منصوب هاهنا على المصدر ، أى هموا بما هموماً كثيرة ، وهموا بما أى أرادوا بهتّه ، كقوله تعالى : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾[1] ، على تفسير أصحابنا ، وإنما أدخل لام التعريف فى الهموم ، أى همّوا بنا تلك الهموم التى تعرفونها ، فأتى باللام ليكون أعظم وأكبر فى الصدور من تنكيرها ، أى تلك الهموم معروفة مشهورة بيننا الناس لتكرر عزم المشركين فى أوقات كثيرة مختلفة على الإيقاع .

وقوله : « وعطفوا بنا الأقاعيل » ، يقال لمن كرروا آثاراً منكرة عطفوا بنا الأقاعيل ، وقلّ أن يقال ذلك فى غير الضرر والأذى ، ومنه قول أمية بن حلّف لعبد الرحمن بن عوف وهو يذكر حمزة بن عبد المطلب يوم بدر : « ذلك الذى فعل بنا الأقاعيل » .

قوله : « يحامى عن الأصل » ، أى يدفع عن محمد ويذبّ عنه حميّةً ومحافظة على النسب .

قوله : « حلّوا مما نحن فيه » ، أى حالنا . والحلف : العهد .

واحمرّ البأس ، كلمة مستعارة ، أى اشتدّت الحرب حتى احمرّت الأرض من الدم ، فجعل البأس هو الأحمر مجازا ، كقولهم : الموت الأحمر .

---

(١) سورة يوسف ٢٤

قوله : « وأحجم الناس »، أى كفّوا عن الحرب وجبنوا عن الإقدام ، يقال : حجمت فلانا عن كذا أحجُمه بالضمّ ، فأحجم هُوَ ، وهـذه اللفظة من النوادر ، كقولهم : « كببته فأكبّ » .

ويوم مؤتة بالهمز ، ومؤتة : أرض معروفة .

وقوله : « وأرادَ مَنْ لو شئتُ لذكرت اسمَه » ، يعنى به نفسه .

قوله : « إذ صرتُ يقرَنُ بى مَنْ لم يَسْعَ بقدمى » إشارة إلى معاوية فى الظاهر ، وإلى مَنْ تقدّم عليه من الخلفاء فى الباطن ، والدليل عليه قوله : « التى لا يُدْلِى أحد بمثلها » ، فأطلق القول إطلاقا عامًّا مستغرقا لكلّ الناس أجمعين

ثم قال : « إلّا أنْ يدّعِىَ مدّعٍ مالا أعرفه ، ولا أظن الله يعرفه »، أى كلّ من ادّعى خلاف ما ذكرته فهو كاذب ، لأنه لو كان صادقا لكان علىّ عليه السلام يعرفه لا محالة ، فإذا قال عن نفسه : إنّ كل دعوى تخالف ما ذكرت فإنى لا أعرف صحّتها ، فمعناه أنها باطلة .

وقوله . « ولا أظنّ الله يعرفه » ، « نصّ هاهنا بمعنى العلم ، كقوله تعالى : ﴿ وَرَأَى ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾[1] ، وأخرج هـذه الكلمة مخرج قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2] ، وليس المراد سلب العلم بل العلم بالسلب ، كذلك ليس مراده عليه السلام سَلْبَ الظنّ الذى هو بمعنى العلم ، بل ظنّ السلب ، أى علم السلب، أى وعلم أن الله سبحانه يعرف انتفاءه ، وكلّ ما يعلم اللهُ انتفاءه فليس بثابت .

وقال الراوندى : قوله عليه السلام : « ولا أظنّ الله يعرفه » ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3] .

---

(١) سورة الكهف ٥٣ (٢) سورة يونس ١٨

(٣) سورة محمد ٣١ .

والله يعلم كلّ شيء قبل وجوده ، وإنما معناه : حتّى نعلم جهادهم موجودا ، وليست هذه الكلمة من الآية سبيل لتجعل مثالا لها ، ولكنّ الراوندىّ يتكلّم بكلّ مايخطر له من غير أن يميّز مايقول .

وتقول : أدلى فلان بحجّته ، أى احتجّ بها ، وفلان مُدْلٍ برَحِمه ، أى مَنّ بها . وأدلى بماله إلى الحاكم : دفعه إليه ليجعله وسيلة إلى قضاء حاجته منه ، فأمّا الشفاعة فلا يقال فيها : « أدليت » ، ولكن « دلوت بفلان » أى استشفعت به ، وقال عمر لمّا استسقى بالعبّاس رحمه الله : اللهمّ إنّا نتقرّب إليك بعمّ نبيّك وفضيلة آبائه ، وكُبْر رحاله ، دلوْنا به إليك مستشفعين »[1] .

قوله عليه السلام : « فلم أره يسوى » ، أى لم أرَ أنّه يحلّ لى دفعهم إليك . والضمير فى « أرَهُ » ضمير الشأن والقصّة ، و« أره » من الرأى لا من الرؤية ، كقولك : لم أرَ الرأى الفلانىّ .

ورع فلان عن كذا ، أى فارقه وتركه ، يرع ماكسر ، والغىّ : الجهل والضلال . والشقاق : الخلاف .

والوخْذان : مصدر وخذت كذا ، أى أصبته . والوَتْر : الزائر .

واللُّقيان : مصدر لقيت ، تقول : لقيته لقاء ولقيانا .

ثم قال : « والسلام لأهله » لم يستجز فى الدين أن يقول له : « والسلام عليك » لأنّه عنده فاسق لا يجوز إكرامه ، فقال : « والسلام لأهله » ، أى على أهله .

ويجب أن نتكلّم فى هذا الفصل فى مواضع :

منها ذكر ماجاء فى السيرة من إجلاب قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وبنى هاشم وحَصْرهم فى الشعب .

---

(١) الفائق ٢ - ٣٦٦ . قضية آبائه : تلوهم . وكبر قومه أقدمهم فى السن .

ومنها : الكلام فى المؤمنين والكافرين من بنى هاشم الذين كانوا فى الشِّعْب محصورين معه صلى الله عليه وآله مَنْ هم .

ومنها : شرح قصّة بدر .

ومنها : شرح غزاة أُحُد .

ومنها : شرح غزاة مُؤْتة .

* * *

[إجلاب قريش على بنى هاشم وحصرهم فى الشعب]

وأما الكلام فى الفصل الأول فنذكر منه ماذكره محمد بن إسحاق بن يَسار فى كتاب " السيرة " والنعارى ، وإنه كتاب معتمد عند أصحاب الحديث والمؤرّخين ، ومصنّفه شيخ الناس كلهم .

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : لم يسبق عليا عليه السلام إلى الإيمان بالله ورسالة محمد صلى الله عليه وآله أحدٌ من الناس . اللّهم إلّا أن تكون خديجة روحُ رسول الله صلى الله عليه وآله . قال . وقد كان صلّى الله عليه وآله يخرج ومعه عليّ مستخفيين من الناس ، فيصلّيان الصلواتِ فى بعض شِعاب مكة ، فبينا أمسيا رَجعا فمكثا بذلك ماشاء الله أن يمكثا ، لا ثالث لهما ثم إنّ أبا طالب عَثَر عليهما يوماً وهما يصلّيان ، فقال لمحمد صلى الله عليه وآله: يابن أخى ، ما هذا الذى تفعله ؟ فقال : « أىْ عمّ هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ، ودين أبينا إبراهيم — أو كما قال عليه السلام — بعثنى الله به رسولا إلى العباد ، وأنت أى عمّ أحقُّ من بذلتُ له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحقّ مَنْ أجابنى إليه ، وأعانى عليه » . أو كما قال فقال أبو طالب : إنى لا أستطيع يابنَ أخى أنْ أفارق

مدينى ودين آبائى وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص[1] إليك شئ تكرهه مابقيت.
وزعموا[2] أنه قال لعلى : أى شئ ماهذا الذى تصنع ؟ قال : ياأبتاه ، آمنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به ، وصليت إليه ، واتبعت نور سيه . فزعموا أنه قال له : أما إنه لا يدعوك — أو لن يدعوك — إلا إلى خير ، فالزمه .

قال ابن إسحاق : ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكان أول من أسلم ، وصلى معه بعد على بن أبى طالب عليه السلام .

ثم أسلم أبو بكر بن أبى قحافة ، فكان ثالثا لهما ، ثم أسلم عثمان بن عفان ، وطلحة والزبير ، وعبد الرحمن ، وسعد بن أبى وقاص ، فصاروا ثمانية؛ فهم الثمانية الذين سبقوا الناس إلى الإسلام بمكة، ثم أسلم بعد هؤلاء الثمانية أبو عبيدة بن الجراح وأبو سلمة بن عبد الأسد وأرقم بن أبى أرقم ، ثم انتشر الإسلام بمكة ، وفشا ذكره ، وتحدث الناس به ، وأمر الله رسوله أن يصدع بما أمر به ، فكانت مدة إخفاء رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه وشأنه إلى أن أمر بإظهار الدين ثلاث سنين فيما بلغنى[3] .

قال محمد بن إسحاق . ولم تكن قريش تنكر أمره حينئذ كل الإنكار ، حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فعظموا ذلك وأنكروه ، وأجمعوا على عداوته وخلافه، وحدب عليه عمه أبو طالب فمنعه ، وقام دونه حتى مضى مظهرا لأمر الله لا يردّه عنه شئ . قال : فلما رأت قريش محمدا أبا طالب عنه وقيامه دونه ، وامتناعه من أن يسلمه، مشى إليه رجال من أشراف قريش ؛ منهم عتبة بن ربيعة ، وشيبة أخوه ، وأبو سفيان بن حرب ، وأبو البختري بن هشام ، والأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل عمرو بن هشام ،

---

(١) لا يخلص إليك شئ ؛ أى لا يوصل إليك ، قال : خلصت إليه ، أى وصلت إليه

(٢) ابن هشام : « وذكروا »

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٥

والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبّه ابنا الحجاج؛ وأمثالهم من رؤساء قريش. فقالوا: يا أبا طالب، إنّ ابنَ أخيك قد سبّ آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أحلامَنا ، وضلّل آراءنا ؛ فإمّا أنْ تكفّه عنّا ، وإمّا أن تُخَلِّيَ بيننا وبينه . فقال لهم أبو طالب قولًا رفيقا ، وردّهم ردًّا جميلا ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وآله عَلَى ماهو عليه ، يظهرُ دينَ الله ، ويدعو إليه ، ثم شرّق[1] الأمرُ بينه وبينهم ، تباعدا وتصاغنا[2] ، حتى أكثرت قريش ذكرَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله بينها ، وتدامروا فيه ، وحضّ بعضُهم بعضاً عليه ، فمشوْا إلى أبي طالب مرةً ثانية ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنّ لك سنًّا وشَرَفاً ومنزلة فينا ، وإنا قد استنْهيناك من ابن أخيك فلم تنهَه عنّا ، وإنا والله لا نصبر على شتْم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيْب آلهتنا ، فإمّا أن تكفّه عنّا أو تنازله وإيّاك[3] حتى يهلك أحدُ الفريقين . ثم انصرفوا ، فعظُم على أبي طالب فراقُ قومه وعداوتهم ، ولم تطِبْ نفسه بإسلام ابن أخيه لهم وخذلانه ، فبعث إليه فقال : يابنَ أخي ، إنّ قومك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا — للّذي قالوا — فأبق عليّ وعَلَى نفسك ، ولا تحمّلْني من الأمر مالا أطيقه . قال : فظنّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله أنّه قد بدا لعمّه فيه بَداء ، وأنّه خاذله ومسلمه ، وأنّه قد ضعف عن نصرته والقيام دونه ، فقال : ياعمّ ، والله لو وضعوا الشّمس في يميني والقمر في شِمالي على أنْ أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك . ثم استعبر باكيًا وقام ، فلما ولّى ناداه أبو طالب : أقبل يابن أخي ، فأقبل راجعا ، فقال له : اذهب يابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا[4] .

---

(١) ابن هشام : « ثم شرى الأمر بينه وبينهم » ، قال أبو ذر : معناه « كثر وتزايد » ، وأصله في البرق ، يقال : شرى البرق : اذا كثر لمعانه .

(٢) التصاغن : المعاداة .

(٣) تنازله وإياك : أي تحاربكما .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٦ — ٢٧٨

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب يذكر ما أجمعت عليه قريش من حَرْبه لمّا قام بنصر محمد صلى الله عليه وآله :

والله لن يَصِلُوا إليك بجمعهم ... حتى أُوَسَّدَ في التراب دفينا[1]

فانفُذ لأمرك ما عليك مخافةٌ ... وابشر وقرّ بذاك منه عيونا

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت قبل أمينا

وعرضت ديناً قد علمت بأنه ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامةُ أو حذاري سُبّةً ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

قال محمد بن إسحاق: ثم إنّ قريشاً حين عرفت أنّ أبا طالب قد أبى خِذلان رسول الله صلى الله عليه وآله وإسلامه إليهم ورأوا إجماعه على مفارقتهم وعداوتهم، مشوا إليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ — وكان أجمل فتىً في قريش — فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عُمارة بن الوليد، أنهى[2] فتىً في قريش وأجمله، فخذه إليك[3]، فاتخذه ولداً فهو لك، وأسلم لنا هذا ابن أخيك الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك لتقتله، فإنما هو رجلٌ برجل. فقال أبو طالب! والله ما أنصفتموني[4]! أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبداً. فقال له المطعم بن عديّ بن نوفل — وكان له صديقاً مصافياً — والله يا أبا طالب ما أراك تريد أن تقبل من قومك شيئاً! لعمري قد جهدوا في التخلص مما تكره وأراك لا تُنصفهم! فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني ولا أنصفتني، ولكنك قد أجمعت على خذلاني ومظاهرة[5] القوم عليّ! فاصنع ما بدا لك[6]!

---

(١) ديوانه ١٧٦، ١٧٧ (٢) ابن هشام: «أنهد فتى» أي أشده وأقوى.

(٣) ابن هشام: «فخذه فلك عقله ونصره».

(٤) ابن هشام: «والله لبئس ما تسومونني».

(٥) مظاهرة القوم، يريد إعانتهم. (٦) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٥

قال : فعند ذلك تنابذَ القوم وصارت الأحقاد ، ونادى بعضهم بعضاً ، وتدامروا بينهم على مَن في القبائل من المسلمين الذين اتبعوا محمداً صلى الله عليه وآله . فوثبت كلُّ قبيلة عَلَى منْ فيها منهم ، يعذّبونهم و يفتنونهم عن دينهم ، ومنعَ الله رسوله منهم بعمّه أبي طالب ، وقام في بني هاشم و بني عبد المطلب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع ، فدعاهم إلى ماهو عليه من مَنْع رسول الله صلى الله عليه وآله ، والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى مادعاهم إليه من الدّفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا ما كان من أبي لهب ، فإنه لم يجتمع معهم على ذلك ، فكان أبو طالب يرسل إليه الأشعار ، ويناشده النصر ، منها القطعة التي أولها :

حديثٌ عن أبي لَهَبٍ أتانا وكانَفَهُ على ذاكُمْ رجالُ

ومنها القطعة التي أولها :

أظننت عَنّي قد خذلت وعالني منك العوائلُ بعد شيب المكبرِ

ومنها القطعة التي أولها :

تستعرض الأقوام توسعهمْ عُذْراً وما إن قلتَ مِن عُذرِ

قال محمد بن إسحاق : فلم يؤثر عن أبي لهب خير قطّ إلا ما يروى أنّ أبا سلمة بن عبد الأسد المخزوميّ ؛ لمّا وثب عليه قومه ليعذّبوه و يفتنوه عن الإسلام هرب منهم ؛ فاستجار بأبي طالب ، وأمّ أبي طالب مخزوميّة ، وهي أمّ عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله فأجاره ، فمشى إليه رجالٌ من بني مخزوم ، وقالوا له : ياأبا طالب ، هَمْكَ منعتَ منّا ابنَ أخيك محمّداً ، فمالك ولصاحبنا تمنعه منّا ! قال : إنّه استجار بي وهو ابن أختي ، وإن أنا لم أمنع ابنَ أختي لم أمنع ابن أخي ؛ فارتفعت أصواتهم وأصواته ، فقام أبو لهب ولم ينصر أبا طالب قبلها ولا بعدها ، فقال : يا معشرَ قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا

الشيخ ، لا تزالون تتوثبون عليه فى جواره من بين قومه ! أمَا والله لتنتهُنّ عنه أو لنقومن معه فيما قام فيه حتى نبلغ ما أراد . فقالوا : بل ننصرف عمّا تكره يا أبا عُتْبة : فقاموا فانصرفوا ، وكان وليًّا لهم ومعينا على رسول الله صلى الله عليه وآله وأبى طالب ، فاتّقوه وخافوا أن تحمله الحميّة على الإسلام ، فطمع فيه أبو طالب حيث سمعه قال ما قال ، وأمّل أن يقوم معه فى نُصرة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال يحرّضه على ذلك :

وإن امرأً أبو عُتْبة عمُّه ... لفى مَعْزِلٍ من أن يُسام المظالِما[1]

ولا تقبلنّ الدهرَ ما عشتَ خطّةً ... تُسبّ بها إمّا هبطتَ المواسِما[2]

أقول له وأين منه نصيحتى ... أبا عُتْبة ثبّتْ سوادك قائما

وولّ سبيل العجز غيرك منهم ... فإنك لم تخلق على العجز لازما

وحارب فإنّ الحرب نصف ولن ترى ... أخا الحرب يُعطى الخسف حتى يُسالما

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ... ولمّا تروا يوما من الشعب قائما

وقال يخاطب أبا لهب أيضاً :

عجبتُ لحلمٍ يا ابن شيبة عازبٍ ... وأحلام أقوامٍ لديك سِخافِ[3]

يقولون شايع مَنْ أراد محمّدا ... بظلم وقُمْ فى أمره بخلافِ

أصاميمُ إما حاسد ذو خيانة ... وإما قريب عنك غير مصافِ

فلا تركبنّ الدهر منه ذمامةً ... وأنت امرؤٌ من خير عبد مناف

ولا تتركنّه ما حييت لمعظمٍ ... وكن رجلًا ذا نجدةٍ وعفافِ

يذودُ العدا عن ذروةٍ هاشميّةٍ ... إلا فهمُ فى الناس خيرُ إلافِ

فإنّ له قُرْبى لديك قريبةً ... وليس بذى حِلْفٍ ولا بمُصافِ

ولكنّه من هاشمٍ ذى صميمها ... إلى أبحرٍ فوق البحور طوافِ

---

(١) ديوانه ١٦٢ ، ١٦٣ (٢) ديوانه ٩٠ (٣) ديوانه : « أبا معتب » .

وزاحمْ جميع الناس عنه وكنْ له ... وزيراً على الأعداء غيرَ محافِ
وإن غضبت منه قريشٌ فقلْ لها ... بنى عمنا ما قومُكمْ بضعافِ
وما بالُكمْ تَعْشَوْنَ منه ظُلَامَةً ... وما نالُ أحمادٍ هناك حوافِ
فما قومُنا بالقوم يحشَوْن ظلمَنا ... وما نحنُ فيما ساءهم بمخافِ
ولكنّنا أهل الحفائظ والنهى ... وعزٍّ بيطحاء المشاعر وافِ

قال محمد بن إسحاق : فلمّا طال البلاء على المسلمين والفتنة والعذاب ، وارتدّ كثير عن الدين باللسان لا بالقلب ، كانوا يدّ عذّبوهم يقولون : نشهد أنّ هذا الله ، وأن اللات والعُزّى هي الآلهة ، فإذا حلّوا عنهم عادوا إلى الإسلام ، لخبثهم وأوثقوهم بالقِدّ ، وجعلوهم في حرّ الشمس على الصَّخْر والصَّفا ، ومتدّت أيّام البلاء عليهم ولم يَصِلوا إلى محمّد صلى الله عليه وآله لقيام أبي طالب دونه ، وأجمعت قريش على أن يكتبوا بينهم وبين بني هاشم صحيفةً يتعاقدون فيها ألّا يناكحوهم ولا يبايعوهم ، ولا يجالسوهم ، فكتبوها وعلّقوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ! وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ . فلمّا فعلوا ذلك انحازت هاشم والمطّلب ، فدخلوا كلّهم مع أبي طالب في الشِّعب ، فاجتمعوا إليه ، وخرج منهم أبو لهب إلى قريش فظاهرها على قومه .

قال محمد بن إسحاق : فصاق الأمر ببني هاشم وعدموا القوت ، إلّا ما كان يحمل إليهم سرًّا وخفية ؛ وهو شيء قليل لا يُميك أرماقهم ، وأخافتهم قريش ؛ فلم يكن يظهر منهم أحدٌ ، ولا يدخل إليهم أحد ، وذلك أشدّ ما لقيَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته بمكّة .

قال محمد بن إسحاق : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا ألّا يصل إليهم

شيء إلا القليل سرًّا ممّن يريد صلتهم من قريش ؛ وقد كان أبو جهل بن هشام لقي حكيم ابن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزّى ، معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمّته خديجة بنت خويلد — وهي عند رسول الله محاصرة في الشِّعب — فتعلق به ، وقال: أتحمل الطّعام إلى بني هاشم ! والله لا تبرح أنت وطعامُك حتى أفضحك بمكة ! فجاءه أبو البختريّ العاص ابن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العُزّى ، فقال : مالك وله ! قال : إنه يحمل الطعام إلى بني هاشم ، فقال أبو البختريّ : يا هذا ، إنّ طعاما كان لعمته عنده بعثت إليه فيه ؛ أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ! خلّ سبيل الرّجل ، فأبى أبو جهل حتى نال كلٌّ منهما مِنْ صاحبه، فأخذ له أبو البختريّ بلحى بعير فضربه به فشجّه ووطئه وطأ شديداً . فانصرف وهو يكره أنْ يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وبنو هاشم بذلك ، فيشمتوا ، فلما أراد الله تعالى من إبطال الصّحيفة، والفَرَج عن بني هاشم من الضِّيق والأمْر الذي كانوا فيه ، قام هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ في ذلك أحسن قيام . وذلك أنّ أباه عمرو بن الحارث كان أخا لنضلة بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ من أمه ، فكان هشام بن عمرو يحسب لذلك واصلاً بني هاشم ؛ وكان ذا شرف في قومه بني عامر بن لؤي ، فكان يأتي بالبعير ليلا وقد أوقره طعاما ، وبنو هاشم وبنو المطّلب في الشِّعب ، حتى إذا أقبل به على فم الشِّعب خلع خطامه من رأسه ، ثم يضربه على جَنْبه ، فيدخل الشِّعب عليهم ثم يأتي به مرّة أخرى ، وقد أوقره تمراً ، فيصنع به مثل ذلك .

ثم إنّه مشى إلى زُهير بن أبي أميّة بن المغيرة المخزوميّ ، فقال : يا زهير ، أرضيتَ أن تأكل الطعام وتشرب الشراب وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ؛ وأخوالك حيث قد علمت لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ، ولا يواصلون ولا يزارون ! أما إني أحلف لو كان أخوالك أبو الحكم بن هشام ودعوته إلى مثل ما دعاك

إليه منهم ما أجابك أبداً . قال : ويحكَ يا هشام ! فما ذا أصنع ! إنما أنا رجلٌ واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لقمتُ في نقض هذه الصحيفة القاطعة . قال : قد وجدت رجلًا ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ، قال زهير . انعما ثالثا ، فذهب إلى المطعم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : يا مطعم ، أرضيت أن يهلك بطنان من عبد مناف جوعاً وجَهْداً وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتموهم من هذا لتجدنّ قريشا إلى مساءتكم في غيره سريعة قال : ويحك ماذا أصنع ! إنما أنا رجل واحد ،قال : قد وجدت ثانيا ، قال: مَنْ هو ؟قال : أنا قال : انعم ثالث ، قال : قد وجدت، قال :مَنْ هو؟ قال : زهير بن أميّة ، قال أنا ، قال انعما رابعا ، فذهب إلى أبي البختريّ بن هشام ،فقال له نحو ما قال للمطعم ، قال : وهل من أحدٍ يعين على هذا ؟ قال . نعم وذكرهم ، قال : فانعما حامسا ، فمضى إلى زَمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى فكلّمه ، فقال : وهل يعين على ذلك من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمّى له القوم ، فاجتمعوا جَمْع الحجون ليلًا بأعلى مكة ، وأجمعوا أمرهم ، وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها . وقال زهير : أنا أبدؤكم وأكون أوّلكم يتكلّم ، فلمّا أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أميّة عليه حلّة له . فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس ، فقال : يا أهل مكّة ، أنأكل الطعام ، ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب و بنو هاشم هَلْكى ! والله لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ! وكان أبو جهل في ناحية المسجد ، فقال : كذبت والله لا تشقّ ! فقال زَمْعة بن الأسود لأبي جهل : وأنت والله أكذب ، ما رضينا والله بها حين كُتِبتْ . فقال أبو البختريّ معه : صدق والله زَمْعة ، لا نرضى بها ولا نقرّ بما كتب فيها ! فقال المطعم بن عديّ: صَدَقتما والله ، وكذب مَنْ قال غير ذلك؛ نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها . وقال هشام بن عمرو من نحو هذا من قولهم ، فقال أبو جهل : هذا أمر قضيَ بليل ، وقام مطعم بن عديّ إلى الصحيفة فخرقها وشقّها ، فوجد الأرَضة قد أكلتها ، إلا

ما كان من «باسمك اللهم» ،قالوا: وأمّا كاتبها منصور بن عكرمة فشلّت يده فيما يذكرون. فلمّا مزّقت الصحيفة خرج بنو هاشم من حصار الشّعب

قال محمد بن إسحاق : فلم يزل أبو طالب ثابتاً صابرا مستمرّاً على نصر رسول الله صلى الله عليه وآله وحمايته والقيام دونه ، حتى مات فى أوّل السنة الحادية العشرة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله فطمعت فيه قريش حينئذ ، ونالت منه ، فخرج عن مكّة خائفا يطلُب أحياء العرب ، يعرض عليهم نفسه ، فلم يزل كذلك حتى دخل مكّة فى جوار المطعِم بن عدىّ ؛ ثم كان من أمره مع الخزرج ما كان ليلة العقبة .

قال : ومن شعر أبى طالب الذى يذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وقيامه دونه :

أرقتَ وقد تصوّبتِ النجومُ ... وبتّ ولا تسالمك الهمومُ (١)
لِظُلم عشيرةٍ ظلموا وعقوا ... وعبّ عقوقهم لهمُ وخيمُ
همُ انتهكوا المحارمَ من أخيهمْ ... وكلّ فعالهم دَنسٌ ذميمُ
وراموا خطّة جوراً وظُلماً ... وبعضُ القول ذو جَنَفٍ مُليمُ
لتخرجَ هاشماً فتكونَ منها ... بلاقعَ بطنُ مكّة فالحطيمُ
فمهلاً قومنا لا تركبونا ... بمظلمة لها خَطْبٌ جسيمُ !
فيندمَ بعضُكم ويذلّ بعضٌ ... وليس بمفلحٍ أبداً ظلومُ
أرادوا قتل أحمدَ راعميه ... وليس بقتله منهمْ زعيمُ
ودُونَ مُحمّدٍ منّا ندىٌّ ... همُ العربين والعُضْوُ الصّميمُ

ومن ذلك قوله :

وقالوا لأحمد أنت امرؤٌ ... خَلُوفُ الحديثِ ، ضعيفُ السَّبَبْ

---

(١) ديوانه ١٤٩

وإن كان أحمـــدُ قد جاءهُمْ ... بصـــدقٍ ولم يأتِهِمْ بالكَذِبْ
فإنّا ومَنْ حَجَّ مِنْ رَاكِبٍ ... وكعبة مكة ذات الحُجُبْ
تنالون أحمـــــدَ أو تصطَلُوا ... طُلَاةَ الرِّمَاحِ وحَـــدَّ القُضُبْ
وتغـــــترفوا بين أبياتِكُمْ ... صُـــدورَ العوالِي وخَيْلًا شُزُبْ
تُراهنّ من بين صَافِ السَّبِيبِ ... قصـــير الحِرَام طويل اللَّبَبْ
عليهـــا صناديدُ مِنْ هَاشِمٍ ... هُمُ الأعْصُرون مـــع المنتَحَبْ

* * *

وروى عبد الله بن مسعود ، قال لما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وآله من قَتْلى بدر ، وأمر بطرحِهم في القَليب ، جعل يتذكّر من شعر أبي طالب بيتا فلا يحضرُه ، فقال له أبو بكر : لعلّه قولُه يارسول الله :

وإنّ لعمرُ الله إنْ حَـــقَّ جَدُّهُ ... تنتسِرْ أهيافُـــا بالأماثل (١)

فسُرّ بتقريرِه بالبيت ، وقال : إي لعمر الله ، لقد انتسخت .

ومن شعر أبي طالب قوله :

ألا أبْلِغَا عَـــنّي لُؤيًّا رِسَالَةً ... بحقٍّ وما تغني رسالةُ مرسلِ (٢)
بني عَمِّنا الأدْنَيْنَ فيما يخصُّهُمْ ... وإخواننا من عبدِ شمس ونوفلِ
أطاهرتُمُ قوما علينـــا سَفَاهَةً ... وأمرا غَوِيًّا من غُواةٍ وَجُهَّـــلِ
يقولون لو أنّا قَتَلْنَا مُحَمَّـــداً ... أقرّتْ نواصي هاشم بالتـــذلُّلِ
كذبتم وربِّ الهَدْيِ تدمى نحورُه ... بمكّة ، والبيتِ العتيقِ المُقَبَّـــلِ
تنالونَهُ ، أو تصطلوا دونَ نَيْلِهِ ... صوارمَ تفري كلَّ عُضْوٍ ومفصلِ
فمهلًا ولمّا تنتج الحربُ بكْرَها ... بحيـــلٍ تمام ، أو بآخر مُعْجِلِ

---

(١) ديوانه ١١١ (٢) ديوانه ١٣٧

وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً ... على رَبْوَةٍ فى رأس عَنْقاء عَيْطَلِ
وتأوى إليه هاشمٌ، إنّ هاشما ... عَرانين كعبٍ آخرٌ نَعْدَ أوّلِ
فإن كنتمُ ترجون قتلَ محمدٍ ... فرُومُوا بما حَمَّتْمُ نَقْلَ يَذْبُلِ
فإنّا سنحميه بكلّ طِمِرّةٍ ... ودى مَيْعَةٍ نَهْدِ المراكِل هَيْكَلِ
وكلّ رُدَيْنِيّ ظِماءٍ كعوبُهُ ... وعضب كإيماض العَمامة مِفْصَلِ

* * *

قلت : كان صديقنا علىّ بن يحيى البطريق رحمه الله ، يقول : لولا حاسّة السوء وسرّها لما كان مثلُ أبى طالب ، وهو شيخ قريش ورئيسُها وذو شرفها ، يمدح ابنَ أخيه محمدا ، وهو شابٌّ قد رُبِّىَ فى حِجْره وهو بتيمه ومكفوله ، وجارٍ مجرَى أولادِه ، مثل قوله .

وتلقوا رَبيعَ الأبطحين محمّـــداً ... على رَبْوَةٍ فى رأسِ عَنْقاء عَيْطَلِ
وتأوى إليـــــه هاشمٍ ، إنّ هاشما ... عرانين كعبٍ آخرٌ نعـــدَ أوّلِ

ومثل قوله :

وأبيضَ يُستَسْقَى الغمامُ بوجهِهِ ... ثِمالُ اليتامَى عِصْمَةٌ للأرامِلِ
يُطيف به الهُـــلّاك من آل هاشمٍ ... فهم عنده فى نعمةٍ وفواصـــــلِ

فإن هـذا الأسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والدُّنابى من الناس ، وإنما هو من مديح الملوك والعظماء ، فإذا تصوّرت أنّه شعر أبى طالب ، ذاك الشيخ المبجّل المعظّم فى محمد صلى الله عليه وآله ، وهو شابٌّ مستجير به ، معتصم بحبله من قريش ، قد رُبّاه فى حِجْره غُلاما ، وعلى عاتقه طفلا ، وبين يديه شابًّا ، يأكل من زاده ، ويأوى إلى داره ، علمت موضع خاصّيّة السوء وسرّها ، وأن أمره كان عظيما ، وأنّ الله تعالى أوقع فى القلوب والأنفس له منزلة رفيعة ومكانا جليلا .

* * *

وقرأت فى " أمالى أبى جعفر محمد بن حبيب " رحمه الله ، قال : كان أبو طالب إذا رأى رسولَ الله صلى الله عليه وآله أحياناً يبكى ويقول : إذا رأيتُه ذكرت أخى ، وكان عبد الله أخاه لأبويه ، وكان شديد الحبّ والحنوّ عليه ، وكذلك كان عبدُ المطّلب شديدَ الحبّ له ، وكان أبو طالب كثيرا ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله البيات إذا عرف مضجعه ، فكان يقيمُه ليلا من منامه ، ويُضجِع ابنَه عليا مكانَه ، فقال له علىٌّ ليلة : ياأبت ، إنّى مقتول ، فقال له :

اصبرنْ يا بُنىّ فالصبر أحْجَى ... كلّ حىٍّ مصيرُه لِشَعُوبِ (١)
قدّر اللهُ والبلاء شديدٌ ... لفداء الحبيب وابن الحبيبِ
لِفداء الأغرّ ذى الحسَب الثّا ... قب والباع والكريم النجيبِ
إن تصبْك المنون فالنّبل تَبْرِى ... فمصيبٌ منها ، وغيرُ مصيبِ
كلُّ حىّ وإن تملّى بعمرٍ ... آخذٌ من مَذاقِها بنصيبِ

فأجاب على عليه السلام ، فقال له :

أتأمرنى بالصّبْرِ فى نصرِ أحمدٍ ... ووالله ماقلت الّذى قلت جازعا (٢)
ولكنّنى أحببت أن ترى نصرتى ... وتعلم أنّى لم أزلْ لك طائعا
سأسعى لوجه اللهِ فى نصر أحمدٍ ... نبىّ الهدى المحمود طِفلاً ويافِعا

* * *

[القول فى المؤمنين والكافرين من بنى هاشم]

الفصل الثانى : فى تفسير قوله عليه السلام « مؤمننا يبغى بذلك الأجر ، وكافرنا يحامى عن الأصل ، ومن أسلم من قريش خلوٌ ممّا نحن فيه لحلف يمنعُه ، أو عشيرة تقوم دونه ،

(١) ديوانه ٤١ ، وشعوب : المنية .
(٢) ديوان أبى طالب ٤١

فهم من القتل بمكان أمن » ، فنقول : إنّ بنى هاشم لما حُصِروا فى الشِّعب بعد أن مَنَعُوا رسول الله صلى الله عليه وآله من قُريش ، كانوا صِنْفين : مسلمين وكفارا ، فكان علىٌّ عليه السلام وحمزة بن عبد المطلب مسلمين .

واختلف فى جعفر بن أبى طالب : هل حُصِر فى الشِّعب معهم أم لا ؟ فقيل : حُصِر فى الشِّعب معهم ، وقيل : بل كان قد هاجر إلى الحبشة ، ولم يشهد حِصَار الشِّعب ، وهذا هو القول الأصحّ . وكان من المسلمين المحصورين فى الشِّعب مع بنى هاشم عُبيدة بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف ؛ وهو وإن لم يكن من بنى هاشم إلّا أنّه يجرى مجراهم ، لأن بنى المطّلب وبنى هاشم كانوا يداً واحدة ، لم يفترقوا فى جاهليّة ولا إسلام .

وكان العبّاس رحمه الله فى حِصَار الشِّعب معهم إلّا أنّه كان على دين قومه ، وكذلك عقيل بن أبى طالب ، وطالب بن أبى طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطّلب ، وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، وابنه الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب — وكان شديداً على رسول الله صلى الله عليه وآله ، يُبغضه ويَهْجوه بالأشعار ، إلّا أنه كان لا يرضى بقتله ، ولا يقارّ قريشاً فى دمه ؛ محافظة على النسب — وكان سيّد المحصورين فى الشِّعب ورئيسهم وشيخهم أبو طالب بن عبد المطّلب ، وهو الكافل والمحامى .

* * *

[اختلاف الرأى فى إيمان أبى طالب]

واختلف الناس فى إيمان أبى طالب[1] ، فقالت الإمامية وأكثر الزّيدية : ما مات إلّا مسلما .

(١) ب : « فيه » ، وما أثبته من ا

وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك ، منهم الشيخ أبو القاسم البلخى وأبو جعفر الإسكافى وغيرهما .

وقال أكثر الناس من أهل الحديث والعامّة من شيوخنا البصريين وغيرهم : مات على دين قومه ، ويروُون فى ذلك حديثا مشهورا ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له عند موته : قُلْ ياعمّ كلمةً أشهد لك بها عداً عند الله تعالى ، فقال : لولا أن تقول العرب : إنّ أبا طالب جَزِع عند الموت لأقررت بها عينك .

وروى أنّه قال : أنا على دين الأشياخ .

وقيل إنّه قال : أنا على دين عبد المطلب . وقيل غير ذلك .

وروى كثير من المحدّثين أنّ قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ . ﴾[1] الآية ، أنزلت فى أبى طالب ، لأنّ رسول الله استغفر له بعد موته .

وروَوْا أنّ قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[2] نزلت فى أبى طالب .

وروَوْا أنّ عليا عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد موت أبى طالب ، فقال له : إنّ عمك الضالّ قد قضى ، فما الذى تأمرنى فيه ؟

واحتجّوا بأنه لم يَنْقُل أحدٌ عنه أنّه رآه يصلّى ، والصلاة هى المفرّقة بين المسلم والكافر ، وأنّ عليا وجعفرا لم يأخذا من تركته شيئاً ، وروى عن النبىّ صلّى الله عليه وآله أنه قال : « إنّ الله قد وعدنى بتخفيف عذابه لِما صَنَع فى حقّى ، وإنّه فى ضحضاح من نار » .

وروى عنه أيضاً أنّه قيل له : لو استغفرتَ لأبيك وأمّك ! فقال : « لو استغفرتُ لهما لاستغفرتُ لأبى طالب ؛ فإنه صبر إلىّ مالم يصبرا ، وإنّ عبد الله وآمنة وأبا طالب جمراتٌ من جمرات جهنّم » .

---

(١) سورة التوبة ١١٣، ١١٤ (٢) سورة القصص ٥٦

فأما الذين زعموا أنه كان مسلماً، فقد رووا خلاف ذلك، وأسندوا خبراً إلى أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال لي جبرائيل: إن الله مشفعك في ستة: بطن حملتك: آمنة بنت وهب، وصلب أنزلك: عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفلك: أبي طالب، وبيت آواك: عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية - قيل: يا رسول الله، وما كان فعله؟ قال: كان سخياً يطعم الطعام، ويجود بالنوال - وثدي أرضعتك: حليمة بنت أبي ذؤيب.

قلت: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد عن هذا الخبر، وقد قرأته عليه: هل كان لرسول الله صلى الله عليه وآله أخ من أبيه أو من أمه أو منهما في الجاهلية؟ فقال: لا، إنما يعني أخاً له في المودة والصحبة، قلت له: فمن هو؟ قال: لا أدري.

قالوا: وقد نقل الناس كافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية، فوجب بهذا أن يكون آباؤه كلهم منزهين عن الشرك، لأنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرين.

قالوا: وأما ما ذكر في القرآن من إبراهيم وأبيه آزر، وكونه كان ضالاً مشركاً، فلا يقدح في مذهبنا، لأن آزر كان عم إبراهيم؛ فأما أبوه فتارخ بن ناحور، وسمي العم أباً، كما قال: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ﴾ (١)، ثم عد فيهم إسماعيل وليس من آبائه، ولكنه عمه.

قلت: وهذا الاحتجاج عندي ضعيف، لأن المراد من قوله: «نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية» تنزيه آبائه وأجداده وأمهاته عن السفاح لا غير؛ هذا مقتضى

---

(١) سورة البقرة ١٣٣

سياقة الكلام ، لأنّ العرب كان يعيبُ بعضها بعضا باختلاط المياه واشتباه الأنساب ونكاح الشبهة .

وقولهم : لو كانوا عَدَدَ أصنامهم كانوا طاهرين ؛ يقال لهم : لم قلتم : إنهم لو كانوا عَدَدَ أصنامهم كانوا طاهري الأصلاب ؟ فإنه لا مساواةَ بين طهارة الأصلاب وعبادة الصنم ، ألا ترى أنه لو أراد مازعموه من ذكر الأصلاب والأرحام ، بل حمل عوضها العقائد . واعتذارهم عن إبراهيم وأبيه يقدح في قولهم في أبي طالب . لأنه لم يكن أبا محمد صلى الله عليه وآله . بل كان عمّه ، فإذا جاز عندهم أن يكون العمّ — وهو آزر — مشركا كما قد اقترحوه في تأويلهم ، لم يكن لهم حُجّة من بعد التوجه على إسلام أبي طالب

واحتجّوا في إسلام الآباء بما روى عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : يبعث الله عبدَ المطلب يوم القيامة وعليه سيما الأنبياء وبهاء الملوك

وروى أنّ العبّاس بن عبد المطلب قال لرسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة : يارسولَ الله ، ماترجو لأبي طالب ؟ فقال : أرجو له كلّ خير من الله عزّ وجلّ

وروى أنّ رجلاً من رجال الشيعة ، وهو أبان بن محمود كتب إلى عليّ بن موسى الرضا عليه السلام . جُعلتُ فداك ! إني قد شككتُ في إسلام أبي طالب ! وكتب إليه : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] . الآية ، وبعدها إنك إن لم تقرّ بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار .

وقد روى عن عليّ بن محمد الباقر عليه السلام أنه سئل عمّا يقوله الناس : إنّ أبا طالب في ضَحْضاح من نار ؛ فقال : لو وضع إيمان أبي طالب في كفّة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه . ثم قال : اعلموا أنّ أمير المؤمنين عليا عليه السلام كان يأمر أن يحجّ عن عبد الله وأبيه [2] وأبي طالب في حياته ، ثم أوصى في وصيته بالحجّ عنهم !

وروى أنّ أبا بكر جاء بأبي قحافة إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله عامَ الفتح يقوده ،

---

(١) سورة النساء :

(٢) في الأصول : « وأمه » .

وهو شيخ كبير أعمى ، فقال رسول الله : ألا تركت الشيخ حتى نأتيه ! فقال : أردتُ يارسول الله أن يزوره الله! أما والذى بعثك بالحق لأنا كنت أشدّ فرحا بإسلام عمك أبى طالب منّى بإسلام أبى ، ألتمس بذلك قرّة عينك ، فقال : صدقت .

وروى أنّ علىّ بن الحسين عليه السلام سئل عن هذا ، فقال : واعجبا ! إن الله تعالى نهى رسوله أن يقرّ مسلمة على نكاح كافر ، وقد كانت فاطمة بنت أسد من أنضم إلى الإسلام ، ولم تزل تحت أبى طالب حتى مات

ويروى قوم من الزيدية أنّ أبا طالب أسند المحدّثون عنه حديثا ينتهى إلى أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : سمعتُ أبا طالب يقول بمكة . حدّثنى محمد بن أحمى أنّ ربّه بعثه بصلة الرحم ، وأن يعبده وحده لا يعبد معه غيره ، ومحمد عندى الصادق الأمين .

وقال قوم : إنّ قول النبىّ صلّى الله عليه وآله . «أنا وكافلُ اليتيم كهاتين فى الجنة» إنما عنى به أبا طالب .

وقالت الإمامية : إنّ ما يرويه العامة من أنّ عليا عليه السلام وجعفرا لم يأخذا من تركة أبى طالب شيئاً حديث موضوع ، ومذهب أهلِ البيت بخلاف ذلك ، فإن المسلم عندهم يرثُ الكافر ، ولا يرثُ الكافرُ المسلم ، ولو كان أعلى درجة منه فى النسب .

قالوا : وقوله صلى الله عليه وآله : « لا توارث بين أهل ملّتين » ، فمحمول على وجهه ، لأنّ التوارث تفاعل ، ولا تفاعل عندنا فى ميراثهما ، وإنما يستدعى الطرفين ، كالتضارب لا يكون إلّا من اثنين ، قالوا : وحُبُّ رسولِ الله صلى الله عليه وآله لأبى طالب معلوم مشهور ، ولو

كان كافرا ما جاز له حبّه لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . . . ﴾[1] الآية .

قالوا : وقد اشتهر واستفاض الحديث وهو قوله صلى الله عليه وآله لعقيل : « أنا أحبّك حُبّين : حبًّا لك ، وحبًّا لحبّ أبي طالب فإنه كان يحبّك » .

قالوا : وخطبة النكاح مشهورة ، خطبها أبو طالب عند نكاح محمد صلى الله عليه وآله خديجة ، وهي قوله: « الحمدُ لله الذي جعلنا من ذرّيّة إبراهيم وزرع إسماعيل ، وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا ، وجعلنا الحكّام على الناس . ثم إنّ محمد بن عبد الله أخي مَنْ لا يوازَن به فتًى من قريش إلا رجَح عليه برًّا وفضلا ، وحزما وعقلا ، ورأيا ونُبلا ، وإن كان في المال قُلٌّ فإنما المال ظلّ زائل ، وعاريّةٌ مسترجَعة ، وله في خديجة بنت خُوَيلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصَّداق فعليّ ، وله والله بعدُ نبأ شائع وخطب جليل » .

قالوا : أفتراه يعلم نبأه الشائع وخطبه الجليل ، ثم يعانده ويكذّبه ، وهو من أولي الألباب ، هذا غير سائغ في العقول !

قالوا : وقد روى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إنّ أصحابَ الكهف أسرّوا الإيمان ، وأظهروا الكفر فآتاهم الله أجرَهم مرتين ، وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان ، وأظهر الشرك ، فآتاه الله أجره مرتين .

وفي الحديث المشهور : إنّ جبرائيل عليه السلام قال له ليلة مات أبو طالب : اخرج منها فقد مات ناصرُك .

قالوا : وأما حديث الضّحضاح من النار ، فإنما يرويه النّاس كلُّهم عن رجل واحد ، وهو المغيرة بن شعبة ، وبعضه لبني هاشم وعلى الخصوص لعليّ عليه السلام مشهور معلوم ، وقصته وفسقه غير خافٍ .

---

(١) سورة المجادلة ٢٢

وقالوا: وقد رُوِيَ بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبد المطلب ، و بعضها عن أبي بكر بن أبي قُحافة، أنّ أبا طالب مامات حتى قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله . والخبر مشهور أنّ أبا طالب عند الموت قال كلاما خفيًّا ، فأصغى إليه أخوه العباس ، ثم رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يابن أخي ، والله لقد قالها عمّك ، ولكنه ضعف عن أن يبلغك صوته .

وروى عن علي عليه السلام أنه قال : مامات أبو طالب حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه الرضا .

* * *

قالوا : وأشعار أبي طالب تدلّ على أنه كان مسلما ، ولا فرق بين الكلام المنظوم والمنثور إذا تضمنا إقرارا بالإسلام ، ألا ترى أنّ يهوديًّا لو توسّط جماعة من المسلمين ، وأنشد شعرا قد ارتجله ونظمه يتضمّن الإقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله ، لكنّا نحكم بإسلامه كما لو قال : أشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله ! فمن تلك الأشعار قوله[1] :

يُرجُّون منّا خطّة دون نيلها ... ضِرابٌ وطعنٌ بالوشيج المقوَّمِ
يرجُّون أن نحيا بقتل محمّد ... ولم تختضب سمرُ العوالي من الدّمِ
كذبتم وبيتِ الله حتى نُطلّقوا[2] ... جماجمَ تُلقى بالخطيم ورمرم
وتُقطَع أرحامٌ وتنسى حليلةٌ ... حليلاً ، ويُمشى محرَمٌ بعد محرَمِ
على مامضى من مقتكم وعقوقكم ... وغشيانكم في أمركم كلّ مأثَمِ
وظلم نبيّ جاء يدعو إلى الهدى ... وأمر أتى مِنْ عند ذي العرش قيِّمِ

---

(١) ديوانه ١٥٢ ـ ١٥٤ ؛ من قصيدة أولها :

ألا مَنْ لِهَمٍّ آخرَ الليلِ مُعْتِمِ ... طوَالي وأخرى النجم لمّا تحتّمِ

(٢) الديوان : « تعرفوا » .

فَلَا تحسبونا مُسلِميه فمِثلُه إذا كان في قوم فليس بمسلَمِ

* * *

ومن شعر أبي طالب في أمر الصحيفة التي كتبتها قريش في قطيعة بني هاشم :

ألَا أبلغا عنّي على ذاتِ بينها لؤيًّا وخُصًّا من لؤيٍّ بني كعبِ (١)
ألم تعلمُوا أنّا وجدْنا محمّدا رسولًا كموسى خُطَّ في أوّل الكتْبِ
وأنّ عليه في العباد محبّة ولا حيْف فيمن خصّه الله بالحبّ (٢)
وأنّ الذي رَقَشْتُمُ في كتابكم يكون لكم يومًا كراغيةِ السَّقْبِ (٣)
أفيقوا أفيقوا قبل أن تُحفَر الرُّبَى ويصبحَ من لم يجنِ ذنبا كذي ذنب
ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعُوا أواصرَنا بعد المودّة والقرب
وتستحلبوا حَرْبًا عَوَانًا وزِنْمَا أمرّ على مَنْ ذَاقَهُ حَلَبُ الحرْبِ
فلسنا وبيتِ الله نُسلِم أحمدًا لِعَزّاء من غَصّ الزّمان ولا كرب
ولمّا تَبِنْ مِنّا ومنكمْ سوالفٌ وأيدٍ أُتِرّت بالمهنّدة الشُّهْبِ (٤)
بمعترَكٍ ضَيْق ترى قِصَد القَنا به والصباعَ العُرْجَ تعكِف كالشُّرْبِ (٥)
كأنّ مجال الخيل في حَجَراته وغمغمة الأبطال معركة الحرب
أليسَ أبونا هاشم شدّ أزرَهُ وأوصى بنيه بالطِّعان وبالضرب !
ولسنا نملّ الحرب حتى تملّنا ولا نشتكي ممّا ينوب من النُّكْبِ (٦)

---

(١) ديوانه ٢٠ ـ ٢٤ (٢) الديوان : « ولا خير ممن خصه الله » .
(٣) الرغاء : صوت الإبل . والسقب : ولد الناقة .
(٤) أترت : قطعت . والمهندة : السيوف .
(٥) قصد القنا : قطع الرماح المتكسرة
(٦) النكب والنكبة : المصيبة .

ولكنّا أهـــلُ الحفائظ والنُّهى ... إذا طار أرواح الكُماة من الرُّعبِ

ومن ذلك قوله :

فلا تُسفِهوا أحلامَكُم في محمّدٍ ... ولا تُنْسِموا أمرَ الغُواة الأشائمِ[1]

تمنيتُم أن تقتلوه وإنّما ... أمانيكم هذي كأحلام نائمِ

وإنّكمُ والله لا تقتلونَهُ ... وتَنزِعُ قطّعَ اللّحى والجماجمِ[2]

زعمتم بأنّا مسلمون محمّداً ... ولمّا نقاذف دونه ونزاحمِ

من القومِ معصالٌ أبيٌّ على الرّدى ... تمكّن في الفرعين من آل هاشمِ

أمينٌ حبيبٌ في العباد مسوّم ... مكرّم رَبٍّ فاهرٍ في الحواتمِ

يرَى الناسُ برهاناً عليه وهيبةً ... وما جهلوا في قومه مثلَ عالمِ

نبيٌّ أتاه الوحيُ من عند ربّهِ ... ومن بيعٍ لا يمرع بها سنُّ نادمِ

ومن ذلك قوله ـ وقد عصب لعثمان بن مظعون الجمحيّ ، حين عذّبته قريش ومالت منه :

أمِنْ تذكّرِ دهرٍ غيرِ مأمونِ ... أصبحتَ مكتئباً تبكي كمحزونِ[3]

أمْ مِنْ تذكّرِ أقوامٍ ذوي سفهٍ ... يغشَوْن بالظّلم مَنْ يدعو إلى الدّينِ

ألا تروْن ـ أدلّ الله حكمُهُ ... أنّا عصبنا لعثمان بن مَظْعُونِ

ونمنع الضّيم مَنْ يبغي مَضامَتَنا ... بكلّ مطّرِدٍ في الكفّ مسنُونِ

ومُرْهفاتٍ كأنّ المِلحَ حالطَها ... يُشْفَى بها الدّاء من هام المحانين

حتى نُمرّ رجالٌ لا حلومَ لها ... عند الصّعوبة بالإسماح واللّينِ

---

(١) ديوانه ١٥٥ ـ ١٥٨ ، من قصيدة مطلعها :

لِمَنْ أرْبُعٌ أقْوَيْنَ بَيْنَ القَوائِمِ ... فَمَنْ تَمْدَحاهِ الرِّيحِ التَّوائِمِ

(٢) الديوان . « اللاصم » .

(٣) ديوانه ١٧٣ .

أو تؤمنوا بكتابٍ مُنْزَلٍ عَجَبٍ عَلَى نبيٍّ كموسَى أو كذِي النّونِ (١)

قالوا : وقد جاء فى الخبر أنّ أبا جهل بن هشام جاء مرّة إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وهو ساجد وبيده حَجَر يريد أن يَرْضَخ به رأسَه، فلصق الحجرُ بكفّه فلم يستطع ماأراد ، فقال أبو طالب فى ذلك من جملة أبيات :

أفيقُوا بنى عَمّنا وانتهُو عن الغَىّ من بعضِ ذا المنطقِ (٢)
وإلّا فإنى إذاً خائف بوائقَ فى داركمْ تلتقِى (٣)
كما ذاق مَنْ كان من قَبْلِكم ثمود وعاد وماذا بَقِى !

ومنها :

وأعجب من ذاك فى أمركمْ عجائب فى الحجَر المُلصَقِ
بكفّ الذى قام من حِينِه إلى الصابر الصادق المتّقِى
فأثبته الله فى كفّه على رَغْمَةِ الخائن الأحمقِ

قالوا : وقد اشتهر عن عبد الله المأمون رحمه الله أنّه كان يقول : أسلم أبو طالب واللهِ بقوله :

نصرت الرّسولَ رسولَ المليكِ ببيضٍ تلالا كلمع البروقْ (٤)
أذُبُّ وأحمِى رسولَ الإلهِ حماية حامٍ عليه شفيقْ
وما إنْ أذبُّ لأعدائِه دبيبَ البكار حذار الفَنِيقْ (٥)
ولكن أزيرُ لهمْ سامياً كما زار ليثٌ بغيلٍ مضيقْ

(١) بعده فى الديوان .

يأتِى بأمرٍ جَلِىٍّ غيرِ ذِى عِوَجٍ كما تبيَّنَ فى آياتِ ياسينِ

(٢) ديوانه ٩٤

(٣) بعده فى الديوان :

تكونُ لغيرِكمُ عبرةً وربِّ المَغَارِبِ والمشْرِقِ

(٤) ديوانه ٩٨

(٥) الفنيق : الفحل المكرم على أهله .

قالوا : وقد جاء فى السِّيرَة ، وذكره أكثر المؤرخين ، أنّ عمرو بن العاص لمّا خرج إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفرَ بن أبى طالب وأصحابَه عند النجاشىّ ، قال :

تقول ابنتى أين أين الرحيلُ ... وما البينُ منّى بمستنكَرِ
فقلتُ دعينى فإنى امرؤٌ ... أريدُ النّجاشىّ فى جَعْفَرِ
لأكويَه عنده كَيّةً ... أقيمُ بها نخوة الأصغرِ
ولن أنثنى عن بَنِى هاشمٍ ... بما اسطعت فى الغَيْب والمحضَرِ
وعن عائب اللّات فى قوله ... ولولا رضا اللّات لم تمطرِ
وإنى لأشْنَى قريشٍ له ... وإن كان كالذّهب الأحمرِ

قالوا : فكان عمرو يُسمى الشانئ ابن الشانئ ، لأن أباه كان إذا مرّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بمكّة يقول له : والله إنّى لأشنؤك ، وفيه أنزل : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾[1] . قالوا . فكتب أبو طالب إلى النجاشىّ شعرا يحرّضه فيه على إكرام جعفر وأصحابه والإعراض عمّا يقوله عمرو فيه وفيهم ، من جملته :

ألا ليتَ شعرى كيف فى الناس جعفرٌ ... وعمرو وأعداء النّبى الأقاربُ ! [2]
وهل نال إحسانُ النجاشىّ جعفرا ... وأصحابه ، أمْ عاق عن ذاك شاغبُ !

فى أبيات كثيرة .

* * *

قالوا : وروى عن علىّ عليه السلام أنه قال : قال لى أبى : يابنىّ الزم ابنَ عمك ، فإنك تسلم به من كلّ بأس عاجل وآجل ، ثم قال لى :

إنّ الوثيقة فى لزوم محمّد ... فاشدد بصحبته على أيديكا

---

(١) سورة الكوثر.
(٢) ديوانه ٢٥

ومن شعره المناسب لهذا المعنى قوله :

إن عليـــا وجعفرا ثقتي ... عند ملمّ الزّمان والنّوب[1]
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما ... أخي لأمّي من بينهم وأبي
والله لا أخـــذل النبيّ ولا ... يخذله من بنيّ ذو حسب

* * *

قالوا : وقد جاءت الرّواية أنّ أبا طالب لمّا مات جاء عليّ عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فآذنه بموته ، فتوجّع عليه وحزن شديدا ، ثم قال له : امض فتولّ غسله ، فإذا رفعته على سريره فأعلمني ، ففعل فاعترضه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وهو محمول على رءوس الرّجال ، فقال : وصلتك رحم ياعمّ ، وجُزيت خيرا ! فلقد ربّيت وكفلت صغيرا ، ونصرت وآزرت كبيرا ! ثم تبعه إلى حفرته ، فوقف عليه ، فقال : أما والله لأستغفرنّ لك ، ولأشفعنّ فيك شفاعة يعجب لها الثقلان .

قالوا : والمسلم لا يجوز أن يتولّى غسل الكافر ، ولا يجوز للنبيّ أن يرقّ لكافر ، ولا أن يدعوَ له بخير ، ولا أن يمدّه بالاستغفار والشفاعة ، وإنما تولّى عليّ عليه السلام غسله ، لأن طالبا وعقيلا لم يكونا أسلما بعد ، وكان جعفر بالحبشة ، ولم تكن صلاة الجنائز شُرعت بعد ، ولا صلى رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة ، وإنما كان تشييعٌ ورقّةٌ ودعاء .

قالوا : ومن شعر أبي طالب يخاطب أخاه حمزة ، وكان يكنى أبا يعلى :

فصبرا أبا يعلى على دين أحمد ... وكن مظهرا للدين وفّقت صابرا
وحُطْ من أتى بالحق من عند ربه ... بصدقٍ وعزم لا تكن حَرْبُ كافرا
فقد سرّني إذ قلت إنك مؤمنٌ ... فكن لرسول الله في الله ناصرا

---

(١) ديوانه ٤٢

وبادِ قريشاً بالّذى قد أتيتـــــه جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا

قالوا : ومن شعره المشهور :

أنت النبيُّ محمـدُ قَرْمٌ أغرّ مسوَّدُ (١)

لمسوّدين أكارمٍ طابوا وطاب المولدُ

نعم الأرومة أصلُها عمرو الخِضَمّ الأوحدُ (٢)

هشم الرَّبيكة فى الجفا ن وعيشُ مكّة أنكدُ (٣)

فخرت بذلك سُنّةٌ فيها الخبيرة تثردُ (٤)

ولنا السقاية للحجيـــج بها يُمات العُنجدُ (٥)

والمأزمان وما حوتْ عرفاتُها والمسجدُ

أنى تضامُ ولم أمُتْ وأنا الشجاع العِرْبدُ (٦)

ونطاح مكّة لا يرى فيها نجيعٌ أسودُ

وبنو أبيك كأنّهمْ أسدُ العرين توقّدْ

ولقد عهدتك صادقاً فى القول لا تتزيّد

ما زالت تنطق بالصوا ب وأنت طِفْل أمردُ

قالوا : ومن شعره المشهور أيضاً قوله يخاطب محمدا ، ويسكّن جأشه ، ويأمره بإظهار الدعوة :

لا يمنعنّك من حقٍّ تقوم به أيدٍ تصولُ ولا سَلْق بأصوات (٧)

---

(١) ديوانه ٧٠ ـ ٧٢

(٢) الخضمّ : الكثير العطاء

(٣) الربيكة : طعم يعمل من تمر وأقط وسمن .

(٤) الخبيرة : الخبز ، وفى الأساس : « ثردت الخبز أثرده ، وهو أن تفته ثم تبله بمرق » .

(٥) العنجد : الزبيب .

(٦) العربد فى الأصل : الحية ؛ وهو كناية عن الشجاعة

(٧) ديوانه ٥٠

فإن كفّك كفّى إن بليت بهم ودون نفسك نفسى فى اللمّاتِ

ومن ذلك قوله ، ويقال إنها لطالب بن أبى طالب :

إذا قيل مَن خيرُ هذا الورى قبيلاً وأكرمُهم أشره[1] ؟
أناف لعبدِ مناف أبٌ وفضّله هاشم العزّهْ
لقد حلّ مجد بنى هاشمٍ مكان النعائم والثّروهْ
وخير بنى هاشم أحمد رسول الإله على فترهْ

ومن ذلك قوله :

لقد أكرم الله النبىّ محمدا فأكرمُ خلق الله فى النّاس أحمدُ[2]
وشقّ له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محمّد

وقوله أيضا ، وقد يروى لعلى عليه السلام :

ياشاهد الله علىّ فاشهدِ[3] أنّى على دين النبىّ أحمدِ
* مَنْ ضلّ فى الدين فإنى مهتدِ *

قالوا : فكلّ هذه الأشعار قد حماها مجىء التواتر ، لأنه إن لم تكن آحادها متواترة ، فمجموعها يدلّ على أمر واحد مشترك ؛ وهو تصديق محمد صلى الله عليه وآله ، ومجموعها متواتر كما أنّ كلّ واحدة من قتلات على عليه السلام الفرسان منقولة آحادا ، ومجموعها متواتر ، يفيدنا العلم الضرورىّ بشجاعته ، وكذلك القول فيما رُوِى من سخاء حاتم ، وحلم الأحنف ومعاوية ، ودكاء إياس وحلاعة أبى نواس ، وغير ذلك ، قالوا : واتركوا هذا كلّه جانبا ، ما قولكم فى القصيدة اللامية التى شهرتها كشهرة " قفا نبك " وإن جاز الشكّ فيها أو فى شىء من أبياتها ، جاز الشك فى " قفا نبك " وفى بعض أبياتها ، ونحن نذكر منها هاهنا قطعة وهى قوله :

---

(١) ديوانه ٥٠
(٢) ديوانه ٧٥
(٣) ديوانه ٧٥

أعوذ بربّ البيت من كلّ طاعنٍ ... عليه بسوء أو يلوح بباطلِ (١)

ومن فاجر يعتابنا بمغيبةٍ ... ومنْ ملحق في الدّين مالم يحاولِ

كذبتم وبيتِ الله يُبْرَى ... ولمّا نطاعنْ دونه ونناضل (٢)

وننصره حتى نصرّعَ دونه ... ونذهل عن أبنائنا والحلائلِ

وحتّى ترى ذا الرّدْع يركب رَدْعَهُ ... من الطّعن فعل الأنكب المتحامل (٣)

وينهض قومٌ في الحديد إليكمُ ... نهوض الرّوايا تحت ذات الصّلاصل (٤)

وإنّا وبيت الله مَنْ جَدّ جدّنا ... لتلتبسنْ أسيافُنا بالأماثل (٥)

بكلّ فتًى مثلِ الشّهاب سَمَيْدَعٍ ... أخي ثقة عندَ الحفيظة باسلِ

وما تَرْكُ قومٍ لا أبالك سيّداً ... يحوط الذّمار غير نِكْسٍ مواكلِ (٦)

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ... ثمالُ اليتامى عِصْمَةٌ للأرامل (٧)

يَلُوذُ به الهُلّاكُ من آل هاشمٍ ... فهم عنده في نعمة وفواضلِ

وميزان صِدْقٍ لا يخيس شعيرةً ... ووزّان صدق وزنه غير عائل (٨)

ألم تعلموا أن ابننا لا مكذّب ... لدينا، ولا يعبا بقول الأباطلِ !

لعمري لقد كلّفت وجداً بأحمدٍ ... وأحببته حبّ الحبيب المواصلِ

وجُدتُ بنفسي دونه فحميتُه ... ودافعتُ عنه بالذُّرَى والكواهل

فلا زال للدّنيا جمالاً لأهلها ... وشَيْناً لمنْ عادَى وزينَ المحافلِ

وأيّده ربُّ العباد بنصره ... وأظهر ديناً حقّه غير باطل

* * *

(١) ديوانه ١٠٠ – ١٣٤ (٢) تبرى ، أي تغلب

(٣) يركب ردعه : يجرّ لوجهه على دمه ، والردع : الطعن والأثر من الدم .

(٤) الروايا : جمع راوية ؛ وهو البعير يستقى عليه . وذات الصلاصل : المزادة التي ينقل فيها الماء ، والصلاصل جمع صلصلة ، وهي بقية الماء في الإداوة .

(٥) الأماثل : الأشراف (٦) الديوان : « غير درب » .

(٧) ثمال اليتامى : عمادهم . (٨) يقال : عال الميزان يعول ، إذا مال .

وورد في السيرة والمغازي أنّ عتبة بن ربيعة أو شيبة لمّا قطع رجْل عبيدة بن الحارث بن المطلب يوم بدر أشبل[1] عليه عليّ وحمزة فاستنقذاه منه وخبطا عتبة بسيفهما حتى قتلاه ، واحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش ، فألقياه بين يدىْ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنّ مخّ ساقه ليسيل ، فقال : يارسولَ الله ، لو كان أبو طالب حيًّا لعلم أنه قد صدق في قوله :

كذبتمْ وبيتِ الله نُخلى محمدا ... ولمّا نطاعِنْ دُونه ونناضِل

ونصرُه حتى نصرّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وآله استغفر له ولأبي طالب يومئذ ، وبلغ عبيدة مع النبي صلى الله عليه وآله إلى الصَّفْراء فمات فدفن بها .

قالوا : وقد روى أنّ أعرابيًّا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في عام جَدْب ، فقال : أتيناك يارسول الله ولم يبق لنا صبيٌّ يرتضع ، ولا شارف[2] يجتر ثم أنشده :

أتيناك والعذراء تدمَى لبانُها ... وقد شغلت أمّ الرضيع عن الطِّفْلِ

وألقى بكفّيهِ الفتى لاستكانةٍ ... من الجوع حتى ما يُمِرُّ ولا يُحْلِي

ولا شيْ مما يأكل النّاس عندنا ... سوى الحنظل العاميّ والعِلْهِز الفَسْلِ

وليس لنا إلا إليك فرارُنا ... وأين فرار الناس إلاّ إلى الرسل !

فقام النبي صلى الله عليه وآله يجرّ رداءه ، حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : « اللهم اسقنا غيثا مغيثا ، مريئا هنيئا ، مريعا سحًّا سحالا ، غدقًا طبقًا قاطبا ، دائما درّا تحيي به الأرض ، وتنبت به الزرع ، وتدرّ به الضَّرع ، واجعله سقيا نافعا عاجلاً غير رائث » . فوالله ، ماردّ رسول الله صلى الله عليه وآله يدَه إلى نحره حتى ألقت السَّماء

---

(١) أشبل : عطف

(٢) الشارف . الناقة .

أرْواقها ، وجاء الناس يضجّون: الغرق الغرق يارسول الله ! فقال : اللهمّ حوالينا ولا علينا، فانجاب السَّحاب عن المدينة حتى استدارَ حولها كالإكليل .

فضحك رسول الله حتى بدت نواجذُه ، ثم قال : لله درُّ أبي طالب ! لو كان حيًّا لقرّت عينه . منْ يُنشِدنا قوله ؟ فقام عليّ فقال : يارسولَ الله ، لعلك أردت :

* وأبيض يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهه *

قال : أجل ، فأنشده أبياتاً من هذه القصيدة ، ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر ؛ ثم قام رجل من كنانة فأنشده :

لك الحمدُ والحمدُ ممّن شَكَرْ ... سُقينا بوجهِ النبيّ المَطَرْ
دعا الله خالقَه دعوةً ... إليه ، وأشخصَ منه البصرْ
فما كانَ إلّا كما ساعةٍ ... أو قصّرَ حتى رأينا الدّرر
دِفاقَ الغَزالي وَجمّ البِغاق[1] ... أغاثَ به الله عُلْيا مُضَرْ
فكان كما قاله عمّه ... أبو طالبٍ ذو رُواة غُرَرْ
به يَسّر اللهَ صَوْبَ الغمامِ ... فهذا العِيانُ وذاك الخَبَرْ
فمن يَشْكُرِ الله يَلْقَ المزيدَ ... ومَنْ يَكْفُرِ الله يَلْقَ العِيَرْ

فقال رسول الله : إن يكن شاعر أحسن فقد أحسنت .

قالوا : وإنّما لم يظهر أبو طالب الإسلامَ ويجاهر به ، لأنه لو أظهره لم يتهيّأ له من نُصْرة النبيّ صلّى الله عليه وآله ما تهيّأ له ، وكان كواحدٍ من المسلمين الّذين اتّبعوه ، نحو أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف ، وغيرهما ممّن أسلم ، ولم يتمكّن من نُصْرته والقيام دونه

---

(١) الغزالي : جمع غزلاء ، وهي في الأصل : مصب الماء من القربة والراوية ، ويقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر . قد حلت غزاليها ، وأرسلت غزاليها . والبغاق : المطر الذي يتبعق بالماء .

حينئذ، وإنما تمكّن أبو طالب من المحامة عنه بالثبات في الظاهر على دين قريش وإن أبطن الإسلام؛ كما لو أنّ إنسانا كان يُظهر التشيّع مثلا، وهو في بلد من بلاد الكرّامية، وله في ذلك البلد وَجاهة وقدَم، وهو يُظهر مذهبَ الكرّامية، ويحفظُ ناموسه بينهم بذلك، وكان في ذلك البلد نفرٌ يسير من الشّيعة لا يزالون يُنالون بالأذى والضّرر من أهل ذلك البلد ورؤسائه، فإنّه مادام قادرا على إظهار مذهب أهلِ البلد، يكون أشدّ تمكّنا من المدافعة والمحاماة عن أولئك النفر، فلو أظهر مايحور من التشيّع، وكاشف أهل البلد بذلك، صار حكمُه حكم واحد من أولئك النفر، ولحقه من الأذى والضّرر مايلحقهم، ولم يتمكّن من الدفاع أحيانا عنهم كما كان أولا.

قلت: فأمّا أبو طالب فإنّ الحال ملتبسةٌ عندي، والأخبار متعارضة؛ والله أعلم بحقيقة حاله كيف كانت[1].

ويقف في صدري رسالة النفس الزكية[2] إلى المنصور، وقوله فيها: «فأنا ابنُ خير الأحرار، وأنا ابن شرّ الأشرار، وأنا ابن سيّد أهل الجنّة، وأنا ابن سيّد أهل النار».

فإنّ هذه شهادة منه على أبي طالب بالكُفر، وهو ابنه وغير متّهم عليه، وعهده قريب من عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله، لم يطل الزمان فيكون الخبر مضمحلا.

وحملة الأمر أنه قد رُوِي في إسلامه أخبار كثيرة، وروي في موته على دين قومه أخبار كثيرة، فتعارض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البيّنتين عند الحاكم، وذلك يقتضي التوقُّف، فأما في أمره من المتوقّفين.

---

(١) وضع الشيخ المفيد رسالة في إيمان أبي طالب، طبعت في مجموعة ذخائر المخطوطات، العدد الثالث من المجموعة الأولى. طبعت في النجف سنة ١٩٥٦.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب بالأرقط و«المهدي» و«النفس الزكية»، خرج على المنصور ثائرا لمقتل أبيه بالكوفة في مائتين وخمس رجلا، فقبض على أمير المدينة، وبايعه أهلها فاستعد المنصور لقتاله وولّى عهده عيسى بن موسى، فسار إليه، وانتهى الأمر بقتله سنة ١٤٥. (مقاتل الطالبيين ٢٣٢).

فأمّا الصلاة وكونه لم يُنقل عنه أنه صلّى، فيجوز أن يكون لأنّ الصلاة لم تكن بعد قد فرضت، وإنّما كانت نفلا غير واجب، فمن شاء صلّى، ومن شاء ترك، ولم تفرض إلّا بالمدينة، ويمكن أنْ يقول أصحابُ الحديث: بدا تعارض الجرح والتعديل كما قد أشرتم إليه، فالترجيح عند أصحاب أصول الفقه لجانب الجرح، لأن الجارح قد اطّلع على زيادة لم يطّلع عليها المعدِّل.

ولخصومهم أن يجيبوا عن هذا فنقول: إنّ هذا إنّما يقال ويذكر في أصول الفقه في طعن مفصّل في مقابلة تعديل مجمل، مثاله أن يروِيَ شُعبةُ مثلا حديثا عن رجل، فهو بروايته عنه قد وثّقه، ويكفي في توثيقه له أن يكون مستور الحال، ظاهرُه العدالة، فيطعن فيه الدّارقطنيّ مثلا بأن يقول: كان مدلّسا، أو كان يرتكب الذّنب الفلانيّ، فيكون قد طعن طعنا مفصلا في مقابلة تعديل مجمل، وفيما نحن فيه وبصدده الرّوايتان متعارضتان تفصيلا لا إجمالا، لأن هؤلاء يروُون أنّه نطق بكلمتَي الشهادة عند الموت، وهؤلاء يروُون أنّه قال عند الموت: أنا على دين الأشياخ.

ويمثل هذا يجاب مَنْ يقول من الشيعة: روايتنا في إسلامه أرجح، لأنا روِينا حكما إيجابيا وشهد على إثبات، وخصومنا يشهدون على النّفي، ولا شهادة على النفي، وذلك أنّ الشهادة في الجانبين معا، إنما هي على إثبات، ولكنه إثبات متضادّ.

وصنّف بعض الطالبيين في هذا العصر كتابا في إسلام أبي طالب، وبعثه إليّ، وسألني أن أكتب عليه[1] بخطّي نظما أو نثرا أشهد فيه بصحّة ذلك، وبوثاقة الأدلّة عليه، فتحرّجت أن أحكم بذلك حكماً قاطعاً، لما عهدي من التوقّف فيه، ولم أستجز أنْ أقعدَ عن تعظيم أبي طالب، فإنّي أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة. وأعلم أنّ حقّه واجب على كلّ مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة. فسكتّ على ظاهر الحالّ:

---

(١) ساقطة من ب.

ولَوْلَا أبو طالبٍ وابنُهُ ... لما مُثِّلَ الدِّينُ شَخْصاً فقاما
فذاكَ بمكةَ آوى وحامَى ... وهذا بيثربَ حَسَّ الحماما[1]
تكفَّلَ عبدُ مناف بأمرٍ ... وأودَى فكان عليٌّ تماما
فقل فى ثَبيرٍ مضى بعد ما ... قضَى ماقضاه وأبقى شماما
فلله دَرُّ فتًى للهُدَى ... ولله دَرُّ المعالى فتاما
وما ضَرَّ مجدَ أبى طالب ... جهولٌ لعاً أو بصيرٌ تعامَى
كما لا يضرُّ إياةَ الصباحِ[2] ... مَنْ ظَلَّ صوءَ النهار الظلاما

فوفّيته حقّه من التعظيم والإجلال، ولم أحرم أمر عدى فيه وقعة.

[قصة غزوة بدر]

الفصل الثالث: فى شرح القصّة فى غزاة بدر، ونحو مما ذكر ذلك من كتاب "المغازى" لمحمد بن عمر الواقدىّ، وما ذكر ماعساه رده محمد بن إسحاق فى كتاب "المغازى"، وما زاده [أحمد بن][3] يحيى بن جابر البلاذُرىّ فى "تاريخ الأشراف".

قال الواقدىّ: بلغ[4] رسولَ الله صلى الله عليه وآله أنّ عِيرَ قريشٍ قد فصلت من مكّة تريد الشّام، وقد جمعت قريش فيها أموالها، فندب لها أصحابه، وخرج يعترضها على رأس ستّة عشر شهراً من مهاجَرِه عليه السلام، فخرج فى خمسين ومائة — ويقال فى مائتين — فلم يلقَ العير؛ وفاتته داهسةً إلى الشام.. وهذه غزاة ذى العُشَيرة، رجع منها إلى المدينة فلم يلقَ حربا، فلما تحيّن انصراف العير من الشام قافلةً ندب أصحابه لها، وبعث طلحة بن عُبيد الله وسَعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل قبل خروجه من المدينة بعشرِ ليال،

---

(١) ا: «حسن».
(٢) إياة الصبح: ضوءه، وأصله فى الشمس.
(٣) من ا
(٤) مغازى الواقدى ص ١١ وما بعدها.

يتحسسان خبر العير ، حتى نزلا على كشد [1] الجهنيّ بالموضع المعروف بالبحار [2] ، وهو من وراء ذي المَرْوة على الساحل ، وفأخرهما وأنزلهما ، فلم يزالا مقيمين في خباء وبَرٍ حتى مرّت العير ، فرفعهما على بَشَرٍ من الأرض ، فنظرا إلى القوم وإلى ما تحمل العير ، وجعل أهل العير يقولون لكشد : يا كشد ، هل رأيتَ أحدا من عيون محمد ؟ فيقول : أعوذ بالله ، وأنّى لمحمد عيون بالبحار ! فلمّا راحت العير باتا حتى أصبحا ثم خرجا ، وخرج معهما كشد حفير ، حتى أوردهما ذا المَرْوَة ، وساحلت العير فأسرعت ، وسار بها أصحابُها ليلاً ونهارا ، فرَقًا من الطلب ، وقدم طلحة وسعيد المدينة في اليوم الذي لَقِيَ رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً ببدر ، فخرجا يعترضان رسولَ الله صلى الله عليه وآله ، فلقياه بتربان وتُربان بين مَلَل والسَّالة على المحجّة ، وكانت منزل عروة ابن أذينة الشاعر ، وقدم كشد بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وآله ، وقد أخبر طلحة وسعيد رسول الله صلى الله عليه وآله بما صنع بهما ، فحباه وأكرمه ، وقال : ألا أقطع لك بقيع ؟ قال : إني كبير : وقد نفد عمري ، ولكن أقطعها لابن أخي ، فأقطعها له [3] .

قالوا : وندب رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين ، وقال : هذه عير قريش ، فيها أموالهم : لعلّ الله أن يغنّمكموها ، فأسرع مَنْ أسرع ، حتى إنْ كان الرجل ليساهم أباه في الخروج ، فكان ممّن ساهم أباه سعد بن خيثمة ، فقال سعد لأبيه : إنّه لو كان غير الجنة آثرتك به ، إنّي لأرجو الشهادة في وجهي هذا ، فقال خيثمة : آثرني وقرّ مع نسائك ، فأبى سعد ، فقال خيثمة : إنه لا بدّ لأحدنا من أن يقيم ، فاستهما ، فخرج سهم سعد ، فقتل ببدر . وأبطأ عن النبي صلى الله عليه وآله بشرٌ كثير من أصحابه ، وكرهوا خروجه ، وكان في ذلك كلام كثير ، واختلاف ، وبعضهم تخلّف من أهل النيّات والبصائر ، لم يظنّوا أنّه يكون قتال ، إنّما هو الخروجُ للغنيمة ، ولو ظنّوا أنّه يكون قتال لما تخلّفوا ؛ منهم أُسَيْد

(١) في الإصابة : كشد بالسين المهملة وما أثبته من الأصول يوافق ما في المغازي .

(٢) في مغازي الواقدي : « البحار من وراء ذي المروة على الساحل »

(٣) الخبر في الإصابة ٣ : ٣٧٧ .

ابن حُضَير ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال أُسَيد : الحمد لله الذى سرّك وأظهرك على عدوّك ، والذى بعثك بالحقّ ما تخلّفتُ عنك رغبةً بنفسى عن نفسك ، ولا ظننت أنّك تلاقى عَدُوًّا ، ولا ظننتُ إلّا أنها العير ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : صدقت .

قال : وخرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، حتّى انتهى إلى المكان المعروف بالبُقْع [1] وهى بيوت السُّقيا [2] ، وهى متصلة ببيوت المدينة ، فضرب عسكره هناك ، وعرض المقاتلة ، فعرض عبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، ورافع بن خديج ، والبَرَاء بن عازب ، وأُسَيد بن ظُهَير ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت ، فردّهم ولم يُجِزْهُم .

قال الواقدىّ : حدّثنى أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال : رأيتُ أخِى عمير بن أبى وقّاص قبل أن يعرضنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم يتوارَى ، فقلت : مالك يا أخى ؟ قال : إنّى أخافُ أن يَرانى رسول الله صلى الله عليه وآله فيستصغرَنى ، فيردّنى ، وأنا أحبّ الخروجَ ، لعلّ الله أن يرزقَنى الشهادة . قال : فعُرِض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستصغره ، فقال : ارجِعْ ، فبكى [عمير] [3] ، فأجازه .

قال : فكان سعد يقول : كنت أعقِد له حمائلَ سيفه من صِغَره ، فقُتِل عمير وهو ابن ستّ عشرةَ سنة .

قال : فلمّا نزلَ عليه السلام ببيوت السُّقيا أمرَ أصحابَه أن يستقُوا [4] من بئرهم ، وشرب عليه السلام منها ، كان أوّل مَنْ شرِب وصلّى عندها ، ودعا يومئذ لأهل المدينة ، فقال :

---

(١) قال ياقوت « البقع : اسم بئر بالمدينة » ، وقال الواقدى : « البقع من السقيا التى منقب بيوديار بالمدينة »

(٢) فى ياقوت . « عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستقى الماء العذب من بيوت السقيا ، وفى حديث آخر : كان يستعذب الماء من بيوت السقيا ، والسقيا : قرية جامعة من عمل الفرع ، بينهما وبين المدينة تسعة عشر ميلا ... وقال ابن الفقيه : السقيا من أسافل أودية تهامة .

(٣) من أ والواقدى . (٤) ب : « يستقوا » ، وأثبت ما فى أ والواقدى .

اللهمّ إنّ إبراهيم عبدُك وخليلُك ونبيّك ، دعاك لأهلِ مكة ، وإنّى محمد عبدُك ونبيّك ، أدعوك لأهلِ المدينة ، أن تبارك لهم فى صاعِهم ومُدّهم وثمارهم ، اللهمّ حبّب إلينا المدينة ، واجعل ما بها من الوباء بجُحْفة . اللهمّ إنى حرّمت ما بين لابَتَيْها ، كما حرّم إبراهيم خليلك مكة .

قال الواقدىّ : وخُمّ على ميلين من الجحفة .

وقدّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله أمامه عدىّ بن أبى الزّعباء ، ونسيس بن عمرو ، وجاء إليه عبد الله بن عمرو بن حزام ، فقال : يارسولَ الله ، لقد سرّنى منزلُك هـذا ، وعرضُك فيه أصحابَك ، وتفاءلت به ، إنّ هذا منزلنا بنى سلمة ، حيث كان بيننا وبين أهل حُسَيكة ما كان .

قال الواقدىّ : هى حُسَيكة [1] الدّباب ، والدّباب [2] : جبل ناحية المدينة ، وكان بحُسَيكة يهود ، وكان لهم بها منازل .

قال عبد الله بن عمرو بن حزام : فعرضنا يارسول الله هاهنا أصحابنا ، فآخرنا مَنْ كان يطيق السلاح ، وردّدنا مَنْ صغُر عن حمل السلاح ، ثم سرنا إلى يهود حُسَيكة ، وهم أعزّ يهود كانوا يومئذ ، فقتلهم كيف شئنا ، فذلّت لنا سائر [3] يهود إلى اليوم ، وأنا أرجو يارسولَ الله أن نلتقىَ نحن وقريش ، فيقرّ الله عينَك منهم .

قال الواقدىّ : وكان خلّاد بن عمرو بن الجموح لمّا كان من النّهار رجع إلى أهله بحُزْناء ، فقال له أبوه عمرو بن الجموح : ماظننت إلّا أنكم قد سِرْتم ، فقال : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يعرِض الناس بالمقيع ، فقال عمرو : نعم الفأل ! والله إنى لأرجو أن تغنموا وأن تظفروا بمشركى قريش ، إنّ هـذا منزلنا يوم سرنا إلى حُسَيكة . قال : فإنّ

---

(١) حسيكة ، ضبطه ياقوت بالتصغير ، وقال : هو موضع بالمدينة فى طريق دباب

(٢) ضبطه ياقوت : « بكسر أوله وبابين » ، وقال : جبل بالمدينة له ذكر فى الغارى والأخبار .

(٣) ب : « اليهود » .

رسول الله صلى الله عليه وآله قد غيّر اسمه ، وسمّاه السقيا . قال : فكانت في نفسي أنه اشتريها ، حتى اشتراها سعدُ بن أبي وقّاص بسبعين ، ويقال بسبع أواق ، فذكر للنبي صلى الله عليه وآله أنّ سعدا اشتراها ، فقال : ربح البيع !

قال الواقدي : فراح رسولُ الله صلى الله عليه وآله من بيوت السُّقْيا ، لاثنتي عشرة ليلة[1] مضت من رمضان ، وخرج المسلمون معه ثلاثمائة وخمسة ، وتخلّف ثمانية ، ضرب لهم بسهامهم وأجورهم ، فكانت الإبل سبعين بعيراً ، وكانوا يتعاقبون الإبل : الاثنين ، والثلاثة ، والأربعة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب عليه السلام ومَرْثد بن أبي مَرْثد — ويقال زيد بن حارثة مكان مَرْثد — يتعاقبون بعيراً واحدا ، وكان حمزة بن عبد المطلب ، وزيد ابن حارثة ، وأبو كبشة ، وأنسة ، موالي النبي صلى الله عليه وآله على بعير ، وكان عُبيدة بن الحارث والطفيل والحصين ابنا الحارث ، ومسطح بن أثاثة على بعير لعبيدة بن الحارث ناضح[2] ابتاعه من أبي داود المازني ، وكان مُعاذ وعوف ومعوّذ بنو عفراء ومولاهم أبو الحمراء على بعير ، وكان أبيّ بن كعب وعُمارة بن حزم وحارثة بن النعمان على بعير ، وكان حِراش ابن الصِّمّة وقُطْبة بن عامر بن حديدة وعبد الله بن عمرو بن حرام على بعير ، وكان عُتْبة ابن غَزْوان وطليب بن عمير على حَمَلٍ لعتبة بن عروان يقال له المُسْن ، وكان مصعب ابن عمير وسُويبط بن حَرْملة ومسعود بن رَبيع على جمل لمُصعب ، وكان عمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود على بعير ، وكان عبد الله بن كعب وأبو داود المازني وسليط بن قيس على جملٍ لعبد الله بن كعب ، وكان عثمان بن عفّان وقُدامة بن مظعون وعبد الله بن مَظْعون والسائب بن عثمان على بعير يتعاقبون ، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف على بعير ، وكان سعد بن مُعاذ وأخوه وابن أخيه الحارث بن أوس والحارث بن أنس على حمل لسعد بن مُعاذ ناضح يقال له الديّال ، وكان سعد بن زيد ، وسلمة بن

---

(١) ساقطة من ب

(٢) الناضح : البعير يستقى عليه الماء .

سلامة بن وقش ، وعباد بن بشر ، ورافع بن يزيد على ناضح لسعيد بن زيد ، ماتزوّدُوا إلّا صاعاً من تمر .

قال الواقديّ : فروى مُعاذ بن رفاعة ، عن أبيه ، قال : خرجت مع النبيّ صلى الله عليه وآله إلى بدر ، وكان كلّ ثلاثة يتعاقبون بعيراً ، فكنت أنا وأخي خلّاد بن رافع على بكرٍ لنا ومعنا عُبيدة بن يزيد بن عامر ، فكنّا نتعاقب ، فسِرْنا حتى إذا كنّا بالرَّوْحاء إذ مرّ بنا بَكْرنا وبرك علينا وأعيا ، فقال أخي : اللهمّ إن لك عليّ نذراً ، لئن رددتنا إلى المدينة لأنحرنّه ، فمرّ بنا النبيّ صلى الله عليه وآله ونحن على تلك الحال ، فقلنا : يارسول الله برك علينا بكرُنا ، فدعا بماء فتمضمض وتوضّأ في إناء ، ثم قال : افتحا فاه ، ففعلنا فصبّه في فيه ، ثم على رأسه ثم على عنقه ، ثم على حاركه ، ثم على سَنامه ، ثم على عَجُزه ، ثم على ذَنَبه ، ثم قال : اركبا ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله فلحقناه أسفلَ من المنصرف ، وإنّ بكرنا لينفر بنا ، حتى إذا كنّا بالمصلّى راجعين من بدر ، برك علينا ، فنحره أخي ، فقسّم لحمه وتصدّق به .

قال الواقديّ : وقد رُوِي أنّ سعد بن عُبادة حَمَل في بدر على عشرين حملا

قال : وروى عن سعد بن أبي وقّاص ، أنّه قال : فخرجنا إلى بَدْرٍ مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومعنا سبعون بعيرا فكانوا يتعاقبون الثلاثة والأربعة والاثنان على بعير ، وكنتُ أنا من أعظم أصحاب النبي عليه السلام عنه غَناء ، وأرجلهم رُجْلَة[1] ، وأرْماهم لِسَهْمٍ ، لم أركب خطوة ذاهبا ولا راجعا .

قال الواقديّ : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله حين فصل من بيوت السقيا : اللهمّ إنهم حُفاةٌ فاحمِلْهم ، وعراةٌ فاكسُهم ، وجياع فأشبِعْهم ، وعالةٌ فأغنِهم من فضلك ؛ فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلّا وجد ظهراً ، لرَجُل البعير والبعيران ، واكتسى

(١) الرجلة بالضم : القوة على المشي

مَنْ كان عارياً ، وأصابوا طعاما من أزوادهم ، وأصابوا فداء الأسرى[1] ، فأغنى به كلّ عائل .

قال : واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وآله على المشاة قيس بن أبي صعصعة ـ واسم أبي صعصعة عمرو بن يزيد بن عوف بن مبذول ـ وأمره النبيّ صلّى الله عليه وآله حين فَصَل من بُيُوت السقيا أن يعدّ المسلمين ، فوقف لهم بثنيّة أبي عبيدة يعدّهم ، ثم أخبر النبي صلى الله عليه وآله ، وخرج من بُيوت السقيا ، حتى سلك بطن العقيق ، ثم سلك طريق المكثيين[2] ، حتى خرج على بطحاء بن أرهر ؛ فنزل تحت شجرة هناك ، فقام أبو بكر إلى حجارة هناك ، فبنى منها مسجدا ، فصلّى فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، وأصبح يوم الاثنين وهو هناك ؛ ثم صار إلى بطن مَلَل ونُزْلان بين الحميره ومَلَل .

قال الواقديّ : فحدّثني سعد بن أبي وقّاص ، يقول : لما كنّا بنُزْلان ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله . يا سعد ، انظر إلى الظبي ، واعوّق له بسهم ، وقام رسول الله صلى الله عليه وآله فوضع رأسه بين مَنكِبي وأذني ، ثم قال : اللهمّ سدّد رميته ـ قال : فما أخطأ سهمي عن نحره ، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخرجت أعدُو وأحدته وبه رَمَق فذكّيته[3] ، فحملناه حتى نزلنا قريباً ، أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله فقسم بين أصحابه .

قال الواقديّ : وكان معهم فَرَسان : فرس لمرثد بن أبي مرثد الغنويّ ، وفرس للمقداد ابن عمرو البهرانيّ ، حليف بني زُهرة ، ويقال فرس للزبير ؛ ولم يكن إلّا فَرَسان لا اختلاف عندهم[4] ، أنّ المقداد له فرس ؛ وقد روى عن ضُباعة بنت الزُّبير عن المقداد ،

---

(١) أ : « للأسرى »

(٢) المكثيين ، ضبطه ياقوت على التصغير ، وقال : « عقيق المدينة » وفي الواقدي : « المكثس »

(٣) ذكيته . ذبحته .

(٤) الواقدي : « عندهم » .

قال : كان معى يوم بَدْر فرس يقال له سبحة . وقد روى سعد بن مالك الغَنَوىّ عن آبائه أن مرثد بن أبى مرثد الغَنَوى شهد بدراً على فرس له يقال له السّيل .

قال الواقدىّ : ولحقت قريش بالشام فى عيرها ، وكانت العير ألف بعير ، وكان فيها أموال عظام ، ولم يبق بمكّة قرشىٌّ ولا قرشيّة له مثقال فصاعدا إلا بعث به فى العير ؛ حتى إنّ المرأة لتبعثُ بالشىء التافه ، وكان يقال : إن فيها لخمسين ألف دينار وقالوا : أقلّ ، وإن كان ليقال : إنّ أكثر ما فيها من المال لآل سعيد بن العاص لأبى أُحَيْحة إمّا مال لهم أو مال مع قوم قراض على النّصف ، وكان عامّة العير لهم ؛ ويقال : بل كان لبنى مخزوم فيها مائتا بعير وخمسة أو أربعة آلاف مثقال ذهبا ، وكان يقال للحارث بن عامر بن نوفل فيها ألفا مثقال .

قال الواقدىّ : وحدّثنى هشام بن عمارة بن أبى الحويرث ، قال : كان لبنى عبد مناف فيها عشرة آلاف مثقال ، وكان مَنْحَرُهم إلى غَزّة من أرض الشام

قال الواقدىّ : وحدثنى عبد الله بن جعفر ، عن أبى عون مولى المسور ، عن مَخْرمة ابن نوفل ، قال : لما لحقنا بالشّام أدركنا رجلٌ من جُذام ، فأخبرنا أنّ محمدا قد كان عرض لعيرنا فى بدأتنا ، وأنه تركه مقيما ينتظر رجعتنا ، قد خالف علينا أهلَ الطريق ووادَعهم . قال مخرمة : فخرجنا خائفين نخاف الرّصَد ، فبعثنا ضمضم بن عمرو حين فَصَلْنا من الشام .

قال الواقدىّ : وكان عمرو بن العاص مع العير ، وكان يحدّث بعد ذلك يقول : لمّا كنا بالزّرقاء — والزرقاء بالشام من أذرعات على مرحلتين — ونحنُ منحدرون إلى مكّة لقينا رجلًا من جُذام ، فقال : قد كان عرض محمد لكم فى بدأتكم فى أصحابه ، فقلنا : ما شعرنا ، قال : بلى ، فأقام شهرا ، ثم رجع إلى يثرب ، وأنتم يوم عرض محمد لكم محفّون فهو الآن أحرى أن يعرض لكم ؛ إنّما يَعُدّ لكم الأيام عدًّا ، فاحذروا على عيركم ،

وارتئوا آراءكم ، فوالله ما أرى من عَدد ولا كُراع ولا حَلْقة[1] . فأجمع القوم أمرهم ، فبعثوا ضمضم بن عمرو ، وكان فى العير ، وقد كانت قريش مرّت به وهو بالساحل ، معه بكران ، فاستأجروه بعشرين مثقالا ، وأمره أبو سفيان أن يخبر قريشاً أنّ محمدا قد عَرَض لعيرهم ، وأمره أن يجدّع بعيره إذا دخل ، ويحوّل رحله ، ويشقّ قميصه من قُبُله ودُبُره ، ويصيح : العوث العوث ! وينادى : إنما بعثوه من تَبُوك ، وكان فى العير ثلاثون رجلا من قريش ؛ فيهم عمرو بن العاص ، ومَخرمة بن نوفل .

قال الواقدىّ : وقد كانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت قبل مجىء ضمضم بن عمرو برؤيا أفزعتها ، وعظُمت فى صدرها ، فأرسلت إلى أخيها العباس ، فقالت - يا أخى ، لقد والله رأيت رؤيا أفزعتنى[2] وتخوّفتُ أن يدخل على قومك منها شرّ ومصيبة ، فاكتم علىّ ما أحدّثك منها ، رأيت راكباً أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته يا آل غُدَر ، أنهروا إلى مصارعكم فى ثلاث ، فصرخ بها ثلاث مرات . وترى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد ، والناس يتبعونه إذ مثل به بعيره على ظهر الكعبة ، فصرخ مثلها ثلاثاً ، ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس ، فصرخ مثلها ثلاثاً ، ثم أخذ صخرة من أبى قبيس فأرسلها ، فأقبلت تهوى ، حتى إذا كانت فى أسفل الجبل ارفضّت ، فما بقى بيت من بيوت مكّة ولا دارٌ من دورها إلا دخلته منه فلقة[3] .

قال الواقدىّ : وكان عمرو بن العاص يحدّث بعد ذلك فيقول : لقد رأيتُ كلّ هذا ، ولقد رأيت فى دارنا فلقة من الصخرة التى انطلقت من أبى قبيس ، ولقد كان ذلك عبرة ، ولكن الله لم يرد أن نسلم يومئذ ، فكفه أخّر إسلامنا إلى ما أراد

قلت : كان بعض أصحابنا يقول : لم يكفِ عمراً أن يقول : رأيتُ الصخرة فى دُور مكّة عيانا ، فيخرج ذلك مخرج الاستهزاء ، حتى على وَجْه المزاق واستخفافه بعقول المسلمين ،

---

(١) الحلقة هنا : السلاح

(٢) الواقدى : « أفظعتها » .

(٣) الفلقة : القطعة من الحجارة

زعم حتى يضيف إلى ذلك القول بالخبر الصُّراح فيقول : إنّ الله تعالى لم يكن أراد منه الإسلام يومئذ .

قال الواقدىّ : قالوا : ولم يدخل دارا ولا بيت من دُور بنى هاشم ولا بنى زُهرة من تلك الصفرة شىء ! قال : فقال العبّاس : إنّ هذه لرؤيا ، فخرج مغتما ، حتى لقى الوليد بن عتبة ابن ربيعة ـ وكان له صديقاً ـ فذكرها له واستكتمه ؛ فمشا الحديث فى الناس ، قال العباس : فمدوتُ أطوف بالبيت ، وأبو جهل فى رَهْطٍ من قريش يتحدّثون برؤيا عاتكة ، فقال أبو جهل : ما رأت عاتكة هذه ؟ فقلت : وما ذاك ؟ فقال : يابنى عبد المطّلب ، أما رضيتم بأن تتنبّأ رجالكم حتى تتنبّأ نساؤكم ! زعمت عاتكة أنّها رأت فى المنام كذا وكذا ـ للذى رأت ـ فستتربّص بكم ثلاثا ، فإن يكن ما قالت حقًّا فسيكون ، وإن مضت الثلاث ولم يكن ، نكتبْ عليكم أنّكم أكذبُ أهل بيت فى العرب ! فقال له العباس : يامصفّر استه ، أنت أولَى بالكذب واللؤم منّا ! فقال أبو جهل : إيا استيقنّا المجد وأنتم ، فقلتم : فينا السقاية ، فقلنا : لا يالى ، تسقون الحجّاج ، ثم قلتم : فينا الحجابة ، فقلنا : لا يالى تحجبون البيت ، ثم قلتم : فينا النَّدْوة ، قلنا . لا يالى يكون الطعام فتطعمون الناس . ثم قلتم . فينا الرِّفادة ، فقلنا : لا يالى ، تجمعون عندكم ما ترفدون به الضعيف ، فلمّا أطعمنا الناس وأطعمتم ، وازدحمت الرّكب واستبقنا المجد ، فكنا كفرسَىْ رِهان ، قلتم : منا نبىٌّ ، ثم قلتم : منّا نبيّة ! فلا واللّات والعُزّى لا كان هذا أبدا !

قلت : لا أرى كلام أبى جهل منتظما ؛ لأنه إذا سلّم للعباس أنّ هذه الخصال كلّها فيهم ، وهى الخصال التى تشرّف بها القبائل بعضُها على بعض ، فكيف يقول : لا يالى لا نبالى ! وكيف يقول : فلمّا أطعمنا الناس وأطعمتم ، وقد كان الكلام منتظما ، لو قال : ولنا بإزاء هذه المفاخر كذا وكذا ، ثم يقول بعد ذلك : استبقنا المجد فكنّا كفرسَىْ رهان ، وازدحمت الرّكب ؛ ولم يقل شيئاً ولا عدّ مآثره ، ولعلّ أبا جهل قد قال مالم ينقل .

قال الواقدىّ : قال العبّاس : فوالله ما كان منّى غير أنّى جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون عاتكة رأت شيئاً ، فلما أمسيتُ لم تبق امرأة أصابتْها ولادة عند المطلب إلا جاءت ، فقلن لى : أرضيتم بهذا الفاسق الخبيث يقع فى رحالكم ، ثم قد تناول نساءكم ! ولم تكن لك عند ذلك غيرة ! فقلت : والله ما قلت إلا لأنّى لا أبالى به ، ولأيمُ الله لأعرِضنّ له غدا ، فإن عاد كفيتُكُنّ إياه . فلما أصبحوا من ذلك اليوم الّذى رأت فيه عاتكة ما رأتْ ، قال أبو جهل : هذه ثلاثة أيام ما بقى . قال العباس: وغدوتُ فى اليوم الثالث ،وأنا حديد مغضَب، أرى أن قد فاتنى منه أمر أحبّ أن أدركه، وأذكر ما أحفظنى به النساء من مقالتهنّ، فوالله إنّى لأمشى نحوه ـ وكان رجلًا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ـ إذ خرج نحو باب بنى سَهْم يشتدّ فقلت : ما باله لعنه الله ! أكلّ هذا فَرَقا من أن أشاتمه ! فإذا هو قد سمع صوت ضَمْضم بن عمرو وهو يقول . يا معشر قريش ، يا آل لؤىّ بن غالب ، اللّطيمة قد عرض لها محمد فى أصحابه ! الغوث الغوث ! والله ما أرى أن تدركوها ، وضمضم ينادى بذلك فى بطن الوادى ، وقد جَدَع أذنى بعيره وشقّ قميصه قُبُلًا ودبُرا ، وحوّل رحله ، وكان يقول : لقد رأيتُنى قبل أن أدخل مكّة وإنى لأرى فى النّوم وأنا على راحلتى كأنّ وادى مكّة يسيل من أسفله إلى أعلاه دما ، فاستيقظت فزعاً مذعورا ، فكرهتُها لقريش ، ووقع فى نفسى أنّها مصيبة فى أنفسهم .

قال الواقدىّ : وكان عمير بن وهب الجُمَحىّ يقول : ما رأيت أعجبَ من أمر ضمضم قطّ ، وما صرّح على لسانه إلاّ شيطان ! كأنه لم يملّكنا من أمورنا شيئاً ، حتى نفَرنا على الصَّعْب والذلول ،وكان حكيم بن حزام يقول : ما كان لّذى جاءنا فاستنفرنا إلى العير إنسانا! إن هو إلا شيطان ، قيل : كيف يا أبا خالد ؟ قال : إنى لأعجب منه ، ما ملكنا من أمرنا شيئاً .

قال الواقدىّ : فجهز النّاس وشُغل بعضهم عن بعض ، وكان النّاس بين رجلين : إمّا خارج وإما باعث مكانَه رجلا ، وأشفقت قريش لرؤيا عاتكة ، وسرّ بنو هاشم .

وقال قائلهم : كلاّ ، زعمتم أنّا كذبنا وكذبتْ عاتكة ! فأقامت قريش ثلاثا تتجهّز — ويقال : يومين — وأخرجت أسلحتها واشترَوا سلاحا، وأعان قويُّهم ضعيفَهم ، وقام سُهَيل ابن عمرو فى رجال من قريش ، فقال : يامعشرَ قريش ، هذا محمّد والصُّباة معه من شبّانكم وأهل يثرب قد عرضوا لغيركم ولطيمتكم[1] ، فمن أراد ظهرا فهذا ظهر ، ومَنْ أراد قوّة فهذه قوّة . وقام زمعة بن الأسود ، فقال : إنّه واللات والعزّى مانزل بكم أمر أعظم من أن طمع محمد وأهل يثرب أن يعرضوا لغيركم فيها خزائنكم ؛ فأوعِبوا[2] ولا يتخلّف منكم أحد ، ومَنْ كان لا قوّة له فهذه قوة ، والله لئن أصابها محمّد وأصحابه لا يروعكم منهم إلا وقد دخلوا عليكم بيوتكم . وقال طُعيمة بن عدىّ : يامعشر قريش ، والله مانزل بكم أمرٌ أجلّ من هذا أن يستباح غيركم ، ولطيمة قريش فيها أموالكم وخزائنكم ؛ والله ماأعرف رجلاً ولا امرأة من بنى عبد مناف له نَشّ[3] فصاعدا إلا وهو فى هذه العير ، فمن كان لا قوّة به فعندنا قوّة نحمله ونقوّيه . فحمل على عشرين بعيرا وقوّى بهم ، وخلّفهم فى أهلهم بمعونة . وقام حنظلة بن أبى سفيان وعمرو بن أبى سفيان فحضّا الناس على الخروج ، ولم يدعوا إلى قوة ولا حُمْلان ؛ فقيل لهما : ألا تدعُوان إلى مادعا إليه قومكما من الحملان ؟ قالا : والله مالنا مال ، وما المال إلا لأبى سفيان . ومشى نوفل بن معاوية الديلمىّ إلى أهل القوّة من قريش ، وكلّمهم فى بذل النفقة والحُملان لمن خرج ، فكلّم عبد الله بن أبى ربيعة ، فقال : هذه خمسمائة دينار تضمُّها حيث رأيت ، وكلّم حُوَيطب بن عبد العزى ، فأخذ منه مائتى دينار أو ثلثمائة ، ثم قوىَ بها فى السلاح والظهر .

قال الواقدىّ : وذكروا أنّه كان لا يتخلّف أحدٌ من قريش إلا بعث مكانه بَعثا ، فمشت قريش إلى أبى لهب ، فقالوا له : إنك سيّد من سادات قريش ، وإنّك إن تخلّفت عن

---

(١) اللطيمة : التجارة ؛ وقيل : اللطيمة : العطر خاصة .

(٢) أوعبوا : استعدوا .

(٣) النش : وزن نواة من ذهب .

النفير يعتبر بك غيرُك من قومك، فاخرج أو ابعث رجلاً ، فقال : واللات والعُزّى لا أخرجُ ولا أبعث أحداً، فجاءه أبو جهل فقال : أقم يا أبا عتبة ، فوالله ما حرجنا إلا غضبا لدينك ودين آبائك ! وحاف أبو جهل أن يُشيم أبا لهب، فمكث أبو لهب ولم يخرج ولم يبعث، وما منع أبا لهب أن يخرج إلا الإشفاقُ من رُؤيا عاتكة ، كان يقول: إنما رؤيا عاتكة أخذ باليد ، ويقال إنه بعث مكانه العاص بن هشام بن مغيرة وكان له عليه دين ، فقال : اخرج وديني عليك لك ، فخرج عنه .

* * *

وقال محمد بن إسحاق فى المغازى : كان دَيْن أبى لهب على العاص بن هشام أربعة آلاف درهم ، فمطله بها ، وأفلس فتركها له على أن يكون مكانه ، فخرج مكانه

قال الواقدىّ . وأخرج عُتْبة وشيبة دروعاً لهما فنظر إليهما مولاهما عدّاس وهما يصلحان دروعهما وآلةَ حربهما ، فقال : ما تريدان ؟ فقالا : ألم تر إلى الرّجل الذى أرسلناك إليه بالعنب فى كرْمنا بالطّائف ؟ قال نعم ، قالا : نخرج فنقاتله ، فبكى ، وقال لا تخرجا فوالله إنه لنبىّ ، فأبيا فخرجا ، وخرج معهما فقُتِل ببدر معهما .

قلت : حديث العنب فى كرْم ابنى ربيعة بالطائف ، قد ذكره أرباب السيرة، وشرحه الطّبرى فى التاريخ ، قال : لما مات أبو طالب بمكة طمعت قريش فى رسول الله صلى الله عليه وآله ونالت منه مالم تكن تناله فى حياة أبى طالب ، فخرج من مكة خائفا على نفسه مهاجرا إلى ربّه يؤمّ الطائف ، راجيا أن يدعوَ أهلَها إلى الإسلام فيجيبوه ، وذلك فى شوال من سنة عشر من النبوة ، فأقام بالطائف عشرة أيام ، وقيل شهرا ، لايدع أحداً من أشراف ثقيف إلا جاءه وكلّمه ، فلم يجيبوه ، وأشاروا عليه أن يخرج عن أرضهم ، ويلحق بتجاهل الأرض وبحيث لا يعرف . وأغرَوْا به سفهاءهم ، فرمَوْه بالحجارة ، حتى إنّ رجليْه لتدْمَيان ، فكان معه زيد بن حارثة ، فكان يقيه بنفسه ، حتى لقد شُجّ فى رأسه .

والشيعة تروى أنّ على بن أبى طالب كان معه أيضا فى هجرة الطائف ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله عن ثقيف وهو محزون ، بعد أن مشى إلى عبد ياليل ومسعود وحبيب بنى عمرو بن عمير ، وهم يومئذ سادة ثقيف ، فجلس إليهم ، ودعاهم إلى الله وإلى نصرته والقيام معه على قومه ، فقال له أحدهم : أنا أمرُط [1] بباب الكعبة ، إن كان الله أرسلك ! وقال الآخر : أما وجد الله أحدا أرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلمك كلمة أبدا ، لئن كنتَ رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظمُ خطراً من أن أردّ عليك الكلام ، ولئن كنتَ كاذبا على الله ماينبغى أن أكلمك . فقام رسول الله صلى الله عليه وآله من عندهم ، وقد يئس من خير ثقيف ، واجتمع عليه صبيانهم وسفهاؤهم ، وصاحوا به وسبُّوه وطردوه ، حتى اجتمع عليه الناس يصخبون معه ، وألجؤوه بالحجارة والطّرد والشّتم إلى حائط [2] لعُتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما يومئذ فى الحائط ، فلمّا دخل الحائط رجع عنه سفهاء ثقيف ، فعمد إلى ظل حبلة [3] منه فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران ويريان مالقىَ من سفهاء ثقيف .

قال الطبرىّ : فممّا اطمأن به قال ـ فيما ذُكر لى : اللهمّ إليك أشكو ضعفَ قوّتى وقلّة حيلتى وهوانى على النّاس ؛ ياأرحمَ الراحمين ، أنت ربّ المستضعفين ، وأنت ربّى ، إلى من تكلنى ! إلى بعيد يتجهّمنى ، أم إلى عدوّ ملّكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ! ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقتْ به الظُّلمات ، وصلح عليه أمرُ الدّنيا والآخرة ، من أن ينزل بى غضبك ، أو يحلّ علىّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك !

فلمّا رأى عُتبة وشيبة مالقىَ تحرّكت له رحمهما ، فدعوَا غلاما نصرانيًّا لهما ، يقال له

(١) فى الطبرى : « هو يمرط ثياب الكعبة » ، أى يمزقها (٢) الحائط هنا : البستان

(٣) الحبلة : الكرمة

عدّاس ، فقالا له : خذ قِطْفا[1] من هذا العنب وضعْه فى ذلك الطّبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، وقل له فليأكل منه ، ففعل وأقبل به حتى وضعه بين يديه ، فوضع يده فيه ، فقال : بسم الله ، وأكل ، فقال عدّاس : والله إنّ هذه الكلمة لا يقولها أهلُ هذه البلدة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: مِنْ أىّ البلاد أنت ؟ وما دينُك ؟ قال : أنا نصرانىّ من أهل نينوى ، قال : أمِنْ قرية الرجل الصالح يونس بن متّى ؟ قال : وما يدريك مَنْ يونس بن متّى ؟ قال : ذاك أخى ، كان نبيا وأنا نبىّ . فأكبّ عدّاس على يديه ورجليه ورأسه يقبّلها ، قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أمّا غلامك فقد أفسدَه عليك ، فلمّا جاءهما قالا : ويلك ياعدّاس ! مالك تقبّل رأسَ هذا الرجل ويديْه وقدميه ! قال : ياسيّدى ، مافى الأرض خير من هذا ، فقد أخبرنى بأمر لا يعلمه إلّا نبىّ[2] .

* * *

قال الواقدىّ : واستقسمت قريش بالأزلام عند هُبَل للخروج ، واستقسم أميّة بن خلف وعُتْبة وشَيْبة بالآمر والناهى ، فخرج قِدْح[3] الناهى ، فأحجموا المقام حتى أرغمهم أبو جهل ، فقال : ماستقسمتُ ولا تتعتّف عن غيرنا .

قال الواقدىّ : لما توجّه زَمْعة بن الأسود خارجا ، فكان ذى طُوًى أخرج قِداحه ، واستقسم بها فخرج الناهى عن الخروج ، فبقى غيظا ، ثم أعادها الثانية فخرج مثل ذلك فكسرها ، وقال : مارأيت كاليوم قِدْحا أكذب ! ومرّ به سُهَيل بن عمرو وهو على تلك الحال ، فقال : مالى أراك عصبان ياأبا حُكَيمة ؟ فأخبره زَمْعة ، فقال : امضِ على شأنك أيّها الرجل ، قد أخبرنى عُمير بن وهب أنّه لقيه مثل الذى أخبرتنى ، فمضوا على هذا الحديث[4] .

---

(١) القطف : عنقود العنب . وهو فى الأصل : اسم لكل ما يقطف .

(٢) تاريخ الطبرى ٢ : ٣٤٥ ، ٣٤٦ (طبعة المعارف) .

(٣) القدح هنا : السهم الذى كانو يستقسمون به . (٤) مغازى الواقدى ٢٧ .

قال الواقدىّ : وحدّثنى موسى بن ضمرة بن سعيد ، عن أبيه ، قال: قال أبو سفيان بن حرب لضمضم : إذا قدمت على قريش فقل لها : لا تستقسم بالأزلام .

قال الواقدىّ : وحدّثنى محمد بن عبد الله ، عن الزُّهرىّ ، عن أبى بكر بن سُليم بن أبى خَيْثمة ، قال : سمعتُ حكيم بن حزام يقول : ماتوجّهتُ وجها قطّ كان أكرهَ إلىّ من مسيرى إلى بدر ولا بان لى فى وجه قطّ مابان لى قبل أن أخرج ، ثم قال: قدم ضمضم فصاح بالنّفير فاستقسمت بالأزلام ، كلّ ذلك يخرج الذى أكره ، ثم خرجت على ذلك حتى نزلنا مَرّ الظّهران ، فنحر ابنُ الحنطليّة جَزورا منها ما حياة ، فما بقىَ خِباء من أخبية العسكر إلّا أصابه من دمها ، فكان هذا نَحْس [1] ، ثم همتُ بالرجوع ، ثم أذكر ابن الحنطليّة وشؤمه ؛ فيردّنى حتى مضيت لوجهى ، وكان حكيم يقول : لقد رأينا حين بلغنا الثّنيّة البيضاء ـ وهى الثنية التى تهبطك على فَخّ وأنت مقبل من المدينة ـ إذا عدّاس جالس عليها ، والناس يمرّون، إذ مَرّ عليها ابنا ربيعة ، فوثب إليهما ، فأخذ بأرجلهما فى غَرْزِهما ، وهو يقول : بأبى أنتما وأمّى ! والله إنه لرسولُ الله صلى الله عليه ، وما تُساقانِ إلّا إلى مصارعكما ! وإن عينيه لتسيل دمعا على خدّيه ، فأردت أن أرجع أيضا ، ثم مضيت، ومرّ به العاص بنُ منبّه بن الحجاج ، فوقف عليه حين ولّى عُتْبة وشَيْبة ، فقال : مايبكيك ؟ قال : يبكينى سيّدى ـ أو سيّدا أهل [2] الوادى ـ يحرجان إلى مصارعهما ، ويقاتلان رسول الله صلى الله عليه وآله ! فقال العاص : وإنّ محمدا لرسول الله ! فانتفض عدّاس انتفاضة واقشعرّ جلدُه ، ثم بكى ، وقال : إى والله ، إنه لرسول الله إلى الناس كافّة . قال : فأسلم العاص بن منبّه ، ومضى وهو على الشكّ ، حتى قُتِل مع المشركين على شكّ وارتياب . ويقال : رجع عدّاس ولم يشهد بدرا ، ويقال : شهد بدرا وقتل .

قال الواقدىّ : والقول الأوّل أثبت عندنا .

---

(١) فى الأصول : « ربيه » والتصويب من الواقدى .

(٢) الواقدى ٢٨ : « يبكينى سيداى وسيدا أهل الوادى »

قال الواقدىّ : وخرج سعد بن مُعاذ معتمرا قَبْل بدر ، فنزل على أميّة بن خلف ، فأتاه أبو جهل ، وقال : أتترك هـذا وقد آوَى محمدا وآذَنَنا بالحرب ! فقال سعد بن معاذ : قل ماشئت ، أما إنّ طريق غيركم عليه ، قال أميّة بن خلف: مَهْ ! لا تقلْ هذا لأبى الحكم فإنه سيّد أهل الوادى . قال سعد بن معاذ : وأنت تقول ذلك ياأميّة ؟ أما والله لَسمِعت محمدا يقول : لأقتلنّ أمية بن خلَف ، قال أميّة : أنت سمعتَه ؟ قال سعد بن معاذ : فقلت : نعم ، قال : فوقع فى نفسه ، فلما جاء النفير أبَى أميّة أن يخرج معهم إلى بدر ، فأتاه عُقْبة بن أبى مُعَيْط وأبو جهل ، ومع عقبة مَجْمَرة فيها بَخور ، ومع أبى جهل مكحلة ومِرْوَد ، فأدخلها عقبة تحته ، فقال : تبخّر ، فإنما أنت امرأة ، وقال أبو جهل : اكتحل فإنما أنت امرأة . فقال أميّة : ابتاعوا لى أفضل بعير فى الوادى ، فابتاعوا له جملا بثلثمائة دينار من نعم بنى قُشير ، فغنمه المسلمون يوم بَدْر ، فصار فى سهم خُبَيب[1] بن يساف .

قال الواقدىّ : وقالوا ما كان أحد ممّن خرج إلى العير أكرَه للخروج من الحارث ابن عامر ، وقال : ليت قريشا تعزم على القعود وأن مالى فى العير تلف ومال بنى عبد مناف أيضا ، فيقال له: إنّك سيّدٌ من ساداتها ، أفلا تردعها عن الخروج ؟ قال : إنّى أرى قريشا قد أزمعت على الخروج ، ولا أرى أحدا به طِرْق[2] تخلّف إلّا من علّة ، وأنا أكره خلافها ، وما أحبّ أن تعلم قريش ماأقول ، على أنّ ابن الحنظليّة رجل مشئوم على قومه ، ماأعلمه إلّا يجرر قومه أهل يثرب ، ولقد قسم الحارث[3] مالاً من ماله بين ولده ، ووقع فى نفسه أنه لا يرجع إلى مكة ، وجاءه ضمضم بن عمرو ، وكانت للحارث عنده أياد ، فقال : أباعامر ، إنى رأيت رؤيا كرهتها ، وإنّى لكاليَقْظان على راحلتى وأراكم أنّ واديَكم يسيل دماً من أسفله إلى أعلاه ، فقال الحارث : ما خرج أحد وجهاً من الوجوه أكرَه له من وجهى هذا ، قال : يقول ضمضم : والله إنّى لأرى لك أن تجلس ، فقال الحارث : لو سمعت

(١) الواقدى ٢٩ ، وفى الأصول « حبيب » ، والتصويب من الواقدى والإصابة .
(٢) طرق ، أى قوة (٣) ساقطة من الواقدى .

هـذا منك قبل أن أخرُج ماسرت خطوة ، فاطوِ هـذا الخبر أن تعلمه قريش ، فإنها تتّهم كلّ مَنْ عوّقها عن المسير ـ وكان ضمضم قد ذكر هـذا الحديث للحارث ببطن يأجج[1] ـ قالوا : وكرهت قريش أهل الرأى منهم لمسيرَ ، ومشى بعضُهم إلى بعض ، وكان ممّن أبطأ منهم عن ذلك الحـارث بن عامر ، وأميّة بن خلف ، وعُتْبة وشيبة ابنا ربيعة ، وحكيم بن حزام وأبو البَخْترىّ ، وعلىّ بن أميّة بن خلف ، والعاص بن منبّه ، حتى نكّتهم أبو جهل بالجبن ، وأعانه عُقْبة بن أبى مُعَيط والنّضر بن الحارث بن كَلَدة ، وحضّوهم على الخروج ، وقالوا : هذا فعل النساء . فأجمعوا المسير ، وقالت قريش : لا تدَعُوا أحدا من عدوّكم خَلْفكم[2]

قال الواقدىّ . وممّا استدلّ به على كراهة الحارث بن عامر للخروج وعُتْبة وشَيْبة ، أنّه ماعرض رجل منهم حُملانا ، ولا حملوا أحداً من الناس ، وإن كان الرجل ليأتيهم حليفاً أو عديدا ، ولا قوّة له ، فيطلب الحملان منهم ، فيقولون : إن كان لك مال وأحببتَ أن تخرج فافعل وإلاّ فأقم ، حتى كانت قريش تعرف ذلك منهم .

قال الواقدىّ : فلمّا اجتمعت قريش إلى الخروج والمسير ، ذكروا الذى بينهم وبين بنى بَكْر من العداوة ، وخافوهم على مَنْ يخلفونه ، وكان أشدّهم خوفا عُتْبة بن ربيعة ، وكان يقول : يامعشر قريش ، إنّكم وإن ظفرتم بالّذى تريدون ، فإنّا لا نأمن على مَنْ نخلّف ، إنّما نخلّف نساء ولا ذرّيّة ومن لا طَعم به فارتئوا آراءكم[3] ، فتصوّر لهم إبليس فى صورة سُراقة بن جعشم المدلجىّ فقال : يامعشر قريش ، قد عرفتم شرفى ومكانى فى قومى ، أنا لكم جار أن تأتيكم كنانة بشىء تكرهونه ، فطابت نفس عُتْبة ، وقال له أبو جهل :

---

(١) الأصول : « تأجج » ، وأثبت ما فى الواقدى .
(٢) الواقدى ٣٠
(٣) الواقدى : « رأيكم » .

فما تريد ؟ هذا سيّد كنانة ، هولنا جارٌ قَلَى[1] من تحلّف ، فقال عتبة : لا شيء أنا خارج[2] .

قال الواقدىّ : وكان الذى بين بنى كنانة وقريش أنّ ابناً لحفص بن الأحنف أحد بنى مُعَيط بن عامر بن لؤى ، خرج يبغى ضالّة ، وهو غلام فى رأسه ذؤابة ، وعليه حُلّة ، وكان غلاما وضيئا ، فمرّ بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوّح بن يعمر ، أحد رؤساء بنى كنانة — وكان يصحبان — فقال : مَنْ أنت ياغلام ؟ قال : ابن لحفص بن الأحنف ، فقال : يابنى بكر ، ألكم فى قريش دم ؟ قالوا : نعم قال : ما كان رجل يقتل هذا برجله إلاّ استوفى ، فاتبعه رجلٌ من بنى بكر فقتله بدمٍ له فى قريش ؛ فتكلّمت فيه قريش ، فقال عامر ابن يزيد : قد كانت لنا فيكم دماء ، فإن شئتم فأدُّوا ماما قتلكم ونؤدّى إليكم ما كان فينا ، وإن شئتم فإنّما هو الدّم : رجل برجل ؛ وإن شئتم فتحاقّوا عنّا فيما قتلنا ، ونتحاقّ عنكم فيما قتلتم . فهان ذلك الغلام على قريش ، وقالوا : صدق ! رجل برجل ! فلهوا عنه أن يطلبوا بدمه ، فبينما أخوه مكرز بن حفص بمرّ الظّهران ، إذ نظر عامر بن يزيد وهو سيّد بنى بكر على جمل له ؛ فلما رآه قال : ما أطيب أثراً بعد عين ! وأناخ بعيره ، وهو متوشّح سيفه ، فصلاه به حتى قتله ، ثم أتى مكّة من الليل ، فعلّق سيف عامر بن يزيد بأستار الكعبة ، فلما أصبحت قريش رأوْا سيف عامر بن يزيد ، فعرفوا أنّ مكرز بن حفص قتله ، وقد كانت تسمع من مكرز فى ذلك قولاً ، وجزعت بنو بكر من قتل سيّدها ، فكانت معدّة لقتل رجلين من قريش سيّدين أو ثلاثة من ساداتها ، فجاء النفير وهم على هذا الأمر ، فخافوهم على مَنْ تحلّف بمكّة من دراريّهم ، فلما قال سراقة ماقال ، وهو ينطق بلسان إبليس شجّع القوم[3] .

---

(١) الواقدى : « علام تحلف ؟ » . (٢) الواقدى ٣١ ، ٣٢

قال الواقدىّ : وخرجت قريش بسراعا ، وخرجوا بالقيان والدّفوف ؛ سارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب وعزّة مولاة أسود بن المطلب ، وفلانة مولاة أميّة بن خلف ، يغنّين فى كلّ منهل ، وينحرون الجُزر ، وخرجوا بالجيش يتقادمون بالحراب ، وخرجوا بتسعمائة وخمسين مقاتلا ، وقادوا مائة فرس ، بطراً ورئاء الناس ؛ كما ذكر الله تعالى فى كتابه[1] ؛ وأبو جهل يقول أيظنّ محمد أن يصيب منّا ما أصاب سخلة وأصحابه ؛ سيعلم أمنع[2] عيرنا أم لا[3] .

قلت : سريّة نخلة سريّة قبل بدر ، وكان أميرها عبدَ الله بن جَحْش قتل فيها عمرو ابن الحضرمىّ ، حليف بنى عَبْد شمس ، قتله واقد بن عبد الله التميمىّ ؛ رماه بسهم فقتله ، وأسر الحكم بن كَيْسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، واستاق المسلمون العير ؛ وكانت خمسمائة بعير فخمّسها رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وقسّم أربعمائة فيمن شهدها من المسلمين ؛ وهم مائتا رجل ، فأصاب كلّ رجل بعيران .

قال الواقدىّ : وكانت الخيل لأهل القوّة منهم ، وكان فى بنى مخزوم منها ثلاثون فرسا ، وكانت الإبل سبعمائة بعير ، وكان أهل الخيل كلّهم دارع ، وكانوا مائة ؛ وكان فى الرّجالة دروع سوى ذلك[3] .

قال الواقدىّ : وأقبل أبو سفيان بالعير ، وخاف هو وأصحابه خوفاً شديداً حين دنوا من المدينة ، واستبطنوا ضمضما والنّعير ، فلمّا كانت الليلة التى يُصْبحون فيها على ماء بدر ، جعلت العير تقبلُ بوجوهها إلى ماء بدر ؛ وكانوا باتوا من وراء بدر آخرَ ليلتهم ، وهم على

---

(١) ذكر الواقدى بعدها الآية : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ ٱلنَّاسِ . . . ﴾ . إلى آخر الآية .

(٢) الواقدى : « أمنع » .

(٣) الواقدى ٣٢ ، ٣٣

أن يُصبحوا بدرا ؛ إن لم يعترض لهم ؛ قد أقرّتهم العير حتى ضربوها بالعُقُل [١] على أن بعضها ليُثْنَى بعقالين ، وهى ترجّع [٢] الحنين ، توارداً إلى ماء بدر ؛ وما إنّ بها إلى الماء من حاجة ، لقد شربت بالأمس ، وحمل أهل العير يقولون : إن هذا شيء ماصَنَعَتْه الإبل منذ خرجنا ، قالوا : وعشيا تلك الليلة ظُلمة شديدة حتى ما يبصر شيئاً [٣] .

قال الواقدىّ : وكان جُهَيش بن عمرو وعدىّ بن أبى الزّغباء وَرَدَا على محمدىّ بدراً يتحسّسان [٤] الخبر ، فلما رأيا ماء بدر ، أناخا راحلتيهما إلى قريب من الماء ، ثم أخذا أسقيتهما ، يستقيان من الماء ، فسمعا جاريتين من جوارى حُمَيسة ، يقال لإحداهما بررة وهى تلوم صاحبتها فى درهم ، كان لها عليها وصاحبتها تقول : إنّما العير غداً أو بعد غد قد رأيت ؛ ومحمدىّ بن عمر يسمعها ، فقال : صدقت ، فلما سمع ذلك جُهيش وعدىّ انطلقا راجعين إلى النبى صلى الله عليه وآله حتى أتياه بعِرْق الظبية ، فأخبراه الخبر [٥] .

قال الواقدىّ : وحدّثنى كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المُزَنىّ ، عن أبيه ، عن جدّه ـ وكان أحدَ البكّائين ـ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : لقد سلك فجّ الرّوحاء موسى النبى عليه السلام فى سبعين ألفاً من بنى إسرائيل وصلّوا فى المسجد الذى بعِرق الظّبية [٦] .

قال الواقدىّ : وهى من الرّوحاء على ميلين ممّا يلى المدينة ؛ إذا خرجت على يسارك .

قال الواقدىّ : وأصبح أبو سفيان بدْر ، قد تقدم العِير وهو خائف من الرّصَد فقال : يامحمدىّ ، هل أحسست أحداً ؟ تعلّم والله ما بمكة قرشىّ ولا قرشية له نَشّ [٧]

---

(١) العقل : جمع عقال ؛ وهو الرباط الذى تعقل به الدابة . (٢) الواقدى : « ترجع » .
(٣) الواقدى ٣٣ ، ٣٤ (٤) الواقدى : « يتحسسان » .
(٥) قال الواقدى : « وهى من الروحاء على ميلين مما يلى المدينة إذا خرجت على يسارك .
(٦) قال الواقدى : « والنش : نصف أوقية ، وزن عشرين درهما » .

فصاعدا ـ والنش نصف أوقية وزن عشرين درهما ـ إلا وقد نعش به معنا ! ولئن كتمتنا شأن عدونا لا يصالحك رجل من قريش مائل مخرصوفة[1] . فقال مجدي : والله ما رأيت أحدا أنكره ، ولا بينك وبين يثرب من عدو ، ولو كان بينك وبينها عدو لم يخف علينا ، وما كنت لأخفيه عنك؛ إلا أني قد رأيت ركبين أتيا إلى هذا المكان ـ وأشار إلى مناخ عدي و نسيس ـ فأناخا به ، ثم استقيا بأسقيتهما ؛ ثم انصرفا . فجاء أبو سفيان مناخهما ، فأخذ أبعارا من أبعار بعيريهما ففتها ؛ فإذا فيها نوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب ! هذه والله عيون محمد وأصحابه ؛ ما أرى القوم إلا قريبا ، فضرب وجه عيره فساحل[2] بها ، وترك بدرا يسارا وانطلق سريعا ، وأقبلت قريش من مكة يعلون كل منهل يطعمون الطعام من أتاهم ، ويسحرون الجزور ، فبلغهم كذلك في مسيرهم إذ تخلف عتبة وشيبة ، وهما يتردادان ، قال أحدهما لصاحبه . ألم تر إلى رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب ! لقد حشيت[3] منها ؛ قال الآخر : فاذكرها ؛ وذكرها فاذكرهما أبوجهل ، فقال . ما تتحادثون به ؟ قالا : نذكر رؤيا عاتكة ، قال : يا عجبا من بني عبد المطلب ! لم يرضوا أن تنبأ عبيا رجالهم حتى تنبأت عليا النساء ! أما والله لئن رجعت إلى مكة لنعلن بهم ولنعمن ! قال عتبة : إن لهم أرحاما وقرابة قريبة . ثم قال أحدهما لصاحبه : هل لك أن ترجع ؟ قال أبو جهل : أترجعان بعد ما سرنا فتجعلان قومكما ، وتقطعان بهم بعد أن رأيتم ثأركم بأعينكم ! أنظنان أن محمدا وأصحابه يلاقونكما ! كلا والله ، إن معي من قومي مائة وثمانين كلهم من أهل بيتي يحلون إذا أحللت ، ويرحلون إذا رحلت ، فارجعا إن شئتما . فالا : والله لقد هلكت وأهلكت قومك .

ثم قال عتبة لأخيه شيبة : إن هذا رجل مشئوم ـ يعني أبا جهل ـ وإنه لا يمنعه من قرابة محمد ما يمنعنا ؛ مع أن محمدا معه الولد فارجع بنا ودع قوله[4] .

---

(١) في اللسان : « صرف البحر شيء على شكل هذا الصوف الحيواني واحدته صوفة » ، ومن الأبيات قولهم : « لا آتيك ما بل بحر صوفة » .

(٢) سار بها نحو الساحل .

(٣) ب : « سمعت » وأثبت ما في ا والواقدي

(٤) الواقدي ٣٣ ، ٣٥

قلت : مراده بقوله « مع أن محمداً معه الولد » ، أبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة ، كان أسلم وشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الواقدىّ : فقال شيبة : والله تكون علينا سُبّة ياأبا الوليد أن نرجع الآن بعد ماسرنا فمضينا . ثم انتهى إلى الجحفة عشاء ، فنام جُهيم بن الصّلت بن مخرمة بن عبد المطلب ابن عبد مناف ، فقال : إنّى لأرى بين النائم واليقظان ؛ أنظرُ إلى رجل أقبل على فرسٍ معه بعير له ، حتى وقف علىّ ، فقال . قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وزمعة بن الأسود ، وأميّة بن خلف ، وأبو البخترىّ ، وأبو الحكم ، ونوفل بن خويلد ، فى رجال سمّاهم من أشراف قريش ؛ وأسر سهيل بن عمرو ، وفرّ الحارث بن هشام عن أخيه ، قال : وكأنّ قائلا يقول : والله إنى لأظنّهم الذين يخرجون إلى مصارعهم . ثم قال : أراه ضرب فى لبّة بعيره فأرسله فى العسكر ، فقال أبو جهل : وهذا نبىّ آخر من بنى عبد مناف ! ستعلم غدا مَن المقتول ، نحن أو محمد وأصحابه ! وقالت قريش لجهيم : إنّما يلعب بك الشيطان فى منامك ، فسترى غداً خلافَ مارأيت ! يُقتَل أشراف محمد ويؤسرون ، قال : فخلا عتبة بأخيه شيبة ، فقال له : هل لك فى الرّجوع ؟ فهذه الرؤيا مثل رؤيا عاتكة ، ومثل قول عدّاس ، والله ما كذبنا عدّاس ؛ ولعمرى لئن كان محمد كاذباً إنّ فى العرب لمن يكفيناه ، ولئن كان صادقاً إنّا لأسعد العرب به للُحمته . فقال شيبة : هو على ماتقول ؛ أفنرجع من بين أهل العسكر ؟ فجاء أبو جهل وهما على ذلك فقال : ماتريدان ؟ قالا : الرجوع ، ألا ترى إلى رؤيا عاتكة ؛ وإلى رؤيا جُهيم بن الصلت مع قول عدّاس لنا ! فقال : تَخْذُلان والله قومكما وتقطعان بهم . قالا : هلكت والله وأهلكت قومَك ! فمضيا على ذلك .

قال الواقدىّ : فلما أفلت أبو سفيان بالعير ، ورأى أنْ قد أحرزها وأمِن عليها ، أرسل إلى قريش قيسَ بن امرئ القيس — وكان مع أصحاب العير — خرج معهم من مكّة ، فأرسله أبو سفيان يأمرهم بالرجوع ، ويقول : قد نجتْ عيرُكم وأموالُكم ، فلا تحرزوا أنفسكم

أهل يثرب ، فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك ، وإنما خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم ، وقد نجّاها الله . فإن أبوا عليك فلا يأبَوْن خَصْلة واحدة ؛ يردّون القيان [1] . فعالج قيس بن امرئ القيس قريشاً ، فأبت الرجوع . قالوا : أمّا القيان فسنردّهن ؛ فردّوهن من الجحفة[2] .

قلت : لا أعلم مراد أبي سفيان بردّ القيان ، وهو الذى أخرجهنّ مع الجيش يوم أحُد يحرّضن قريشا على إدراك الثأر ، ويعتبن ، ويصرن بنَ الدفوف ، فكيف نهى عن ذلك فى بدر وفعله فى أحُد ! وأقول : مَنْ تأمّل الحال علم أنّ قريشا لم يمكن أن تنتصرَ يوم بدر ، لأنّ الذى خالطها من التخاذُل والتواكل وكراهيَة الحرب وحبّ الرجوع وخوف اللقاء وخُفوق البِهَم وفتور المرائم ، ورجوع بنى زُهرة وغيرهم من الطريق ، واختلاف آرائهم فى القتال ، يكفى بعضه فى هلاكهم وعدم فلاحهم ، لو كانوا قد لَقُوا قوما حُسّاد ، فكيف وإنما لَقُوا الأوس والخزرج ، وهم أشجع العرب ، وفيهم علىّ بن أبى طالب عليه السلام وحَمْزة بن عبد المطلب ، وهما أشجع البشر ، وجماعة من المهاجرين أنجاد أبطال ، ورئيسهم محمد بن عبد الله ، رسول الله ، الداعى إلى الحق والعدل والتوحيد ، المؤيّد بالقوّة الإلهيّة ، دع ما أضيف إلى ذلك من ملائكة السماء ، كما نطق به الكتاب !

قال الواقدىّ : ولحق الرسول أبا سفيان بالهَدّة — والهَدّة على سبعة أميال من عُسفان ، على تسعة وثلاثين ميلا من مكّة — فأخبره بمصى قريش ، فقال : واقوماه ! هذا عمل عمرو بن هشام ، يكره أن يرجع لأنه قد ترأّس على الناس ونهى ، والبغى منقصة وشؤم ، والله لئن أصاب أصحابَ محمد النفير دلها إلى أن يدخل مكّة علينا .

قال الواقدىّ : وقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدرا — وكانت بدر موسما

---

(١) بعدها فى الواقدى : « فإن الحرب إذا أكلت انكلت » .

(٢) الواقدى ٣٦

من مواسم العرب فى الجاهليّة ، يجتمعون بها وفيها سوق ـ تسمع بنا العرب وبمسيرنا ، فنقيم على بَدْر ثلاثا ، ننحر الجزُر ونطعم الطّعام ، ونشرب الخمر ، وتعزف علينا القيان ، فلن تزال العرب تهابنا أبدا .

قال الواقدىّ : وكان الفرات بن حيّان العِجلىّ أرسلته قريش حين فَصَلت من مكّة إلى أبى سفيان بن حرب يخبره بمسيرها وفصولها ، وماقد حشدت ، فخالف أبا سفيان فى الطريق ، وذلك أنّ أبا سفيان لصِق بالبحر ، ولزم الفُرات بن حيّان المحجّة ، فوافَى المشركين بالجُحْفة ، فسمع كلام أبى جهل ، وهو يقول : لا نرجع ، فقال : مابأنفسهم عن نفسك رغبة ! وإنّ الذى يرجع بعد أن رأى ثأره من كَثَب لضعيف ، فمضى مع قريش ، فترك أبا سفيان ، وخرج يوم بَدْر جراحات كثيرة ، وهرب على قدميه ، وهو يقول : مارأيت كاليوم أمراً أنكد [1] ! إنّ ابن الحنظليّة لغير مُبارك الأمر .

قال الواقدىّ : وقال الأخنس بن شريق [2] ـ واسمه أبىّ ، وكان حليفاً لبنى زهرة : يابنى زهرة ، قد نجّى الله غيرَكم ، وخلّص أموالكم ، ونجّى صاحبَكم مَخْرمة بن نوفل ، وإنما خرجتم لتمنعوه وماله ، وإنما محمد رجل منكم ، ابن أختكم ؛ فإن يك نبيّاً فأنتم أسعد به ، وإن يك كاذبا يلى قتله غيركم خير من أن تَلُوا قتل ابن أختكم ، فارجعوا واجعلوا جَبْنَها لى ، فلا حاجة لكم أن تخرجوا فى غير مايهمّكم ، ودعوا مايقوله هذا الرجل ـ يعنى أبا جهل ـ فإنه مهلك قومَه ، سريع فى فسادهم ، فأطاعته بنو زُهرة ، وكان فيهم مُطاعا ، وكانوا يتيمّنون به ، فقالوا : فكيف نصنع بالرجوع حتى نرجع ؟ فقال الأخنس : نسير مع القوم ، فإذا أمسيت سقطت عن بعيرى ، فيقولون : نحل [3] الأخنس ، فإذا أصبحوا فقالوا : سيروا ، فقولوا : لا نفارق صاحبَنا ، حتى نعلم أحىّ هو أم ميت ،

---

(١) فى الأصول آكد ، وأثبت ما فى الواقدى ٣٦

(٢) الواقدىّ : « وكان أعرابياً » . (٣) الواقدى : « نهش » .

فندفنه ،فإذا مضوا رجعنا إلى مكة . ففعلت بنو زهرة ذلك ، فلمّا أصبحوا بالأبواء راجعين تبيّن للناس أنّ بنى زُهرة رجعوا فلم يشهدها زُهريّ [1] البتّة ، وكانوا مائة ، وقيل : أقلّ من مائة وهو أثبت . وقال قوم : كانوا ثلثمائة ولم يثبت ذلك .

قال الواقدىّ : وقال عدى بن أبى الزغباء منحدَرَه [2] من بدر إلى المدينة ؛ [وانتشرت الركاب عليه ، فجعل عدىّ يقول] [3] :

أقِمْ لهـــا صدورَها يابْسَسُ ... إنّ مَطَايا القـــومِ لا تُحْبَسُ
وَحَمْلُها على الطَّرِيقِ أكْيَسُ ... قـد نصرَ اللهُ وفرّ الأخنسُ [4]

قال الواقدىّ . وذكر أبو بكر بن عمر بن عبد الرحمن بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، أنّ بنى عدىّ خرجوا من النَّفِير حتى كانوا بثنية لَفْت [5] ، فلما كان فى السَّحَر عدلوا فى الساحل منصرفين إلى مكّة ، فصادفهم أبو سفيان ، فقال : كيف رجعتم يابنى عدىّ ! ولا فى العير ولا فى النفير ! قالوا : أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع ، فرجع مَنْ رجع ومضى من مضى ، فلم يشهدها أحد من بنى عدىّ . ويقال : إنه لاقاهم بمرّ الظَّهْران ، فقال تلك المقالة لهم .

قال الواقدىّ : وأمّا رسولُ الله صلى الله عليه وآله [5] ، فكان صبيحة أربع عشرة من شهر رمضان بعرق الظَّبْية ، فجاء أعرابىّ قد أقبل من تهامة ، فقال له أصحاب النبى صلى الله عليه وآله : هل لك علم بأبى سفيان بن حرب ؟ قال : مالى بأبى سفيان عِلْم ، قالوا : تعال ، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : أوفيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، قال : فأيّكم رسول الله ؟ قالوا : هذا ، فقال : أنت رسول الله ؟ قال : نعم ، قال فما فى

---

(١) الواقدى : « أحد من بنى زهرة » .
(٢) الواقدى : « فى منحدره » .
(٣) من الواقدى
(٤) الواقدى ٣٨
(٥) الواقدى : « ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

بطن ناقتي هذه إن كنت صادقاً ؟ فقال سلمة بن سلامة بن وقش : نكحتها وهي حُبْلى منك ! فكره رسول الله صلى الله عليه وآله مقالته وأعرض عنه .

قال الواقدي : وسار رسولُ الله صلى الله عليه وآله حتّى أتى الرَّوْحاء ليلةَ الأربعاء ، للنّصف من شهر رمضان ؛ فقال لأصحابه : هذا سحاسح ـ يعني وادي الروحاء ـ هذا أفضل أودية العرب[1] .

قال الواقدي : وصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بالرَّوحاء ، فلمّا رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره لعنَ الكفرة ، ودعا عليهم ، فقال : اللهمّ لا تفلتنّ أبا جهل ابن هشام فرعون هذه الأمة ، اللهمّ لا تفلتنّ رَبيعة بن الأسود ، اللهمّ أسخِنْ عين أبي رَبيعة ! اللهمّ أعم بصر أبي دبيلة[2] . اللهمّ لا تفلتنّ سهيل بن عمرو ! ثم دعا لقوم من قريش ، فقال : اللهم أنج سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين ؛ ولم يدع للوليد بن المغيرة يومئذ ؛ وأسر ببدر ، ولكنه لما رجع إلى مكّة بعد بدر أسلم وأراد أن يخرج إلى المدينة فحبس ، فدعا له النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك .

قال الواقدي : وكان خُبيب بن يساف رجلا شجاعا ، وكان يأبى الإسلام ، فلما خرج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى بدر خرج هو وقيس بن محرّث ـ ويقال ابن الحارث ـ وهما على دين قومهما ؛ فأدركا رسول الله صلى الله عليه وآله بالعقيق ؛ وخُبيب مقنّع في الحديد ، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله من تحت المِغفر ، فالتفت إلى سعيد بن معاذ وهو يسير إلى جنبه ، فقال : أليس بخُبيب بن يساف ؟ قال : بلى ، فأقبل خُبيب حتى أخذ

---

(١) الواقدي ٣٩

(٢) الواقدي : « واعم بصر أبي زمعة » .

بِبِطان[1] ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال له ولقيس بن محرّث : ما أخرجكما ؟ قال : كنتَ ابنَ احتنا وجارنا ، وخرجنا مع قومنا للغنيمة ، فقال صلى الله عليه وآله : لا يخرجنّ معنا رجلٌ ليس على ديننا ، فقال حُبَيب : لقد علم قومي أنّي عظيم العَناء في الحرب ، شديد الشِّكاية ، فأقاتل معك للغنيمة ولا أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا ولكن أسلِمْ ثم قاتل ؛ فلمّا كان بالروحاء جاء فقال : يارسولَ الله ، أسلمت لربّ العالمين ، وشهدت أنّك رسول الله ، فسرّ بذلك ، وقال : امضِ ، فكان عظيم العَناء في بدر وفي غير بدر . وأمّا قيس بن الحارث فأبى أن يُسلم ، فرجع إلى المدينة ، فلما قدم النبيّ صلى الله عليه وآله من بَدْر أسلم وشهد أحُدا فقتل .

قال الواقديّ : ولما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وآله صامَ يوما أو يومين ، ثم نادى مناديه : يامعشرَ العصاة ، إنّي مفطر ، فأفطِرُوا ؛ وذلك أنّه قد كان قال لهم قبل ذلك : أفطروا فلم يفعلوا[2] .

قلت : هذا هو سرّ النبوّة وخاصّيتها ؛ إذا تأمّل المتأملون ذلك ، وهو أن يبلغ بهم حبُّه وطاعتُه وقبولُ قوله على أن يكلّفهم مايشقّ عليهم فيمتثلوه امتثالا صادرا عن حبّ شديد وحرص عظيم على الطاعة ، حتى إنّه ينسخه عنهم ويسقط وجوبَه عليهم ، فيكرهون ذلك ولا يُسقطونه عن أنفسهم ، إلاّ بعد الإصرار التّام ؛ وهذا أحسن من المعجزات الخارقة للعادات ، بل هذا نفسه معجزة خارقة للعادة أقوى وآكد من شقّ البحر وقلب العصا حيّة !

قال الواقديّ : ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وآله حتى إذا كان دُوَيْن بدر ، أتاه الخبر بمسير قريش ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بمسيرهم ، واستشار النّاس

---

(١) البطان : حزام القتب .

(٢) الواقدى ٤٠ ، ٤١

فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قال : يارسولَ الله ؛ إنها قريش وعزّها والله مادلّت منذ عزّت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لا تسلم عزّها أمدا ، ولتقاتلنّك فأنّهب لذلك أهبته ، وأعدّ عدّته ، ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال : يارسولَ الله لأمر الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بو اسرائيل لنبيّها : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنّا معكم مقاتلون ، والذى بعثك بالحقّ لو سرتَ بنا إلى برك بيماد لسرنا .

قال الواقدى : برك العماد من وراء مكة بخمس ليال من وراء الساحل مما يلى البحر ، وهو على ثمان ليال من مكة إلى اليمن .

فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وآله خيرا ، ودعا له بخير ، ثم قال صلّى الله عليه وآله : أشيروا علىّ أيّها الناس — وإنما يريد الأنصار ، وكان يظنّ أنّ الأنصار لا تنصره إلاّ فى الدار ، وذلك أنهم شرطوا أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أشيروا علىّ ، فقام سعد بن مُعاذ ، فقال : أما أحيب عن الأنصار ، كأنك يارسولَ الله تريدنا ! قال : أجل ، قال : إنك عسى أن تكون خرجت عن أمر قد أوحِيَ إليك ، وإنّا قد آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أنّ ماجئت به حقّ ، وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة ، فامض يانبيّ الله لما أردت ، فوالذى بعثك بالحقّ لو استعرضْتَ بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك مانبقىَ منّا رجل ، وصِلْ مَنْ شئت ، واقطع من أموالنا ماأردت ، وما أخذته من أموالنا أحبُّ إلينا مما تركتَ ، والذى نفسى بيده ما سلكت هذه الطريق قطّ ، ومالى بها من علم ، وإنا لا نكره أن نلقى عدوّنا غداً ؛ إنا لصُبُرٌ عند الحرب ، صُدُق عند اللقاء ، لعل الله يريك منّا بعضَ ماتقرّ به عينك[1] .

---

(١) الواقدى ٤٤ ، وفيه : « ما تقربه عينيك » .

قال الواقدىّ : وحدّثنى محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد قال : قال سعد بن مُعاذ يومئذ : يارسولَ الله ، إنا قد خلّفنا من قومنا قوماً ماهمْ بأشدّ حبًّا لك منهم ، ولا أطوعَ لهم رعة ونيّة فى الجهاد ، ولو ظنّوا أنّك يارسولَ الله ملاق عدوًّا ماتخلّفوا عنك ، ولكن إنّما ظنوا أنّها العير . ببى لك عريشا ، فتكونُ فيه ونُعِدّ عندك رواحلك ، ثم نلقى عدونا ، فإنْ أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن تكن الأخرى ، جلستَ على رواحلك ، فلحقت مَنْ وراءنا . فقال له النبىّ صلى الله عليه وآله خيرا ، ثم قال : أو يقضى الله خيرا ياسعد[1] !

قال الواقدىّ : فلمّا فرغ سعد من المشورة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سيرُوا على بَرَكةِ الله ، فإنّ الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنّى أنظر إلى مصارع القوم .

قال الواقدىّ : وقالوا . لقد أرانا رسول الله صلى الله عليه وآله مصارعهم يومئذ ، هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فما عدا كلّ رجل منهم مصرعه ، قال : فعلم القوم أنّهم يلاقون القتال ، وأنّ العير تفلتُ ، ورجا القوم النصر لقول النبى صلى الله عليه وآله[1] .

قال الواقدىّ : ثم يومئذ عَقَد رسول الله صلى الله عليه وآله الألوية ، وكانت ثلاثة ، وأظهر السلاح ، وكان خرج من المدينة على غير لواء معقود ، وسار فلقىَ سُفيان الضَّمرىّ ، ومع رسول الله صلى الله عليه وآله قتادة بن النعمان ومعاذ بن جبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من الرّجل ؟ فقال الضّمرىّ : من ومَنْ أنتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : نخبرُنا ونخبرُك ، فقال الضّمرى : وذلك بذاك ؟ قال نعم ، قال الضّمرىّ : فاسألوا عمّا شئتم ، فقال له صلى الله عليه وآله : أخبرْنا عن قُريش ، قال الضّمرىّ : بلغنى أنّهم خرجوا يوم كذا من مكة ، فإن كان الخبر صدقا ، فإنهم بحنب هذا الوادى ، ثم قال

(١) مغازى الواقدى ٤٥

الضَّمْرِى: فمن أنتم ؟ فقال النبىّ صلى الله عليه وآله : نحن مِنْ ماء ، وأشار بيده نحو العِراق، فجعل الضَّمْرِىّ يقول : من ماء ، من أى ماء ؟ من العراق أم من غيره ؟ ثم انصرفَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى أصحابه .

قال الواقدىّ : فبات الفريقانِ كلّ منهم لا يعلم بمنزل صاحبه ، إنما بينهم قَوْر [1] من رمل [2] .

قال الواقدىّ : ومرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بحَبَلين ، فسأل عنهما فقالوا : هذا مُسْلِح [3] ومُجْرِئ ، فقال: مَنْ ساكنهما ؟ فقيل : بنو النّار و بنو حرّاق ، فانصرف عنهما وجعلهما يساراً [4] ، ولقيه بسبس بن عمرو وعدى بن أبى الزغباء فأخبراه خبرَ قريش ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وادى بدْر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان ، فبعث عليا عليه السلام والزّبير وسعد بن أبى وقاص وبَسْبَس بن عمرو يتحسّسون [5] على الماء ، وأشار لهم إلى طُرَيب [6] ، وقال : أرجو أن تجدوا الخبر عند القليب الذى [7] يلى هذا الطّريب [8] ، فاندفعوا تلقاءه ، فوجدوا على تلك القليب رواياً قريش فيها سُقّاؤهم ، فأسروهم ، وأفلت بعضهم ، فكان ممّن عرف أنه أفلت عجير ، فكان أوّلَ مَنْ جاء قريشا بخبر النبى صلى الله عليه وآله وأصحابه ، فنادى : يا آل غالب ! هذا ابنُ أبى كبْشة وأصحابه ، وقد أخذوا سُقّاءكم ، فماج العسكر وكرِهُوا ما جاء به [9]

(١) القور من الرمل : العالى كأنه جبل ، وتشبه به أرداف النساء .

(٢) الواقدى ٤٦ ، وبعدها : « وكان قد صلى بالدبة ، ثم صلى بسير ، ثم صلى بذات أجدال ، صلى بجيف عين العلا ، ثم صلى بالخبيرين ، ثم نظر إلى حبلين . . . »

(٣) الأصول : « مصلح » ، والتصويب من الواقدى .

(٤) الواقدى : « فانصرف من عند الخبيرين ، فمضى حتى قطع الخيرف ، وجعلها يسارا حتى سلك فى المعرضة » .

(٥) كذا فى الواقدى : وفى الأصول « يتحسسون » بالجيم ، تصحيف .

(٦) كذا فى الواقدى

(٧) الأصول : « التى » ، والتصويب من الواقدى

(٨) قال الواقدى : « والقليب : بئر بأصل الطريب ، والطريب : جبل صغير .

(٩) الواقدى ٤٦ ، ٤٧

قال الواقدىّ : فكان حكيم بن حزام يحدّث ، قال : كنّا يومئذ فى خباء لنا على جَزُور نشوى من لحمها ، فما هو إلا أنْ سمعنا الخبر ، فامتنع الطعام منّا ، ولقى بعضُنا بعضا ، ولقينى عُتْبة بن ربيعة ، فقال : ياأبا خالد ، ما أعلم أحداً يسير أعجبَ من مسيرنا ، إنّ عيرنا قد نجتْ ، وإنا جئنا إلى قومٍ فى بلادهم بغياً عليهم ، فقلت : أراه لأمرٍ جُمّ ، ولا رأى لمن لا يطاع ! هذا شؤم ابن الحنظليّة ، فقال عتبة : أبا خالد ، أتخاف أنْ تبيّتنا القوم ؟ قلت : لأنت آمن من ذلك ، قال : فما الرأى ياأبا خالد ؟ قلت : نتحارس حتى نصبح وترون رأيكم .

قال عتبة : هذا الرأى ، قال : فتحارسْنا حتى أصبحنا ، فقال أبو جهل : هذا عن أمرِ عُتْبة كره قتال محمد وأصحابه ، إنّ هذا لهو الحجّ ، أتظنون أنّ محمدا وأصحابه يعترضون لجمعكم ! والله لأنتحينّ ناحية بقومى فلا يحرسنا أحد ، فتنحّى ناحية ، وإنّ السماء لتمطرُ عليه ، قال : يقول عتبة : إنّ هذا لهو التنكد[1] .

قال الواقدىّ : أُخِذَ من السُّقّاء من على القليب يسار غلام سعيد بن العاص ، وأسلم غلام منبّه بن الحجّاج ، وأبو رافع غلام أميّة بن خلف ، فأتى بهم النبىّ صلى الله عليه وآله وهو قائم يصلّى ، فسألهم المسلمون ، فقالوا : نحن سُقّاء قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهم ، ورجوا أن يكونوا لأبى سفيان وأصحاب العير ، فضربوهم ، فلمّا أذلقوهم[2] بالضّرب ، قالوا : نحن لأبى سفيان ، ونحن فى العير ، وهذا العير بهذا القوز ، فكانوا إذا قالوا ذلك يُمسِكون عن ضربهم ، فسلّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله من صلاته ، ثم قال : إن صدقوكم ضربتموهم ، وإن كذبوكم تركتموهم ! فقال أصحابه عليه السلام : إنّهم يارسولَ الله يقولون : إنّ قريشا قد جاءت ، فقال : لقد صدقوكم ! خرجت قريش تمنعُ عيرها وخافوكم عليها ، ثم أقبلَ صلى الله عليه وآله على السُّقّاء ، فقال : أين

(١) الواقدى ٤٧

(٢) أذلقوهم . أوجعوهم ضرباً

قريش ؟ فقالوا : خلف هذا الكثيب الذي ترى ، قال : كم هم ؟ قالوا : كثير ، قال : كم عددهم ؟ قالوا : لا ندري ، قال : كم ينحرون ؟ قالوا : يوما عشرة ويوما تسعة ، فقال: القوم مابين الألف والتسعمائة ، ثم قال للسُّقاء : كم خرج من أهل مكة ؟ قالوا : لم يبق أحدٌ به طعم إلا خرج ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس ، فقال : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها ، ثم سألهم رسول الله صلى الله عليه وآله : هل رجع منهم أحد ؟ قالوا : نعم رجع ابن أبي شريق بني زهرة ، فقال صلى الله عليه وآله : راشدهم[1] ، وما كان برشيد، وإن كان ماعلمت لمعادياً لله ولكتابه . ثم قال: فأحد غيرهم ؟ قالوا : نعم بنو عدي بن كعب، فتركهم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال لأصحابه : أشيروا عليّ في المنزل ، فقال الحباب بن المنذر : يارسول الله ، أرأيت منزلك هذا ، أهو منزل أنزلكه الله ، فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأيُ والحرب والمكيدة ، قال : فإنّ هذا ليس بمنزل ! انطلق بنا إلى أدنى مياه القوم ، فإني عالم بها وبقلبها ، فإن بها قليباً قد عرفت عذوبة مائها، وماؤها كثير لا يبرح ، نبني عليها حوضاً ، ونقذف فيها بالآنية فنشرب ، ونقاتل ، ونعوّر[2] ماسواها من القُلُب

قال الواقديّ : فكان ابن عباس يقول : نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وآله فقال : الرأي ماأشار به الحباب فقال : ياحباب، أشرت بالرأي ، ونهض ، وفعل كلّ ذلك[3]

قال الواقديّ : وبعث الله السماء ، وكان الوادي دهساً ، أي كثير الرمل ، فأصاب المسلمين مالبد الأرض ولم يمنعهم من المسير، وأصاب قريشاً مالم يقدروا معه أن يرتحلوا منه ، وإنما بين الطائفتين قَوْز من رمل .

قال الواقديّ . وأصاب المسلمين تلك الليلة النعاس ألقي عليهم ، فناموا ولم يصبهم من المطر مايؤذيهم .

---

(١) الواقدي : « أرشدهم » .
(٢) يقال : عوّر البئر ، إذا كبسها بالتراب
(٣) الواقدي ٤٨

قال الزُّبير بن العوام : لقد سلَّط الله عليهم النّعاس تلك الليلة ، حتى إنّي كنت لأتشدّد ، والنّعاس يخلد بي الأرض فما أطيق إلا ذلك ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه على مثل ذلك الحال . وقال سعدُ بن أبي وقّاص : لقد رأيتُني ، وإن ذَقَني بين ثديي ، فما أشعر حتى أقع على جنبي .

وقال رفاعة بن رافع بن مالك : لقد غشي النّوم ، فاحتلمت حتى اغتسلت آخر الليل[1] .

قال الواقديّ : فلمّا تحوّل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المنزل بعد أن أخذ السّقاء ، أرسل عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود ، فأطافا بالقوم ، ثم رجعا إليه فقالا له : يا رسولَ الله ، القوم مذعورون فزعون ، إن الفرس ليريد أن يصهل فيضرب وجهه ، مع أن السماء تَسُحُّ عليهم[2] .

قال الواقديّ : فلمّا أصبحوا قال مَنَبِّه بن الحجاج — وكان رجلا يبصر الأثر — هذا والله أثرُ ابن سُمَيّة ، وابن أم عبد ، أعرفهما ، لقد جاءنا محمد بسفهائنا وسفهاء أهل يثرب ، ثم قال :

لم يترك الجوع لنا مَبِيتا ... لا بدّ أن نموت أو نُمِيتا[3]

يا معشر قريش ، انظروا غداً إن لقينا محمد وأصحابه ، فاتّقوا على شبّانكم وفتيانكم ،

---

(١) الواقدي ٤٩ ، ٥٠ (٢) الواقدي ٥٠

(٣) بعدها في الواقديّ : قال أبو عبد الله : لقد ذكرت قول منبه بن الحجاج

☆ لم يترك الجوعُ لنا مَبِيتا ☆

محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة ، فقال : لعمري لقد كانوا شباعاً ؟ لقد أخبرني أبي أنه سمع نوفل بن معاوية يقول : نحرنا تلك الليلة عشر جزائر ؟ فنحن في خباء من أخبيتهم نشوي السنام والكبد وصيبة اللحم ونحن خاف من البيات فنحن نتحارس إلى أن أضاء الفجر ، فأسمع منبهاً يقول بعد أن أسفر ، هذا ابن سمية وابن مسعود ، وأسمعه يقول

لم يترك الجوفُ لنا مَبِيتا ... لا بُدَّ أن نموتَ أو نُمِيتا

بأهل يثرب ، فإنا إن نرجع بهم إلى مكة يبصروا من ضلالتهم ماقارقوا من دين آبائهم[١] .

قال الواقدىّ : ولما نزلَ رسول الله صلى الله عليه وآله على القَليب بُنى له عريش من جَريد ، فقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشّحًا سيفه ، فدخلَ النبىّ صلى الله عليه وآله وأبو بكر[١] .

قلت : لأعجبُ من أمرِ العريش ، من أين كان لهم ، أو معهم من سَعفِ النخل مايسوون به عريشا ، وليس تلك الأرض — أعنى أرض بدر — أرضَ نخل ؛ والذى كان معهم من سَعف النخل يجرى مجرى السلاح كان يسيرا جدا ! قيل إنه كان بأيدى سبعة منهم سيعاف عوَضَ السيوف ، والباقون كانوا بالسيوف والسهام والقِسىّ ، هذا قول شاذّ ، والصحيح أنه ماخلا أحدٌ منهم عن سلاح ، اللهمّ إلا أنْ يكونَ معهم سَعفات يسيرة ، وظلل عليها ثوب أو سِتر ، وإلّا فلا أرى لبناء عريش من جريد النخل هناك وجها !

قال الواقدىّ : وصفّ رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه قبل أن ينزل قريش ، فطلعت قريش ورسول الله صلى الله عليه وآله يصفّ أصحابه ، وقد أترعوا حوضًا يفرغون فيه من السحر ، وقذفت فيه الآنية ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وآله رايتَه إلى مصعب بن عمير ، فتقدم بها إلى الموضع الذى أمره أن يضعها ، ووقف رسول الله صلى الله عليه وآله ينظر إلى الصفوف ، فاستقبل المغرب ، وجعل الشمس خلفَه ، وأقبل المشركون ، فاستقبلوا الشمس ، ونزل بالعُدْوة الدنيا من الوادى ، ونزلوا بالعُدْوة[٢] اليمانيّة ، وهى القصوى ، وجاءه رجل من أصحابه فقال : يارسولَ الله ، إن كان هذا عن وحىٍ فامض له ، وإلّا فإنّى

---

(١) الواقدى ٥٠

(٢) فى الواقدى : « عدونا النهر والوادى : جبناه » .

أرى أن تعلوا الوادى ؛ فإنى أرى ريحاً قد هجت من أعلاها ، وأراها ستشت بصرك . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : « قد صدقت صفوفنا ووضحت رايتى ، فلا أغيّر ذلك » ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأمدّه الله بملائكة[1] .

قال الواقدىّ : وروى عروة بن الزبير ، قال : عَدَّل رسول الله صلى الله عليه وآله الصفوف يومئذ ، فتقدم سواد بن غَزِيّة أمام الصف ، فدفع النبى صلى الله عليه وآله بقِدْح فى بطنه ، وقال : استوِ يا سواد ، فقال : أوجعتنى والذى بعثك بالحقّ ، أقِدْنى ، فكشف صلى الله عليه وآله عن بطنه ، وقال . استقِدْ ، فاعتنقه وقبّله ، فقال : ماحملك على ماصنعت؟ قال : حَضَر يارسول الله من أمر الله ماقد ترى ، وخشيت القتل ، فأردت أن يكون آخرَ عهدى بك ، وأن أعتنقك[2] .

قال الواقدىّ : حدثنى موسى بن يعقوب ، عن أبى الحويرث ، عن محمد بن جبير بن مُطعِم ، عن رجل من بنى أوْد قال : سمعت علياً عليه السلام يخطب على منبر الكوفة ، ويقول سلونى أنا أميح[3] فى قليب بدر جاءت ريح لم أرَ مثلها قطّ شدّة ، ثم جاءت بعدها أخرى لم أرَ مثلها إلا التى كانت قبلها ، ثم جاءت ريح أخرى لم أرَ مثلها إلا الأوليَيْن ، فكانت الأولى جبريل فى ألف مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، والثانية ميكائيل فى ألف عن ميمنته ، والثالثة إسرافيل فى ألف عن مَيْسرته ، فلما هزم الله أعداءه ، حملنى رسول الله صلى الله عليه وآله على فرس ، فحرتْ بى ، فلما حرتْ بى حررتُ على عنقها ، فدعوت ربّى ، فأمسكها حتى استويتُ ، ومالى وللخيل ، وإنما كنت صاحب الحَشَم ، فلما استويت طفقت فيهم بيدى هذه حتى احتصصت منى[4] دى — يعنى إبطه[5] —

---

(١) فى الواقدى ٥١ . « فنزل عليه جبريل : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ » يعنيهم على إثر بعض . (٢) الواقدى ٥٢

(٣) فى الأصول . « أمتح » . وفى الواقدى : « أميح يعنى أستقى » وهو من بديع اللغة ، وهو المتح أيضاً » (٤) الواقدى . « منه » (٥) الواقدى ٥٢ ، ٥٣

قلت : أكثر الرواة يروُونه: «لحسبي رسول الله على فرسه»، والصحيح ماذكرناه ،لأنه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله فرس يوم بدر ، وإنما حضرها راكب بعير ، ولكنه لمّا اصطدم الصفّان ، وقتل قوم من فرسان المشركين ، حملَ رسول الله صلى الله عليه وآله عليًّا عليه السلام على بعض الخيل المأخوذة منهم .

قال الواقدىّ : قالوا : كان على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر ، وكان على ميسرته على بن أبى طالب عليه السلام ،وكان على ميمنة قريش هُبيرة بن أبى وهب المخزومى ، وعَلَى ميسرتهم عمرو بن عبد ودّ . قيل : كان زمعة بن الأسود عَلَى ميسرتهم ، وقيل : بل كان على خيل المشركين ، وقيل . الذى كان على الخيل الحارث بن هشام ، وقال قوم . لم يكن هبيرة على الميمنة ، بل كان عليها الحارث بن عامر بن نوفل [1]

قال الواقدىّ : وحدّثنى محمد بن صالح عن يزيد بن رُومان وابن أبى حَبيبة ، قالا : ما كان على ميمنة النبى صلى الله عليه وآله يوم بدر ولا على ميسرته أحدٌ يسمّى ، وكذلك ميمنة المشركين وميسرتهم ماسمعنا فيها بأحد [1].

قال الواقدىّ : وهـذا هو الثّبت عندنا قال : وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ الأعظم لواء المهاجرين مع مُصعب بن عمير، ولواء الخزرج مع الحُباب بن المنذر ولواء الأوس مع سعد بن معاذ ، وكان مع قريش ثلاثة ألوية ، لواء مع أبى عزيزه ، ولواء مع المنذر بن الحارث ، ولواء مع طلحة بن أبى طلحة[1] .

قال الواقدىّ : وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين يومئذ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنى أحثّكم على ماحثّكم الله عليه ، وأنهاكم عمّا نهاكم الله عنه فإنّ الله عظيمٌ شأنه ، يأمر بالحقّ ، ويحبّ الصدق ، ويعطى على الخير أهله على منازلهم عنده

---

(١) الواقدى ٥٣ ، ٥٤

به يذكرون ، وبه يتفاضلون ، وإنكم أصبحتم بمنزل من منازل الحقّ ؛ لا يقبل الله فيه من من أحدٍ إلا ما ابتغى به وجهه . وإنّ الصبر في البأس مما يفرّج الله به الهمّ ، وينجّي به من الغمّ ، تدركون به النّجاة في الآخرة ، فيكم نبيّ الله يحذّركم ويأمركم ، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله على شيءٍ من أمركم يمقتكم عليه ، فإنه تعالى يقول : ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[1] ؛ انظروا إلى الذي أمركم به من كتابه ، وأراكم من آياته ، وما أعزّكم به بعد الذّلة ، فاستمسكوا به يرضَ ربّكم عنكم ، وابلوا ربكم في هذه المواطن أمرا تستوجبوا به الّذي وَعَدكم من رحمته ومغفرته ، فإنّ وعده حقّ ، وقوله صدق ؛ وعقابه شديد ، وإنما أنا وأنتم بالله الحيّ القيّوم ، إليه ألجأنا ظهورنا ، وبه اعتصمنا ، وعليه توكّلنا ، وإليه المصير ، ويغفر الله لي وللمسلمين[2] .

قال الواقديّ . ولمّا رأى رسولُ الله صلى الله عليه وآله قريشاً تصوّب من الوادي ، وكان أوّل مَنْ طلع زَمْعة بن الأسود على فرسٍ له يتبعه ابنه ، فاستحال بفرسه ، يريد أن يبنوا للقوم منزلا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهمّ إنّك أنزلتَ عليّ الكتاب ، وأمرتني بالقتال ، ووعدتني إحدى الطائفتين ، وأنت لا تخلف الميعاد . اللهمّ هذه قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخرها ، تجادلُ وتكذّب رسولك . اللهمّ نصرك الذي وعدتني ، اللهمّ أحِبهم الغداة ! وطلع عُتبة بن ربيعة على جَمَلٍ أحمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنْ يكُ في أحدٍ من القوم خيرٌ ففي صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشُدوا .

قال الواقديّ : وكان إيماء بن رَحْضَة قد بعث إلى قريش ابناً له بعشر جزائر حين مرّوا به أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن يمدّكم بسلاح ورجال فإنّا معدّون لذلك ، مؤدون فعلنا ، فأرسلوا : أن وصلتك رحِم ، قد قضيتَ الّذي عليك ، ولعمري لئن

---

(١) سورة غافر ١٠

(٢) مغازي الواقدي ٥٣

كنّا إنّما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم ؛ ولئن كنّا نقاتل الله بزعم محمد ، فما لأحدٍ بالله طاقة [١] .

قال الواقدى : فروى خفاف بن إيماء بن رحْضة ، قال : كان أبى ليس شىء أحبّ إليه من إصلاح بين الناس ، موكّلًا بذلك؛ فلمّا مرّت به قريش أرسلنى بجزائر عشر هدية لها ، فأقبلتُ أسوقها ، وتبعنى أبى ، فدفعتها إلى قريش فقبلوها ووزّعوها فى القبائل ، فمرّ أبى على عُتْبة بن ربيعة ، وهو سيّد الناس يومئذ ، فقال : يا أبا الوليد ، ما هذا المسير ؟ قال : لا أدرى والله عُلِمت ، قال : فأنت سيّد العشيرة ، فما يمنعك أن ترجع بالناس ، وتحمل دم حليفك ، وتحمل العير التى أصابوا بنخلة ، فتوزّعها على قومك! فوالله ما يطلبون قبل محمد إلا هذا ؛ والله يا أبا الوليد ما تقتلون بمحمد وأصحابه إلّا أنفسكم [٢] !

قال الواقدىّ : وحدّثنى ابن أبى الزّناد ، عن أبيه ، قال : ما سمعنا بأحدٍ سار بغير مالٍ إلا عتبة بن ربيعة [٢] .

قال الواقدىّ : وروى محمد بن جبير بن مطعم ، قال : لما نزل القومُ أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب إلى قريش ، فقال : ارجعوا ؛ فلأن يلى هذا الأمرَ منّى غيرُكم أحبُّ إلىّ من أن تلُوه منّى ؛ وأن أليَه من غيركم أحبُّ إلىّ من أن أليَه منكم ، فقال حكيم بن حزام : قد عرض نَصَفًا ، فلبّوه [٣] ؛ والله لا تُنصَرون عليه بعد أن عرض عليكم من النَّصَف ما عَرَض . وقال أبو جهل : لا نرجع بعد أن أمكننا الله منهم ، ولا نطلب أثرًا بعد عَيْن ، ولا يعرض [٤] لعيرنا بعد هذا أبدا .

قال الواقدىّ : وأقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوضَ ، منهم حكيم بن حزام ، فأراد المسلمون تنحيتهم [٥] عنه ، فقال النبىّ صلى الله عليه وآله : دعوهم ؛ فوردُوا الماء ،

---

(١) مغازى الواقدى ٥٥ . (٢) الواقدى ٥٦ . (٣) الواقدى : « فاقبلوه » .
(٤) الواقدى : « يعترض » . (٥) الواقدى : « تخليتهم » ، قال : « يعنى طردهم » .

فشربوا ، فلم يشرب منهم أحد إلّا قتل ! إلّا ما كان من حكيم بن حزام[1] .

قال الواقدىّ : فكان سعيد بن المسيّب ، يقول : نجا حكيم من الدّهر مرتين ، لما أراد الله تعالى به من الخير ، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله على نفر من المشركين وهم جلوس يريدونه ، فقرأ « يس » ؛ ونثر على رءوسهم التراب ، فما أفلت منهم أحدٌ إلا قتل ، ماعدا حكيم بن حزام . وورد الحوض يوم بدر مع مَنْ ورده من المشركين ، فما ورده إلا من قتل إلا حكيم بن حزام .

قال الواقدىّ : فلمّا اطمأنّ القوم بعثوا عُمير بن وهب الجمحىّ ، كان صاحب قِداح ، فقالوا : أحرُرْ[2] لنا محمدا وأصحابه ، فاستحال بفرسه حول العسكر ، وصوّت فى الوادى وصعّد ، يقول - عسى أن يكونوا لهم مدد أو كمين ! ثم رجع فقال : لا مدد ولا كمين ، والقوم ثلثمائة ، إن زادوا قليلا ، ومعهم سبعون بعيرا ومعهم فرسان ، ثم قال : يا معشرَ قريش ، المنايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم مَنَعة ولا ملجأ إلّا سيوفهم ؛ ألا ترونهم خُرْسًا لا يتكلّمون ، يتلمّظون تلمّظ الأفاعى ! والله ما أرى أن يقتل منهم رجل حتى يقتُل رجُلًا ، فإذا أصابوا منكم عددهم ؛ فما خيرٌ فى العيش بعد ذلك ! فروّا رأيكم[3] .

قال الواقدىّ : وحدّثنى يونس بن محمد الظّفرىّ ، عن أبيه ، أنه قال : لمّا قال لهم عُمير بن وهب هذه المقالة ، أرسلوا أبا أسامة الجشمىّ ، وكان فارس ، فأطاف بالنبىّ صلى الله عليه وآله وأصحابه ، ثم رجع إليهم ، فقالوا له : ما رأيت ؟ قال : والله ما رأيتُ جَلَدًا ولا عددا ولا حَلَقة[4] ولا كُراعا ، ولكنّى والله رأيت قومًا لا يريدون أن يرجعوا إلى أهليهم ! رأيت قوما مستميتين ، ليست معهم مَنَعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، رُزْق العيون ،

---

(١) الواقدى ٥٦

(٢) فى الأصول : « احذر » تصحيف .

(٣) الواقدى ٥٩

(٤) الحلقة هنا : السلاح .

كأنهم الحصا تحت الحجف[1] ، ثم قال : أحشى أن يكون لهم كمين أو مدد ، فصوّب فى الوادى ثم صعّد ، ثم رجع إليهم ، فقال : لا كمين ولا مدد ! فروّا رأيكم[2] .

قال الواقدىّ : ولما سمع حكيم بن حزام ما قال عُمير بن وهب ، مشى فى الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ، أنت كبير قريش وسيّدها والمطاع فيها ، فهل لك ألّا تزال تُذكر فيها بخير آخر الدهر ، مع ما فعلت يوم عُكاظ ! وعتبة يومئذ رئيس الناس ، فقال : وما ذاك يا أبا خالد ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل دم حليفك ، وما أصابه محمد من تلك العير بطن نخلة ، فإنكم لا تطلبون من محمد شيئاً غير هذا الدم والعير ، فقال عتبة : قد فعلت ، وأنت علىّ بذلك . ثم جلس عتبة على حمار فى المشركين من قريش يقول : يا قوم أطيعونى ، ولا تقاتلوا هذا الرجل وأصحابه ، واعصوا هذا الأمر برأيى ، واحملوا حملتها[3] فىّ ، فإن يصبهم رجالا فى ابنهم قريبة ؛ ولا يزال الرجل منكم ينظر إلى قاتل أبيه وأخيه فيورث ذلك بينكم شحناء وأضغانا ، ولن تخلصوا إلى قتلهم حتى يصلوا منكم عددهم ، مع أنه لا آمن أن تكون الدائرة عليكم ، وأنتم لا تطلبون إلّا دمَ القتيل منكم ، والعير التى أصيبت ، وأنا أحتمل ذلك ، وهو علىّ يا قوم ! إن يك محمد كاذبا يكفيكموه دون العرب ، وإن يك مَلِكا كنتم فى ملك ابن أخيكم ، وإن يك نبيًّا كنتم أسعدَ الناس به ! يا قوم لا تردّوا نصيحتى ، ولا تسفّهوا رأيى . فحسده أبو جهل حين سمع خطبته ، وقال : إن يرجع الناس عن خطبة عتبة يكن سيّد الجماعة ، وكان عتبة أنطقَ الناس ، وأطولَهم لسانا ، وأحمقهم حالًا ، ثم قال عتبة لهم : أنشدكم الله فى هذه الوجوه التى كأنها المصابيح ، أن تحملوها أندادا لهذه الوجوه التى كأنها وجوهُ الحيّات ! فلمّا فرغ عتبة من كلامه قال أبو جهل : إنّ عتبة يشير عليكم بهذا

(١) الحجف : التروس .

(٢) مغازى الواقدىّ ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) فى الأصول : « حينها » ، وأثبت ما فى الواقدى .

لأنّ محمدا ابن عمه ،وهو يكره أن يقتل ابنه وابن عمه ، امتلأ والله سَحْرُك ياعتبة وجَبُنْت حين التقت حَلقتا البِطان [١]. الآن تخذّل بيننا وتأمرنا بالرجوع ! لا والله لا نرجع حتى يحكُم الله بيننا وبين محمد . فغضب عتبة ، فقال : يامصفّر استِه ، ستعلم أيّنا أجبن وألأم ! وستعلم قريش مَنِ الجبان المفسد لقومه ! وأنشد :

هـــذايَ وأمرت أمرِي فبشّرى بالثّكل أم عمرو [٢]

قال الواقديّ : وذهب أبو جهل إلى عامر بن الحضرميّ ، أخي عمرو بن الحضرميّ المقتول ببَطْنة ، فقال له : هذا حليفك ـ يعني عتبة ـ يريد أن يرجع بالنّاس، وقد رأيت ثأرك بعينك ، وتخذل بين النّاس ! قد تحمل دم أخيك ، وزعم أنّك قابل الدّية ، ألا تستحي ؟ تقبل الدية وقد قدرت على قاتل أخيك ! قمْ فانشد حُفْرتك ؛ فقام عامر بن الحضرميّ فاكتشف [٣] ، ثم حثا على استه التراب ، وصرخ : واعمراه ! يجزّى بذلك عتبة ؛ لأنه حليفه من بين قريش ؛ فأفسد على النّاس الرأيَ الذي دعاهم إليه عُتْبة ، وحلف عامر لا يرجع حتّى يقتل من أصحاب محمد . وقال أبو جهل لعُمَير بن وهب : حرّش بين الناس ، فحمل عمير فناوش المسلمين ، لأن ينقضّ الصفّ ، فثبت المسلمون على صفّهم ؛ ولم يزولوا ، وتقدّم ابن الحضرمي فشدّ على القوم ، فنشبت الحرب [٤]

قال الواقديّ : فروى نافع بن جبير عن حكيم بن حزام ، قال : لما أفسد الرأي أبو جهل على النّاس ، وحرّش بينهم عامر بن الحضرميّ فأقحم فرسه ، كان أوّل من خرج إليه من المسلمين مهجّع مولى عمر بن الخطاب ، فقتله عامر ، وكان أوّلَ قتيل قُتِل من الأنصار حارثة ابن سراقة ، قتله حيان بن العرقة [٥]

قال الواقديّ : وقال عمر بن الخطاب في مجلس ولايته : يا عميرَ بن وهب ، أنت

---

(١) حلقتا البطان ، كناية عن اشتداد الأمر . (٢) مغازي الواقدي ٥٨ ، ٥٩

(٣) اكتشف : تعرى (٤) الواقدي ٥٩

(٥) الواقدي ٦٠ . « ويقال : عمير بن الحمام ، قتله خالد بن الأعلم العقيلي » .

حاذِرًا للمشركين يوم بدْر ، تصعّد فى الوادى وتصوّب . كأنّى انظر إلى فرسك تختبك تخبر المشركين أنه لا كمين لنا ولا مدد ! قال . إى والله ياأمير المؤمنين ، وأحرى ، أما والله الذى حرّشت بين الناس يومئذ ، ولكن الله حاد بنا بالإسلام ، وهدانا له؛ وما كان فينا من الشرّك أعظم من ذلك ، قال عمر : صدقت[1] .

قال الواقدىّ : وكان عتبة بن ربيعة كلّم حكيم بن حزام ، وقال : ليس عند أحد حلاف إلا عند ابن الحنظليّة ، فاذهب إليه ، فسل له : إنّ عتبة يحمل دم حليفه ، ويضمن العير . قال حكيم : فدخلت على أبى جهل ، وهو يتحلّق تحلوق طِيب ، ودرعه موضوعة بين يديه ، فقلت : إن عتبة بن ربيعة بعثنى إليك ، وقال لى معصبا؛ فقال : ما وجد عتبة أحداً يرسله غيره ؟ فقلت : والله لو كان غيره أرسلنى ما مشيت فى ذلك ، ولكنى مشيتُ فى إصلاح بين الناس — وكان أبو الوليد سيّد العشيرة . فعصب عصبة أخرى . قال : وتقول أيضا سيّد العشيرة ، فقلت : أنا أقوله ، وقريش كلّها تقوله ، فأمر عامرا أن يصلح لحمرته ، واكتشف ، وقال : إنّ عُتبة حاع ، فاسقوه سويقا ، وجعل المشركون يقولون : عتبة جاع ، فاسقوه سويقا ، وحمل أبو جهل بسرّ مما صنع المشركون بعتبة . قال حكيم : فجئت إلى منبّه بن الحجاج فقلت له مثل ما قلت لأبى جهل ، فوجدته خيراً من أبى جهل ، قال : نعما مشيت فيه ، ومادعا إليه عتبة ! فرجعت إلى عتبة فوجدته قد غضب من كلام قريش ، فنزل عن جمله ، وقد كان طاف عليهم فى عسكرهم يأمرهم بالكفّ عن القتال ، فيأبون ، فحمى ، فنزل فلبس دِرْعه ، وظنوا له بَيْضَةً فلم يوجد فى الجيش بَيْضة تسع رأسه من عِظَم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجَر ، ثم برز راجلا بين أخيه شيبة وبين ابنه الوليد ابن عتبة ، فبينا أبو جهل فى الصفّ على فرس أنثى ، حاذاه عُتْبة ، وسلّ سيفه ، فقيل : هو والله يقتله ، فضرب بالسيف عُرقوب فرس أبى جهل ، فاكتسعت[2] الفرس ،

---

(١) مغازى الواقدى ٦٠ (٢) اكتسعت الفرس . سقطت من ناحية مؤخرها ورمت به .

وقال : انزل ، فإنّ هـذا اليوم ليس بيوم ركوب ؛ ليس كلّ قومك راكب ، فنزل أبو جهـل وعُتْبة يقول : سيعلم أيّنا شؤم عشيرته اليـوم ! قال حكيم : فقلت : تالله ما رأيتُ كاليوم !

قال الواقديّ : ثم دعا عُتْبة إلى المبارزة ورسول الله صلى الله عليـه وآله في العَرِيش ، وأصحابه على صفوفهم ، فاضطجع ، فعشيَه النوم ، وقال : لا تقاتلوا حتى أودّكم ، وإن كثبوكم فارمُوهم ولا تسلّوا السيوفَ حتى يغشَوكم . فقال أبو بكر : يارسول الله قد دنا القوم ، وقد نالوا منّا ، فاستيقظ وقد أراه الله إيّاهم في منامه قليلا ، وقلّل بعضهم في أعين بعض ، فمرع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو رافع يديه يناشد ربّه ماوعده من النصر ، ويقول : «اللهمّ إن تظهر عليّ هذه العصابة يظهر الشرك ، ولا يتم لك دين» ، وأبو بكر يقول : والله لينصرنّك الله ولينجزنّ وعدك . قال عبد الله بن رواحة : يارسول الله ، إنّي أشيرُ عليك ، وأنت أعظم وأعلم بالله من أن يشارَ عليك ، إنّ الله أجلّ وأعظم من أن يشدّد وعـده ! فقال عليـه السلام : يابن رواحة ، ألا أشدُّ الله وعدَه ، إن الله لا يخلف الميعاد ! وأقبل عُتْبة يميد إلى القتال ، فقال له حكيم بن حزام : مهلاً مهلاً يا أبا الوليد ! لا تمهّ عن شيء وتكون أوّله [1] .

قال الواقديّ : قال حفاف بن إيماء : فرأيت أصحابَ النبيّ صلى الله عليه وآله يوم بدْر ، وقد تصافّ النّاس وتزاحفوا ، وهم لا يسلّون السيوف ، ولكنهم قد انتصوا القِسيّ ، وقد تترّس بعضهم عن بعض بصفوف متقاربة ، لأفرج بينها ؛ والآخرون قد سلّوا السيوف حين طلعوا ، فعجبت من ذلك ، فسألت بعد ذلك رجلا من المهاجرين ، فقال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله ألا نسلّ السيوف حتى يعشوه [2] .

قال الواقديّ : فلمـا تزاحف الناس قال الأسود بن عبد الأسد المخزومي حين دنا من

---

(١) مغازي الواقدي ٦٠ ، ٦١

الحوض : أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدمنّه أو لأموتنّ دونه. فشدّ حتى دنا من الحوض ، واستقبله حمزة بن عبد المطلب ، فضربه فأطنّ [١] قدمه ، فرحف الأسود ليبرّ قسمه رغم ، حتى وقف فى الحوض فهدّمه بركنه الصحيحة ، وشرب منه ، وأتبعه حمزة ، فضربه فى الحوض فقتله ، والمشركون ينظرون ذلك على صفوفهم [٢] .

قال الواقدىّ : ودنا الناس بعضهم من بعض ، فخرج عتبة وشيبة والوليد حتى فصلوا من الصفّ ، ثم دعوا إلى المبارزة ، فخرج إليهم فتيان ثلاثة من الأنصار ، وهم بنو عَفْراء . مُعاذ ومعوّذ وعوف ، بنو الحارث — ويقال : إنّ ثالثهم عبد الله بن رواحة ، والثابت عندنا أنهم بنو عَفْراء — فاستحى رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ، وكره أن يكون أوّل قتال لقىَ المسلمون فيه المشركين فى الأنصار ، وأحبّ أن تكون الشوكة لبنى عمّه وقومه ، فأمرهم ، فرجعوا إلى مصافّهم ، وقال لهم خيرا ، ثم نادى منادى المشركين . يا محمد ، أخرج إلينا الأكفاء من قومنا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله . يا بنى هاشم ، قوموا فقاتلوا بحقّكم الذى بعث الله به نبيّكم إذ جاءوا باطلهم ليطفئوا نور الله . فقام حمزة بن عبد المطّلب وعلىّ بن أبى طالب وعُبيدة بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف ، فمشوا إليهم ، فقال عتبة : تكلّموا نعرفكم — وكان عليهم البيض ، فأسكروهم — فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم [٣] .

* * *

وروى محمد بن إسحاق فى كتاب " المغازى " خلاف هذه الرواية ، قال : إن بنى عَفْراء وعبد الله بن رَوَاحة بروا إلى عُتبة وشيبة والوليد ، فقالوا لهم : مَنْ أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار ، فقالوا : ارجعوا فما لنا بكم من حاجة ! ثم نادى منادیهم : يا محمد

(١) أطن قدمه : قطعها
(٢) على صفوفهم : أى على حالتهم التى كانوا عليها
(٣) مغازى الواقدى ٦٢ ، ٦٣

أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : قم يافلان ، قم يافلان، قم يافلان [1] .

قلت : وهذه الرواية أشهر من رواية الواقدىّ ، وفى رواية الواقدىّ مايؤكد صحة رواية محمد بن إسحاق ، وهو قوله : إنّ منادى المشركين نادى : « يامحمد ، أخرج إلينا الأكفاء من قومنا » فلو لم يكن قد كلّمهم بنو عمراء وكلّموهم وردّوهم ، لما نادى منادیهم بذلك. ويدلّ على ذلك قول بعض القرشيّين لبعض الأنصار فى فخر فخرَ به عليه : أنا من قوم لم يرضَ مشركوهم أن يقتلوا مؤمنى قومك .

قال الواقدىّ : فقال حمزة : أنا حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله ، فقال عتبة : كفء كريم ، وأنا أسد الحلفاء ، من هذان معك ؟ قال : على بن أبى طالب وعبيدة ابن الحارث بن المطلب ، فقال : كفآن كريمان [2] .

قال الواقدىّ : قال ابن أبى الزناد : حدّثنى أبى ، قال : لم أسمع لعُتْبة كلمةً قطّ أوهَن من قوله : « أنا أسد الحلفاء » يعنى بالحلفاء الأحمَة .

قلت : قد روى هذه الكلمة على صيغة أخرى : « وأنا أسد الحُلَفاء » ، وروى : « أنا أسد الأحلاف » .

قالوا فى تفسيرها : أراد أنا سيّد أهل الحلف لمطيّبين ، وكان الذين حضروه بنى عبد مناف وبنى أسد بن عبد العزّى وبنى تيم وبنى زُهْرة وبنى الحارث بن فهر ؛ خمس قبائل . وردّ قوم هذا التأويل ، فقالوا : إن المطيّبين لم يكن يقال لهم : الحلفاء ولا الأحلاف ، وإنما ذلك لقب خصومهم وأعدائهم الذين وقع التحالف لأجلهم، وهم بنو عبد الدار ، وبنو مخزوم، وبنو سَهم، وبنو جُمَح، وبنو عدىّ بن كعب ؛ خمس قبائل . وقال قوم فى تفسيرها : إنما عنى

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥ ، وفيها : « قم ياعبيدة بن الحارث ، قم ياحمزة ، قم ياعلى »

(٢) مغازى الواقدى ٦٣

حِلْف الفُضول ، وكان بعد حلف المطيبين بزمان ، وشهد حلف الفُضول رسول الله صلى الله عليه وآله وهو صغير فى دار ابن جُدْعان ، وكان سببه أنّ رجلا من اليمن قدم مكّة بمتاع ، فاشتراه العاص بن وائل السهمىّ ومطله بالثمن حتى أتعبه ، فقام بالحجْر وناشد قُريشا طلامته ، فاجتمع بنو هاشم و بنو أسد بن عبد العُزّى و بنو زهرة ، و بنو تميم ، فى دار ابن جُدْعان ، فتحالفوا وعمسُوا أيديَهم فى ماء زمزم ، بعد أن غسلوا به أركان البيت ؛ أن يبصروا كلّ مظلوم بمكة ، و يردُّوا عليه طلامته ، و يأخذوه على يد الظالم ، و ينهَوْا عن كلّ منكر ، ما بلّ بحرٌ صوفة ، فسمّى حلف الفضول لفضله ، وقد ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : « شهدته وما أحب أن لى به حُمْرَ النعم ، ولا يريده الإسلام إلّا شدّة » . وهذا التفسير أيضا غير صحيح ، لأنّ بنى عبد الشمس لم يكونوا فى حِلْف الفضول ، فقد بان أن ما ذكره الواقدىّ أصحّ وأثبت .

قال الواقدىّ : ثم قال عتبة لابنه : قم يا وليد ، فقام الوليد وقام إليه علىّ ، وكانا أصغرَ القوم ، فاختلفا ضربتين ، فقتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، ثم قام عتبه ، وقام إليه حمزة فاختلفا ضربتين ، فقتله حمزة رضى الله عنه ، ثم قام شيبة ، وقام إليه عُبيدة ، وهو يومئذ أسنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فضرب شَيْبَةَ رِجْل عبيدة بذُباب السيف ، فأصاب عضلة ساقه ، فقطعها وكرّ حمزة وعلىّ على شيبة فقتلاه ، واحتملا عبيدة فجاءا به إلى الصفّ ، ومخّ ساقه يسيل ، فقال عبيدة : يا رسول الله ، ألستُ شهيداً ؟ قال : بلى ، قال : أما والله لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أنى أحق بما قال حين يقول :

كذبتُمْ وبيتِ الله نحلِى محمّدا ولمّا نطاعِنْ دونهُ ونناضِلُ
ونسلمُه حتى نصرّع حولَه ونذهَل عن أبنائنا والحلائل

ونزلت فيهم هذه الآية : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ (١) .

(١) سورة الحج ١٩ والخبر فى الواقدى ٦٣ ، و ٦٤

وروى محمد بن إسحاق أن عتبة بارزَ عُبيدة بن الحارث ، وأنّ شيبة بارز حمزة بن عبد المطلب ، فقتل حمزة شيبة ، لم يمهله أن قتله ؛ ولم يمهل عليٌّ الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت[1] صاحبه ، وكرّ حمزة وعليٌّ عليه السلام على عُتْبة بأسيافهما ، حتى وقفا عليه[2] ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى الصف[3] .

قلت : وهذه الرواية توافق مابذكره أمير المؤمنين عليه السلام فى كلامه ، إذ يقول لمعاوية : وعدى السيفُ الذى أعضضتُ به أخاك وخالك وجدّك يوم بدر . ويقول فى موضع آخر : قد عرفت مواقع نصالها فى أخيك وخالك وجدّك ، وما هى من الظالمين ببعيد .

واختار البلاذرىّ رواية الواقدىّ : وقال : إن حمزة قتل عتبة ، و إنّ عليا عليه السلام قتل الوليد ، وشرك فى قتل شيبة[4] .

وهذا هو المناسب لأحوالهم من طريق السنّ ، لأن شيبة أسنّ الثلاثة ، فحُمل بإزاء عبيدة وهو أسنّ الثلاثة ، والوليد أصغر الثلاثة سنّا ، فحُمل بإزاء على عليه السلام ، وهو أصغر الثلاثة سنا ، وعتبة أوسطهم سنّا ، فحملّ بإزاء حمزة وهو أوسطهم سنّا . وأيضا فإنّ عتبة كان أمثلَ الثلاثة ، فمقتضى القياس أن يكونَ قرنه أمثلَ الثلاثة ، وهو حمزة إذ ذاك ، لأنّ عليا عليه السلام لم يكن قد اشتهر أمره جدا ، وإنما اشتهر الشُّهرة التامّة بعد بدر . ولمن روى أنّ حمزة بارز شيبة — وهى رواية ابن إسحق — أن ينتصر بشعر هند بنت عتبة ترثى أباها :

أعينىّ جودا بدمع سَرِبْ ... على خير خِنْدف لم ينقلبْ[5]
تداعَى له رهطُه قُصْرةً ... بنو هاشم و بنـــو المطّلبْ[6]
يذيقونه حرّ أسيافهمْ ... يعلّونه بعـــد ماقد عَطِبْ[7]

---

(١) أثبته : جرحه
(٢) ابن هشام : « دفنا عليه » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥
(٣) أنساب الأشراف ١ : ٢٩٧
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٤١٥ ، والواقدى : « عدوة »
(٦) يقال : هو ابن عمى قصرة ، أى قريب . وفى ا
(٧) ا : « شحب » .

فإذا كانت قد قالت إن عتبة أباها أدلقه بنو هاشم و بنو المطلب حرّ أسيافهم ، فقد ثبت أن المبارز لعتبة إنما هو عُبيدة لأنه من بنى المطلب جرح عتبة ، فأثبته ثم ذفّف[1] عليه حمزة وعلى عليه السلام . فأما الشيعة ، فإنها تروى أن حمزة بادر عتبة فقتله ، وأنّ اشتراك علىّ وحمزة إنما هو فى دم شيبة بعد أن جرحه عبيدة بن الحارث ، هكذا ذكر محمد ابن النعمان فى كتاب " الإرشاد " ، وهو خلاف ماتنطق به كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية ، والأمر عندى مشتبه فى هذا الموضع .

وروى محمد بن النعمان ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنه كان يذكر يوم بدر ويقول : أحتفت أنا والوليد بن عتبة صربتين ، فخطأنى ضربته ، وأصربه فالتقانى بيده اليسرى ، فأبانها السيف ، فكأنى أنظر إلى وميض خاتم فى شماله ، ثم ضربته أخرى فصرعته وسلبته ، فرأيت به الرّدع[2] من خَلُوق ، فعلمت أنه قريب عهد بعرس .

* * *

قال الواقدىّ : وقد روىَ أنّ عُتبة بن ربيعة حين دعا إلى البراز ، قام إليه ابنه أبو حُذَيفة بن عتبة يبارزه ، فقال له النبى صلى الله عليه وآله : اجلس ، فلمّا قام إليه النّمر أعان أبو حذيفة على أبيه عُتْبة بضربة[3] .

قال الواقدىّ : وأخبرنى ابن أبى الزّناد ، عن أبيه ، قال . شيبة أكبر من عتبة بثلاث سنين ، وحمزة أسنّ من النبى صلى الله عليه وآله بأربع سنين ، والعبّاس أسنّ من النبىّ صلّى الله عليه وآله بثلاث سنين[4] .

قال الواقدىّ - واستفتح أبو جهل يوم بدر ، فقال : اللهمّ أقطعنا للرّحم وآتانا بما لايعلم ، فأحنه الغداة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ... ﴾[5] الآية .

(١) دفف عليه : أى أجهز .
(٢) الردع : « الزعفران » .
(٣) مغازى الواقدى ٦٤
(٤) مغازى الواقدى ٦٥ ؛ والخبر هنا أوفى وأشمل .
(٥) سورة الأنفال ١٩ ، والخبر فى الواقدى ٦٥ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ٤٤١ (طبعة المعارف)

قال الواقدىّ : وروى عُروة عن عائشة أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله جعل شعار المهاجرين يوم بدر : يابنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يابنى عبد الله ، وشعار الأوس : يابنى عبيد الله

قال وروى زيد بن على بن الحسين عليه السلام ، أنّ شعارَ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يوم بدر يامنصور أمِت[1] .

قال الواقدىّ : ونهى رسولُ الله صلى الله عليه وآله عن قتل أبى البخترىّ ، وكان قد لبس السلاح بمكّة يوما قبل الهجرة فى بعض ما كان ينال النبى صلى الله عليه وآله من الأذى ، وقال : لا يعرض اليوم أحدٌ لمحمد أذىً إلا وضعت فيه السلاح . فشكر ذلك له النبىّ صلى الله عليه وآله . قال أبو داود المازنىّ : فلقيتُه يوم بدر ، فقلت له : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قد نهى عن قتلك إن أعطيت بيدك ، قال : وما تريد إلىّ ! إنْ كان قد نهى عن قتلى ، فقد كتب أمنيتُه ذلك ، فأمّا أن أعطىَ بيدى ، فواللات والعزّى لقد علمت نسوة بمكّة أنى لا أعطى بيدى ، وقد عرفتُ أنك لا تدّعى ، فافعل الذى تريد ، فرماه أبو داود بسهم ، وقال : اللهمّ سهمك وأبو البخترىّ عندك ، فصمه فى مقتله ؛ وأبو البخترى دارع ، فشق السهم الدرع فقتله .

قال الواقدىّ : ويقال إنّ المجذّر بن ذياد قتل أبا البخترىّ ولا يعرفه ، وقال المجذّر فى ذلك شعراً عُرِف منه أنه قاتله[2] .

* * *

وفى رواية محمد بن إسحاق : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله نهى يوم بدر عن قتل أبى البخترىّ ، واسمه الوليد بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزّى ، لأنه كان أكفّ

---

(١) مغازى الواقدى ٦٦ (٢) مغازى الواقدى ٧٥

الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان فيمن قام فى نقض الصحيفة التى كتبتها قريش على بنى هاشم ، فلقيه المجذّر بن ذياد البلوىّ حليف الأنصار ، فقال له : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهانا عن قتلك ، ومع أبى البخترى رميل له خرج معه من مكة يقال له جُنادة بن مُلَيحة ، فقال أبو البخترىّ . ورميلى ! قال المجذّر : والله مانحن تاركى رميلك ، مانهانا رسول الله صلى الله عليه وآله إلا عنك وحدك[1] ، قال : إذاً والله لأموتنّ أنا وهو جميعا ، لا تتحدّث عنى نساء أهل مكة أنى تركت رميلى حرصا على الحياة ، فنازله المجذّر ، وارتجز أبو البخترى[2] فقال :

لن يُسلِم ابن حرّة رميلَهْ حتى يموت أو يرى سبيلَهْ

ثم اقتتلا ، فقتله المجذّر ، وجاء إلى رسول صلى الله عليه وآله فأخبره ، وقال : والذى أكرمك بالحقّ لقد جهدت أن يستأسر فأكفّك به ، فأبى إلاّ القتال فقاتلته[3] فقتلته[4]

* * *

قال الواقدىّ . ونهى النبىّ صلى الله عليه وآله عن قتل الحارث بن عامر بن نوفل ، وقال : أسروه ولا تقتلوه ، وكان كارها للخروج إلى بدر ، فلقيه حبيب بن يساف فقتله ولا يعرفه ، فلما النبىّ صلى الله عليه وآله ذلك ، فقال : لو وجدته قبل أن يقتل لتركته لنسائه . ونهى عن قتل زَمْعة بن الأسود فقتله ثابت بن الجِذْع ، ولا يعرفه .

قال الواقدى : وارتجز عدى بن أبى الرّعباء يوم بدر ، فقال :

أنا عدىّ والسُّحَلْ أمشى بها مَشْىَ الفَحَلْ

يعنى درعه . فقال النبىّ صلى الله عليه وآله : مَنْ عدىّ ؟ فقال رجل من القوم : أنا يارسول الله ، قال : وماذا ؟ [قال: ابن فلان ، قال : لست أنت عديّا ، فقال عدىّ بن أبى

---

(١) ابن هشام : « ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك » .

(٢) ابن هشام : « فقال أبو البخترى حين نازله المجذّر ، وأبى إلا القتال » .

(٣) ابن هشام : « إلا أن يقاتلنى » (٤) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٠ ، ٢٧١

الزعباء : أنا يارسول الله عدىّ ، قال : وماذا] [١] ؟ قال : « والسَّحَل ، أمشى بها مشى الفَحَل » ، قال النبي صلى الله عليه وآله : وما السَّحَل ؟ قال : درعى ، فقال صلى الله عليه وآله « نعم العدىّ ، عدىّ بن أبى الزّعباء » [٢] .

قال الواقدى : وكان عقبة بن أبى مُعَيْط قال بمكّة حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة :

يا راكب الناقة القَصْواء هاجِرَنا ... عمّا قليلٍ ترانى راكبَ الفَرَسِ
أعِلُّ رُمْحى فيكم ثم أُنْهِلُهُ ... والسَّيْفُ يأخذ منكم كلَّ ملتبِسِ

فبلغ قولُه النبىَّ صلى الله عليه وآله ، فقال : « اللهمّ أكبّه لمنخره واصرعه » ؛ فجمح به فرسُه يوم بدر ، بعد أن ولّى الناس ، فأخذه عبد الله بن سلَمة العجلانىّ أسيراً ، وأمر النبىّ صلى الله عليه وآله عاصم بن أبى الأقلح ، فضرب عنقه صَبْرا [٣] .

قال الواقدىّ . وكان عبد الرحمن يحدّث يقول : إنّى لأجمع أدراعاً يوم بدر ، بعد أن ولّى الناس ، فإذا أميّة بن خلف ـ وكان لى صديقاً فى الجاهليّة ، وكان اسمى عبد عمرو ، فلما جاء الإسلام تسمّيت عبدَ الرحمن ، فكان يلقانى بمكّة فيقول : ياعبد عمرو ، فلا أجيبه ، فيقول : إنّى لا أقول لك عبدالرحمن ، إنّ مسيلمة باليمامة [٤] تسمّى بالرحمن ، فأنا لا أدعوك إليه ، فكان يدعونى عبد الإله ، فلما كان يوم بدر رأيتُه وكأنه جمل يُساق ، ومعه ابنه علىّ ، فنادانى : ياعبد عمرو ، فأبيت أن أجيبه ، فنادانى : ياعبد الإله ، فأجبته ، فقال : أما لكم حاجة فى اللّبن ؟ نحن خير لك من أدرعك هذه ، فقلت : امضيا ، فجعلت أسوقهما أمامى ، وقد رأى أميّة أنه قد أمِن بعضَ الأمن ، فقال لى أميّة : رأيت رجلاً فيكم اليوم معلِماً فى صدره بريشة نعامة ، من هو ؟ فقلت : حمزة بن عبد المطلب ، فقال : ذاك الّذى

---

(١) من مغازى الواقدى .
(٢) مغازى الواقدى ٧٦
(٣) مغازى الواقدى ٧٦ ، ٧٧
(٤) الواقدى « يتسمى » .

فعل بنا الأفاعيل ! ثم قال : فمن رَجُلٌ دحداح قصير معلَّم بعصابة حمراء ؟ قلت : ذاك رجل من الأنصار ، يقال له : سِماك بن خَرَشة ، قال : وبذاك أيضاً ياعبد الإله صرنا اليوم جَزَراً لكم ! قال : فبينا هو معى أرجّيه [1] أمامى ، ومعه ابنه ، إذ نصر به بلال وهو يعجن عجينا له ، فترك العجين ، وجعل يفتِلُ يديه منه فتلاً ذريعا، وهو ينادى : يامعشر الأنصار ، أميّة بن خلف رأس الكفر ! لا نجوتُ إن نجوتَ ـ قال : لأنه كان يعذّبه بمكّة ـ فأقبلت الأنصار كأنّهم عُودٌ حَنّت إلى أولادها ، حتى طرحوا أميّة على ظهره ، واضطجعت عليه أحمِيه منهم ، فأقبل الخبّاب بن المنذر ، فأدخل سيفَه ، فاقتطع أرنبة أنفه، فلمّا فقد أميّة أنفه ، قال لى : إيهاً عنك ! أى خلّ بينى وبينهم ، قال عبد الرحمن فذكرت قول حسان :

* أو عن ذلك الأنف جادع *

قال : ويقبل إليه خُبَيب بن يَساف ، فضربه حتى قتله ، وقد كان أميّة ضرب خُبيب ابن يساف حتى قطع يده من المنكِب، فأعادها النبىّ صلى الله عليه وآله فالتحمت واستوت، فتزوّج خُبَيب بن يساف بعد ذلك ابنة أميّة بن خلف ، فرأت تلك الضربة ، فقالت : لا يشلّ الله يدَ رجلٍ فعل هذا ! فقال خبيب : وأنا والله قد أوردته شَعُوب ، فكان خُبَيب يحدّث يقول : فأضربه فوق العاتِق ، فأقطع عاتقه حتى بلغت مؤتَزَره ، وعليه الدّرع ، وأنا أقول : خذها وأنا ابن يساف ! وأخذت سلاحه ودرعه ، وأقبل علىّ بن أمية فتعرّض له الخبّاب، فقطع رجله ، فصاح صيحة ماسمع مثلها قطّ ، ولقيه عمّار فضربه ضربة فقتله . ويقال : إنّ عمّاراً لاقاه قبل ضربة الخبّاب ،فاختلفا ضربات ، فقتله عمار . والأُولَى أثبت ، أنه ضربه بعد أن قطعت رجله [2].

قال الواقدىّ : وقد سمعنا فى قتل أميّة غير ذلك ، حدثنى عُبيد بن يحيى ، عن معاذ بن

(١) أرجيه : أسوقه .
(٢) مغازى الواقدى ٧٧ ، ٧٨ .

رفاعة ، عن أبيه ، قال : لمّا كان يوم بدر وأخذنا بأميّة بن خلف ، وكان له فيهم شأن، ومعي رمحي ، ومعه رمحه ، فتطاعنا حتى سقطت أرجلهما ، ثم صرنا إلى السّيفين فتصاربنا بهما حتى انثلما ، ثم نصرت نفسي في درعه تحت إبطه ، فغشيت السيف فيه حتى قتلته ، وخرج السيف عليه الوَدك [1] .

قال الواقدي : وقد سمعنا وجها آخر : حدثني محمد بن قُدامة بن موسى ، عن أبيه ، عن عائشة بنت قدامة ، قالت : قال صفوان بن أميّة بن خلف يوما . يا قُدام ـ لقدامة بن مظعون ـ أنت المشلي [2] بأبي يوم بدر النّاس ! فقال قدامة : لا والله ما فعلت ، ولو فعلت ما اعتذرت من قتل مشرك . قال صفوان : فمن يقدام المشلي به يوم بدر ؟ قال : رأيت فتية من الأنصار أقبلوا إليه ، فيهم معمر بن حُبيب بن عبيد بن الحارث ، يرفع سيفه و يضعه فيه، فقال صفوان : أبو قرد ! وكان معمر رجلا دميماً ، فسمع بذلك الحارث بن خاطب ، فغضب له ، فدخل على أمّ صفوان ، فقال : ما يدَعُنا صفوان من الأذى في الجاهليّة والإسلام ! قالت : وما ذاك ؟ فأخبرها بمقالة صفوان لمعمر حين قال : أبو قرد ! فقالت أمّ صفوان : يا صفوان ، أتنقص معمر بن حبيب من أهل بدر ! والله لا أقبل لك كرامة سنة . قال صفوان : يا أمّة ، لا أعود والله أبدا ، تكلّمتُ بكلمة لم ألقِ لها بالا [3] .

قال الواقدي : وحدّثني محمد بن قُدامة ، عن أبيه ، عن عائشة بنت قدامة ، قالت : قيل لأمّ صفوان بن أميّة ـ ونظرت إلى الحبّاب بن المنذر بمكّة : هذا الذي قطع رِجْل عليّ بن أمية يومَ بدْر ، قالت : دعونا عن ذكر مَنْ قُتِل عَلَى الشِّرْك ، قد أهان الله عليا بصرعة الحبّاب بن المنذر ، وأكرم الله الحبّاب بصربته عليه ، ولقد كان على الإسلام حين خرج من هاهما ، فقتل على غير ذلك [4] .

* * *

(١) مغازي الواقدي ٧٨ ، ٧٩ (٢) المشلي : المحرض .

(٣) مغازي الواقدي ٧٩

(٤) مغازي الواقدي ٧٩ ، ٨٠ ، وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٢ ، ٢٧٣

فأمّا محمد بن إسحاق ، فإنه قال : قال عبد الرحمن بن عوف : أخذت يدِ أميّة بن خلف ويد ابنه عليّ بن أمية أسيرين يوم بَدْر ، فبينا أنا أمشي بينهما ، رآنا بلال ـ وكان أميّة هو الذى يعذّب بلالا بمكّة ، يخرجه إلى رَمْضاء [1] مكة إذا حميت ، فيضجعه على ظهره ، ثم يأمرُ بالصَّخرة العظيمة فتوضع بحِذائها على صدره ، ويقول له : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد ! فيقول بلال : أحدٌ أحدٌ ! لا يزيده عَلَى ذلك ـ فلمّا رآه صاح : رأس الكفر أميّة بن خلف ، لا نجوتُ إن نجوتَ ! قال عبد الرحمن : فقلت أى بلال ، أسيرى! فقال : لا نجوتُ إن نجا ، فقلت : أتسمع يا ابن السوداء ، قال : لا نجوت إن نجا ، ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، أميّة بن خلف رأس الكفر ، لا نجوتُ إن نجا ، فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المُسْكة [2] ، وأنا أذبّ عنه ، [3] ويحذف عمّار بن ياسر عليا بالسيف ، فأصاب رجله ، فوقع وصاح أمّة صيحةً ما سمعت منها قط [3] ، فحمّيت عنه ، وقلت : انجُ سعدك ولا نجاء به ! فوالله ما أغنى عنك شيئا ، قال : فهبروهما [4] بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن بن عوف ، يقول : رحِم الله بلالا ! أذهب أدرعى ، وفجعنى بأسيرى [5] !

* * *

قال الواقدىّ : وكان الزبير بن العوام يحدّث فيقول : لمّا كان يومئذ لقيتُ عبيدة ابن سعيد بن العاص على فرس ، عليه لأمة كاملة لا يُرى منه إلا عيناه ، وهو يقول ـ وكانت له صنّية صغيرة ، يحملها وكان لها نُطَين وكانت مقسّمة: أنا أبو ذات الكرش ، أنا أبو ذات

---

(١) الرمضاء : الرمل الشديد الحرارة من الشمس .

(٢) المسكة : السوار .

(٣ ـ ٣) ابن هشام : « فأخذ رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أمية صيحة عظيمة ما سمعت بمثلها قط » .

(٤) هبروهما : قطعوا لحمهما ؛ تقول : هبرت اللحم إذا قطعته قطعاً .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٢ ، ٢٧٣

الكرش . قال : وفى يدى عَنَزَة [١] فطعن بها فى عينه ووقع ، وأطؤه برجلى عَلَى خدّه ، حتى أخرجت العَنَزَة متعقفة ، وأخرجت حدقته ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله تلك العَنَزَة ، فكانت تحمل بين يديه ، ثم صارت تحمل بين يدى أبى بكر وعمر وعثمان [٢] .

قال الواقدىّ : وأقبل عاصم بن أبى عوف بن ضُبَيرة السَّهمىّ ، لما جال الناس واختلطوا ، وكأنه ذئب ، وهو يقول : يامعشرَ قريش ، عليكم بالقاطع مفرّق الجماعة ، الآتى بما لا يعرف ، محمد ، لا نجوتُ إن نجا ! ويعترضه أبو دُجانة ، فاختلفا ضربتين ، ويضربه أبو دجانة فقتله ، ووقف عَلَى سلاحه يسلبه ، فمرّ به عمر بن الخطاب ، فقال : دع سلَبه حتى يُحمِض [٣] العدوّ ، وأنا أشهد لك به [٤] .

قال الواقدىّ : ويقتل معبد بن وهب ، أحد بنى عامر بن لؤىّ ، فضرب أبا دُجانة ضربة بَرَك منها أبو دُجانة كما يبرك الحمل ، ثم انتهض ، وأقبل عَلَى معبد ، فضربه ضربة لم يصنع سيفه شيئاً ، حتى يقع معبد لحفرة أمامه لا يراها ، ويزل أبو دُجانة عليه ، فذبحه ذبحاً ، وأخذ سلبه [٥] .

قال الواقدىّ : ولما كان يومئذ ، ورأت بنو مخزوم مقتَل مَنْ قُتِل ، قالت : أبو الحكم ! لا يخلص إليه ، فإنّ ابنَىْ ربيعة عَجِلا وبطرا ، ولم تحام عنهما [٦] عشيرتهما . فاجتمعت بنو مخزوم ، فأحدقوا به ، فحملوه [فى] [٧] مثل الحرجة ، وأجمعوا أن يلبسوا لأمة أبى جهل رجلاً منهم ، فألبسوها عبد الله بن المنذر بن أبى رفاعة ، فصمد له علىّ عليه السلام ، فقتله وهو يراه أبا جهل ، ومضى عنه وهو يقول : أنا ابن عبد المطلب ! ثم ألبسوها أبا قيس بن

---

(١) العنزة : شبيه النكازة ، أطول من العصا وأقصر من الرمح ، لها زج من أسفلها .
(٢) مغازى الواقدى ٨٠ (٣) ا والواقدى : « يحمض » .
(٤) مغازى الواقدى ٨١ (٥) مغازى الواقدى ٨٠ ، ٨١
(٦) كذا فى ا ، وفى ب والواقدى : « عليهما » . (٧) من الواقدى

العاكه بن المغيرة ، فصمّد له حمزة وهو يراه أبا جهل ، فضربه فقتله وهو يقول : خذها وأنا ابن عبد المطلب ! ثم ألبسوها حَرْملة بن عمرو ، فصمّد له عليّ عليه السلام فقتله ، ثم أرادوا أن يلبسوها خالد بن الأعلم ، فأبى أن يلبسها ، قال معاذ بن عمرو بن الجموح : فنظرت يومئذ إلى أبي جَهْل في مثل الحَرَجَة ، وهم يقولون : أبو الحكم ! لا يخلص إليه ، فعرفت أنه هو ، فقلت : والله لأموتنّ دونه ليوم أو لأخلصنّ إليه ، فصمدت له ، حتى إذا أمكنني منه عِرّة حملت عليه ، فضربته ضربةً طرحت رجلَه من السّاق ، فشهّتها السّواء تمرّ من تحت الراضخ ، فأقبل ابنُه عِكرمة عليّ فضربني على عاتقي ، فطرح يدي من العاتق ، إلا أنه بقيت جلدة ، فذهبت أسحب يدي بتلك الجلدة خلفي ، فلما آذتني وضعت عليها رجلي ، ثم تمطيت عليها فقطعتها ، ثم لاقيت عِكْرِمة وهو يلوذ كلّ ملاذ ، ولو كانتْ يدي معي لرجوت يومئذ أن أصيبَه . ومات معاذ في زمن عثمان [1] .

قال الواقديّ : فروى أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله نفّل معاذ بن عمرو بن الجموح سيفَ أبي جهل ، وأنه عند آل معاذ بن عمرو اليوم وبه قلّ ، بعد أن أرسل النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عكرمة بن أبي جهل ، يسأله مَنْ قتل أباك ؟ قال : الذي قطعت يده ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وآله سيفَه إلى معاذ بن عمرو ، لأن عكرمة بن أبي جهل قطع يده يوم بدر [2] .

قال الواقديّ : وما كان بنو المغيرة يشكّون أن سيف أبي الحكم صار إلى معاذ بن عمرو بن الجموح ، وأنه قاتله يوم بدر [2] .

قال الواقديّ : وقد سمعت في قتله وأخذ سيفه غير هذا ؛ حدّثني عبد الحميد بن جعفر ، عن عمر بن الحكم بن ثوبان ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : عدَانا رسول الله صلى الله عليه وآله بليل ، فأصبحنا ونحن على صُفوفنا ، فإذا نحن بغلامين ، ليس منهما واحد إلّا قد

(١) مغازي الواقدي ٨١ (٢) مغازي الواقدي ٨١ ، ٨٢

ربطت حمائل سيفه فى عنقه لصغره ، فالتفت إلىّ أحدهما ، فقال : ياعمّ ، أيّهم أبو جهل ؟ قال : قلت : وما تصنع به يا بن أخى ؟ قال : بلغنى أنه يسبّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله ، فحلفت: لئن رأيتُه لأقتلنّه أو لأموتنّ دونه . فأشرت إليه ، فالتفت إلىّ الآخر ، وقال لى مثل ذلك ، فأشرت له إليه ، وقلت له : من أنتما ؟ قالا : ابنا الحارث ، قال : فجعلا لا يطرفان عن أبى جهل ؛ حتى إذا كان احتمال حَمَصا إليه فقتلاه وقتلهما[1] .

قال الواقدىّ : فحدّثنى محمد بن عوف ، عن إبراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت ، قال : لما كان يومئذ ، قال عبد الرحمن ، ونظر إليهما عن يمينه وعن شماله : ليته كان إلى جنبى مَنْ هو أمدّ من هذين الصبيين ! ثم أنشب أن التفتّ إلى عوف ، فقال . أيّهم أبو جهل ؟ فقلت : دالك حيث ترى ، فخرج نحوه إليه كأنه سَبُع ، ولحقه أخوه ، فأنا أنظر إليهم يصطربون بالسيوف ؛ ثم نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يمرّ بهم فى القتلى ، وهما إلى جانب أبى جهل[2] .

قال الواقدىّ : وحدّثنى محمد بن رفاعة بن ثعلبة ، قال : سمعتُ أبى يتذكر ما يقول الناس فى ابنى عَفْراء من صِغَرهما ، ويقول : كانا يوم بدر أصغرهما ابن خمس وثلاثين سنة ، فهذا يربطُ حمائل سيفه ! قال الواقدىّ : والقول الأوّل أثبت[3] .

وروى محمد بن عمار بن ياسر ، عن رُبَيِّع بنت معوّذ ، قالت : دخلتُ فى نسوةٍ من الأنصار على أسماء أمّ أبى جهل فى زمن عمر بن الخطاب ، وكان ابنها عبد الله بن أبى ربيعة يبعث إليها بعِطْرٍ من اليمن ، فكانت تبيعه إلى الأعطية ، فكنّا نشترى منها ، فلمّا جعلت لى فى قوارير ، وورثت لى كاوزت لصواحبى ، قال : اكتبنّ لى عليكنّ حتى ، قلت : نعم ، اكتب لها على الرّبَيِّع بنت معوذ ، فقالت : أسماء خلقى : وإنك

(١) مغازى الواقدى ٨٢ ، ٨٣ (٢) مغازى الواقدى ٨٣

(٣) مغازى الواقدى ٨٣

لابنة قاتل سيده ! فقلت : لا ، ولكن ابنة قاتل عبده ، فقالت : والله لأبيعك شيئا أبدا ، فقلت : أنا والله لا أشترى منك أبدا ، فوالله ماهو بطيب ولا عَرْف ؛ والله يابنيّ ما شممت عطرا قطّ كان أطيبَ منه ، ولكنّى يابنيّ غضبت [1] .

قال الواقدىّ : فلما وضعت الحرب أوزارها ، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يلتمس أبو جهل ، قال ابن مسعود : فوجدته فى آخر رَمَق ، فوضعت رجلى على عنقه ، فقلت : الحمدُ لله الذى أخزاك ! قال : إنما أخزى الله العبد ابن أمّ عَبْد ! لقد ارتقيتَ يارويعى الغنم مرتقى صعبا ! لمن الدّبَرة ؟ قلت : لله ولرسوله ، قال ابن مسعود : فأقلع بيصنه عن قفاه ، وقلت : إنى قاتلك ، قال : لستَ بأوّل عبد قتل سيّدَه ، أما إنّ أشد ما لقيتهُ اليوم لَقتلك إيّاى ؛ ألا يكون وُلّى قتلى رجلٌ من الأحلاف أومن المطيّبين ! قال : فضربه عبد الله ضربةً وقع رأسه بين يديه ، ثم سلبه ، وأقبل سلاحه ودِرْعه وبيضته ، فوضعها بين يدىْ رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال ، أبشرْ يابنيّ الله بقتل عدوّ الله أبى جهل ! فقال رسول الله : أحقٌّ يعبد الله ! فوالذى نفسى بيده لهو أحبُّ إلىّ من حُمْر النّعم ! أوكما قال . ثم قال : إنه أصابه جَحَش [2] من دفعٍ دفعته فى مأدبة ابن جُدْعان ، فجحشت ركبتُه فالتمسوه ؟ فوجدوا ذلك الأثر [3] .

قال الواقدىّ : وروى أنّ أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومىّ كان عند النبى صلى الله عليه وآله تلك الساعة ، فوجد فى نفسه ، وأقبل على ابن مسعود ، وقال : أنت قتلته ؟ قال: نعم ، الله قتله ! قال أبو سلمة : أنت وُلّيت قتله ؟ قال : نعم ، قال : لوشاء لجعلك فى كُمّه ! فقال ابن مسعود : فقد والله قتلتُه وحزّدتُه ؛ فقال أبو سلمة : فما علامته ؟ قال : شامةسوداء ببطن فخذه اليمى ؛ فعرف أبو سلمة النّعْت ، فقال: أجزّدته ، ولم يجرّد قرشى غيره ! فقال

---

(١) مغازى الواقدى ٨٤

(٢) الجحش : الخدش ، أو وقوه دون الجرح

(٣) الواقدى ٨٤ ، ٨٥

ابن مسعود : إنه والله لم يكن فى قريش ولا فى حُنفائها أحدٌ أعدَى لله ولا لرسوله منه ؛ وما أعتذر من شىء صنعته به . فأمسك أبو سلمة[1] .

قال الواقدىّ : وسُمع أبو سلمة بعد ذلك يستغفر الله من كلامه فى أبى جهل ، وقال : اللهمّ إنك قد أخزيت ما وعدتنى ، فتمّم علىّ نعمتك . قال : وكان عبد الله بن عتبة بن مسعود ، يقول : سيف أبى جهل عندنا نحلّى بفضّة ، عمه عبد الله بن مسعود يومئذ[1] .

قال الواقدىّ : اجتمع قولُ أصحابنا أنّ معاذ بن عمرو وابنىْ عفراء أثبتوه ، وضرب ابن مسعود عنقه فى آخر رَمَق ، فكلّ شرك فى قتله[1] .

قال الواقدىّ : وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف على مصرع ابنىْ عفراء ، فقال : يرحم الله ابنى عفراء ؛ فإنهما قد شركا فى قتل فِرْعون هذه الأمّة ، ورأس أئمة الكفر ، فقيل : يا رسولَ الله ومَنْ قتله معهما ؟ قال : الملائكة ، وذفّف عليه ابن مسعود ؛ فكان قد شرك فى قتله[2] .

قال الواقدىّ : وحدثنى معمر ، عن الزهرىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : اللهمّ اكفنى نوفل بن العدويّة — وهو نوفل بن خُويلد ، من بنى أسد بن عبد العُزّى — وأقبل نوفل يومئذ يصيحُ وهو مرعوب ، قد رأى قتل أصحابه ، وكان فى أوّل ما التقوْا هم والمسلمون ، يصيح بصوت له رَحَل ، رافعا عقيرته . يا معشر قريش ، إن هذا اليوم يوم العَلاء والرفعة . فلما رأى قريشا قد انكشفت جعل يصيح بالأنصار : ما حاجتكم إلى دمائنا ؟ أما ترون مَنْ تقتلون ؟ أمالكم فى اللبن من حاجة ! فأسره جبّار بن صَخْر ، فهو يسوقه أمامه ، فجعل نوفل يقول لجبّار ، ورأى عليا عليه السلام مقبلا نحوه : يا أخا الأنصار ، مَنْ هذا وثلاث ولعمرى ! إنى لأرى رجلا ، إنه ليريدنى ! قال

---

(١) مغازى الواقدى ٨٥

(٢) مغازى الواقدى ٨٥ ، ٨٦

جبار : هـذا علي بن أبي طالب ، قال نوفل : تالله ما رأيتُ كاليوم رجلا أسرع في قومه! فصمَد له علي عليه السلام فيضربه فيشب سيف عليّ في حَجَفَتـه[1] ساعة ، ثم يرعه فيضرب به ساقيه، ودِرْعه مشتمرة ، فيقطعه ، ثم أجهز عليه فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : مَنْ له علم بنوفل بن خويلد ؟ قال عليّ عليه السلام : أنا قتلته ، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه[2]

قال الواقديّ : وأقبل العاص بن سعيد بن العاص يبحث للقتال ، فالتقى هو وعليّ عليه السلام ، وقتله عليّ ، فكان عمر بن الخطاب يقول لابنه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص: مالي أراك معرِضاً ، تطن أني قتلت أباك ! فقال سعيد : لو قتلته لكان على الباطل وكنتَ على الحقّ ، قال : فقال عمر : إنّ قريشاً أعظم الناس أحلاما ، وأكثرها أمانة ، لا يبغيهم أحدٌ الغوائلَ إلا كبّه الله لفيه[3] .

قال الواقديّ : وروى أنّ عمر قال لسعيد بن العاص : مالي أراك معرضا كأني قتلت أباك يوم بدر ؟ وإن كنت لا أعتذر من قتل مشرك ، لقد قتلت خالي بيدي العاص بن هاشم بن المغيرة .

* * *

ونقلت من غير كتاب الواقدي أنّ عثمان بن عفان وسعيد بن العاص حضرا عند عمر في أيام خلافته ، فجلس سعيد بن العاص حَجْرة[4] فنظر إليه عمر ، فقال : مالي أراك مُعرِضاً كأني قتلت أباك ! إني لم أقتله ، ولكنه قتله أبو حسن ! وكان علي عليه السلام حاضرا ، فقال : اللهمّ غفرا ! ذهب الشرك بما فيه ، ومحا الإسلام ما قبله ؛ فلماذا تهاجُ

---

(١) الحجفة : الترس (٢) مغازي الواقدي ٨٦

(٣) مغازي الواقدي ٨٦ ، ٨٧ (٤) حجرة : أي ناحية .

القلوب ! فسكت عمر ، وقال سعيد : لقد قتله كفء كريم ؛ وهو أحبّ إليّ من أن يقتله من ليس من بنى عبد مناف .

قال الواقدىّ : وكان علىّ عليه السلام يحدّث ، فيقول : إنّى يومئذ بعد ما متع[1] النهار ونحن والمشركون قد اختلطت صفوفنا وصفوفهم ، خرجت فى إثر رجل منهم ، فإذا رجل من المشركين على كثيب رمل وسعد بن خُيثمة ، وهما يقتتلان حتى قتل المشرك سعد بن خيثمة ، والمشرك مقنّع فى الحديد ، وكان فارسا ، فاقتحم عن فرسه ، فعرفنى وهو معلم ، فنادانى : هلمّ يابن أبى طالب إلى البراز ! فعطفت إلى البراز ، فعطفت عليه ، فانحطّ إلىّ مقبلا ، وكنت رجلا قصيراً ، فانحططت راجعا لكى ينزل إلىّ ، كرهت أن يعلونى ، فقال : يابن أبى طالب ، فررت ! فقلت : قريبا مفرّ ابن الشتراء ، فلما استقرّت قدماى وثبتُّ أقبل فلما دنا منى ضربنى فالتقيت بالدّرقة ، فوقع سيفه ، فلجج[2] فأضربه على عاتقه وهو دارع ، فارتعش ، ولقد قطّ سيفى درعُه ، فظننت أنّ سيفى سيقتله ، فإذا بريق سيف من ورائى ، فطأطأت رأسى ، ونقع السيف ، فأطنّ قِحْف رأسه بالبيضة ، وهو يقول : خذها وأنا ابن عبد المطلب ، فالتفتّ من ورائى ، فإذا هو حمزة عمّى[3] ، والمقتول طُعيمة ابن عدى[4] .

* * *

قلت : فى رواية محمد بن إسحاق بن يسار أنّ طُعَيمة بن عدىّ قتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، ثم قال : وقيل : قتله حمزة[5]

وفى رواية الشّيعة قتله على بن أبى طالب ، شَجَره بالرمح ، فقال له : والله لا تخاصمنا فى الله بعد اليوم أبدا ؛ وهكذا روى محمد بن إسحاق .

(١) الواقدى : « ارتفع »
(٢) الواقدى : يعنى « لزم »
(٣) الواقدى : « حمزة بن عبد المطلب » .
(٤) مغازى الواقدى ٨٧
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٧

وروى محمد بن إسحاق قال ، وخرج النبي صلى الله عليه وآله من العريش إلى الناس ينظر القتال ، فحرّض المسلمين وقال : كلّ امرئ بما أصاب ، وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فى جملة ، فيقتل صابراً محتسبا مقبلاً غير مدبر ، إلّا أدخله الله الجنة . فقال عُمَير بن الحُمام أخو بنى سَلَمة ، وفى يده تمرات يأكلهنّ : بخ بخ ! فما بينى و بين أن أدخل الجنة إلا أن يَقْتُلَنى هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتل[١] .

قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى عاصم بن عمرو بن قتادة أنّ عوف بن الحارث — وهو ابن عفراء — قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : يا رسول الله ، ما يُضحِكُ الربّ من عبده ؟ قال : غمسه يده فى العدوّ حاسرا . فنزع عوف درعا كانت عليه وقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل[٢] .

قال الواقدىّ وابن إسحاق : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله كفًّا من الحَصْباء ، فرماهم بها ، وقال . شاهت الوجوه[٣] ! اللهمّ أرعب قلوبهم ، وزلزل أقدامهم . فانهزم المشركون لا يلوُون على شىء ، والمسلمون يتبعونهم يقتلون ويأسرون[٣] .

قال الواقدىّ : وكان هبيرة بن أبى وهب المخزومىّ لما رأى الهزيمة انحرل طهره فعقر ، فلم يستطع أن يقوم ، فأتاه أبو أسامة الجشمى حليفه ، فعقر درعه واحتمله — ويقال . ضربه أبو داود المازنى بالسيف فقطع درعه ، ووقع لوجهه ، وأخذ إلى الأرض ، وجاوزه أبو داود و نصُر به أبا هبيرة الجشميان معاً ، وأبو أسامة ، وهما حليفاه ، فدنا عنه حتى نجوا به ، واحتمله أبو أسامة ومالك يذبّ عنه ، حتى حضنه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : حماه كلباه الحليفان[٤] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨

(٣) بعدها فى ابن هشام : « ثم بعثهم بها »

(٤) مغازى الواقدى ٨٩ مع اختلاف فى الرواية

قال الواقدىّ : وحدثنى عمر بن عثمان عن عُكّاشة بن محصن ، قال : انقطع سيفى يوم بدْر ، فأعطانى رسول الله صلى الله عليه وآله عوداً ، فإذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين . ولم يزل ذلك السيف عند عُكّاشة حتى هلك .

قال وقد روى رجالٌ من بنى عبد الأشهل عدّة ، قالوا : انكسر سيف سَلَمة بن أسلم[1] بن حريش[2] يوم بدر ، فبقى أعزل لا سلاح معه ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله قضيباً كان فى يده من عراجين ابن طاب[3] ، فقال : اضرب به ، فإذا هو سيف جيّد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبى عبيد[4] .

قال الواقدىّ : وأصاب حارثة بن سُراقة وهو يكرع فى الحوض سهمٌ غَرْب[5] من المشركين فوقع فى نحره ، فمات ، فقد شرب القوم آخرَ النهار من دمه ؛ وبلغ أمّه وأختَه — وهما بالمدينة مقتله — فقالت أمّه : والله لا أبكى عليه ؛ حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وآله فأسأله ، فإن كان فى الجنّة لم أبكِ عليه ، وإن كان فى النار بكيته لعمر الله ، فأعولت ! فلمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله من بدْر جاءت أمّه إليه ، فقالت : يارسول الله ، قد عرفتَ موضع حارثة فى قلبى ، فإن كان فى الجنّة لم أبكِ عليه ، ثم قلت : لا أفعلُ حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ؛ فإن كان فى الجنّة لم أبكِه ، وإن كان فى النار بكيته فأعولت ! فقال النبى صلى الله عليه وآله : « هُبِلتِ : أجنّة واحدة ! إنها جنان كثيرة ، والذى نفسى بيده إنه لفى الفردوس الأعلى » ، قالت : فلا أبكى عليه أبدا .

قال الواقدىّ : ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وآله حينئذ بماء فى إناء ، فغمس يده فيه ومضمض فاه ، ثم ناول أمّ حارثة بن سراقة ، فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت ،

---

(١) ب : « أشهل » ، وصوبه من ا والواقدى وابن هشام

(٢) ا : « حريش » ، والصواب ما فى ب والواقدى

(٣) فى اللسان « عذق ابن طاب نخلة بعينها ، وقيل ابن طاب ضرب من الرطب هالك » .

(٤) مغازى الواقدى ٨٨ (٥) سهم غرب : لا يدرى رامية .

ثم أمرها فنضحتا فى جيوبهما ، ثم رجعت من عند النبى صلى الله عليه وآله ، وما بالمدينة امرأتان أقرّ عينا منهما ولا أسرّ.[1] .

قال الواقدىّ : وكان حكيم بن حزام يقول : أجرمنا يوم بدر ، فجعلت أسعى وأقول: قاتل الله ابن الحنطلية ! يزعم أنّ النهار قد دهس ، والله إن النهار لكما هو ؛ قال حكيم : وما ذاك بى إلا حتّى أرى الليلَ فيقصّر عنا طلب القوم ، فيدرك حكيم عبيد الله وعبد الرحمن بنى العوام على حمل لهما ، فقال عبد الرحمن لأخيه: انزل فاحمل أنا خالد ، وكان عُبيد الله رجلًا أعرج ،لارُجْلَةَ[2] به ،فقال عبيدالله: إنه لارُحْلَةَ بى كما ترى ؛وقال عبدالرحمن: والله أن لابدّ منه ،ألا تحمل رجلًا ، إن متنا كفدنا ماحملنا من عيالنا ، وإن عشنا حملنا كلّنا ! فنزل عبد الرحمن وأخوه الأعرج ، فحملاه ، فكانوا يتعاقبون الحمل ، فلما دنوا من مكّة وكان بمرّ الظّهران ،قال : والله لقد رأيتُ هاهنا أمرا ما كان يخرج على مثله أحد له رأى، ولكنه شؤم ابن الحنطلية ! إنّ حَرورا هبّت هاهنا فلم يبق جياء إلّا أصابه من دمها . فقالا : قد رأينا ذلك ؛ ولكن رأيناك وقومك قد عصيتم قضينا معكم ، ولم يكن لنا معكم أمر .

قال الواقدىّ : حدّثنى عبد الرحمن بن الحارث عن محمد بن خفاف ، عن أبيه ، قال : كانت الدّروع فى قريش كثيرة يومئذ ؛ فلمّا انهزموا حملوا يلقُونها ، وجعل المسلمون يتبعونهم ويلقطون ما طرحوا ، ولقد رأيتنى يومئذ التقطت ثلاث أدرع حتت بها أهلى ، فكانت عندنا بعد ، فزعم لى رجلٌ من قريش — ورأى دِرْعًا منها عندنا فعرفها — قال : هذه دِرْع الحارث بن هشام [3] .

قال الواقدىّ : وحدّثنى محمد بن حميد ، عن عبد الله بن عمرو بن أميّة ، قال : أخبرنى من اكتشف من قريش يومئذ منهزما ، وإنه ليقول فى نفسه : ما رأيتُ مثل هذا فرّ منه إلّا النساء[4] !

---

(١) مغازى الواقدى ٨٨

(٢) الرجلة : بالضم : القوة على المشى .

(٣) مغازى الواقدى ٨٩ ، ٩٠

(٤) مغازى الواقدى ٩٠

قال الواقدى : كان قَبَاث بن أشيم الكنانى يقول : شهدت مع المشركين بدراً ، وإنى لأنظر إلى قلة أصحاب محمد فى عينى ، وكثرة مَنْ معنا من الخيل والرِّجْل ، فانهزمتُ فيمن انهزم ، فلقد رأيتُنى وإنى لأنظر إلى المشركين فى كلّ وجه ، وإنى لأقول فى نفسى: ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء ! وصحبنى رجل ، فبينا هو يسير معى إذ لحقنا من خلفنا ، فقلت لصاحبى : أبك نهوض ؟ قال : لا والله مالى ! قال : وعُقِر وترفعت ، فلقد صحت عَيْقَة ـ قال: وعَيْقةُ عن يسار الشعيبة بينها و بين الغُرع ليلة و بين الغُرع والمدينة ثمانية بُرُد ـ قبل الشمس ؛ كنت هاديا بالطريق ؛ ولم أسلك المحاجّ وحدت من الطّلب فتمسّكت عنها ، فلقينى رجل من قومى بعيقة ، فقال ما وراءك ؟ قلت : لا شىء ؟ قُتِلنا وأسِرنا وانهزمنا ، فهل عندك من حُملان ؟ قال : نعم فحملنى على بعير ، وزوّدنى زاداً ، حتى لقيت الطريق بالجحفة ، ثم مضيت حتى دخلت مكّة ؛ وإنى لأنظر إلى الخيُسمان بن حابس الخزاعى بالعَرِيم ، فعرفت أنه قدم يمتار قريشا بمكة ، فلو أردت أن أسقه لسبقته، فتمسّكت[٢] عنه حتى سبقنى بعض النهار، فقدمت وقد انتهى إلى مكة خبر قتلاهم، وهم يلعنون الخزاعىّ ، ويقولون : ما جاءنا بخبر ! فمكثت بمكة ، فما كان بعد الخندق ، قلت: لو قدمت المدينة ، فنظرت ما يقول محمد ! وقد وقع فى قلبى الإسلام ، فقدمت المدينة ، فسألت عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقيل : هو ذاك فى ظلّ المسجد مع ملإ من أصحابه ، فأتيته وأنا لا أعرفه من بينهم ، فسلّمت فقال : يا قَبَاث بن أشيم ، أنت القائل يوم بدر : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء ! قلت : أشهد أنك رسول الله ، وأنّ هذا الأمر ما خرج منّى إلى أحد قطّ ولا ما ترمرمت[٣] به ؛ إلا شيئا حدّثت به نفسى ، فقولا أنك نبىّ ما أطلعك الله عليه ؛ هلم حتى أبايعك فبسطت[٤] .

---

(١) الواقدى : « الحاج » .
(٢) فى . « فمكثت » ، وأثبت مالى ؟ والواقدى .
(٣) ما ترمرمت به ؛ أى ما نطقت به
(٤) سيرى الواقدى ٩٠ ، ٩١

قال الواقدى : وقد روى أنه لما توجّه المشركون إلى بدر كان فتيان ممّن تخلف عنهم بمكة سمّارا يسمرون بذى طُوًى فى القمر حتى يذهب الليل ، يتناشدون الأشعار ويتحدثون ، فبيناهم كذلك إذ سمعوا صوتا قريبا منهم ولا يرون القائل ، رافعا صوته يتغنّى :

أراد الحنيفيُّون بدراً مصيبة ... سينقصّ منها ركنُ كِسْرى وقَيْصَرَا
أرنّت لها صُمّ الجبال وأفزعت ... قبائل ما بين الوتير فخيبرا[1]
أجازت جبال الأخشبين وجُرِّدتْ ... جرائرُ يضربن الترائب حُسَّرا[2]

قال الواقدىّ : أنشدنيه[3] ، ورواه لى عبد الله بن أبى عُبيدة ، عن محمّد بن عمّار بن ياسر ، قال : فاستمعوا الصوت ، فلا يرون أحداً ، فخرجوا فى طلبه ، فلم يروا أحداً ، فخرجوا فزعين ، حتى جاروا الحِجْر ، فوجدوا مشيخةً منهم جِلّةً سمّارا ، فأخبروهم الخبر ، فقالوا لهم : إنْ كان ما تقولون ، فإنّ محمدا وأصحابه يسمّون الحنيفيّة . قال : فلم يبقَ أحدٌ من الفتيان الّذين كانوا بذى طوًى إلا وَعِك ، فما مكثوا إلاّ ليلتين أو ثلاثا ، حتى قدم الحيْسُمان[4] الخزاعىّ بخبر أهل بَدْر ، ومن قتل منهم ، فجعل يخبرهم ، فيقول : قتِل عتبة وشَيْبة ابنا ربيعة ، وقتِل ابنا الحجاج وأبو البخترىّ ، وزمْعة بن الأسود — قال : وصفوان بن أمية فى الحِجْر جالس يقول : لا يعقل هذا شيئاً مما يتكلّم به ! سلوه عنّى ، فقالوا : صفوان بن أميّة لك به علم ؟ قال : نعم ، هو ذاك فى الحِجْر ، ولقد رأيت أباه وأخاه مقتولين ، ورأيت سُهيل بن عمرو والنّضر بن الحارث أسيرين ، رأيتهما مقرونين فى الحبال[5] .

---

(١) كذا فى ا والواقدى ، وفى ب : « وخيبرا » .
(٢) كذا فى ا ، وفى ب : « التراب وحسرا » (٣) الواقدى : « أنشدنى » .
(٤) فى الأصول : « الحيثمان » ، والصواب ما أثبته من الواقدى والبلاذرى وابن هشام والطبرى .
(٥) مغازى الواقدى ١١٤

قال الواقدىّ : وبلغ النجاشىّ مقتلُ قريش وما ظفر الله به[1] رسوله ، فخرج فى ثوبين أبيضين ، ثم جلس على الأرض ، ودعا جعفر بن أبى طالب وأصحابه ، فقال : أيّكم يعرف[2] بدراً ؟ فأخبروه ، فقال : أنا أعرف بها ، قد رعيتُ الغنم [فى][3] حوابيها ، هى من الساحل على بعض نهار ، ولكنى أردتُ أن أتثبّت منكم ، قد نصر الله رسوله ببدر ، فاحمَدوا الله على ذلك . فقال بطارقته : أصلح الله الملك! إن هذا شىء لم تكن تصنعه ، يريدون لبسَ البياض والجلوس على الأرض ، فقال : إن عيسى بن مريم كان إذا حدثَتْ له نعمة ازداد بها تواضعا[4] .

قال الواقدىّ : فلمّا رجعت قريش إلى مكّة ، قام فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال : يامعشرَ قريش ، لا تبكوا على قتلاكم ، ولا تنوحُ عليهم نائحة ، ولا يبدهم شاعر ، وأظهروا الجلد والعزاء ، فإنكم إذا نُحتم عليهم ومكيتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم فما كلّكمُ [ذلك][5] عن عداوة محمد وأصحابه ، مع أن محمدا إن بلغه وأصحابه ذلك شمتوا بكم ، فتكون أعظم المصيبتين ، ولعلّكم تدركون ثأركم ، فالدّهن والنساء علىّ حرام حتى آخذ بثأر محمد . فمكثت قريش شهرا لا يبكيهم شاعر ، ولا تنوح عليهم نائحة .

قال الواقدىّ : وكان الأسود بن المطّلب قد ذهب بصره ، وقد كَمِد على مَن قتل من ولده ، وكان يحبّ أن يبكى عليهم فتأتى عليه قريش ذلك ، فكان يقول لغلامه بين اليومين : ويلك ! احمل معى خمرا ! واسلك بى لفجّ الذى سلكه أبو حكيمة — يعنى رملة ولده المقتول ببدر — فيأتى به غلامه على الطريق عند ذلك الفجّ فيجلس ، فيسقيه الخمر

---

(١) الواقدى : « نبيه » . (٢) الواقدى : « أين بدر » . (٣) من ا والواقدى

(٤) الواقدى ١١٥ « ليس ثوبين وتجلس على الأرض ؟ فقال : إنى من قوم إذا أحدث الله لهم نعمة ازدادوا بها تواضعاً . وقال : إنه قال : إن عيسى بن مريم عليه السلام كان إذا حدثت له نعمة ازداد بها تواضعاً » . والخبر فى الواقدى ١١٤

(٥) من الواقدى ١١٥ .

حتى ينتشى ، ثم يبكى على أبى حَكِيمة وإخوته ، ثم يحثى التراب على رأسه ، ويقول لغلامه : ويحك !! كتم علىّ ، فإنى أكره أن تعلم بى قريش، إنّى أراها لم تجمع البكاء على قتلاها[1] .

قال الواقدى : حدثنى مصعب بن ثابت عن عيسى بن معمر ، عن عبّاد بن عبد الله ابن الزبير ، عن عائشة قالت : قالت قريش حين رجعوا إلى مكة : لا تبكُوا على قتلاكم ، فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا فى أسراكم ، فيأرب[2] بكم القوم ، ألا فأمسكوا عن البكاء .

قال : وكان الأسود بن المطلب أصيب له ثلاثة من ولده : زمْعة وعقيل والحارث بن زمعة ، فكان يحبّ أن يبكى على قتلاه ، فبينا هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلامه ـ وقد ذهب بصره ـ : انظر ، هل بكت قريش على قتلاها ! لعلّى أبكى على أبى حَكِيمة ـ يعنى زَمْعة ـ فإنّ جوفى قد احترق ، فذهب الغلام ورجع إليه ، فقال : إنّما هى امرأة تبكى على بعيرها قد أضلّته . فقال الأسود :

تبكّى أن يضلّ لها بعيرٌ ... ويمنعها من النّوم السهودُ[3]
فلا تبكى على بَكْرٍ ولكن ... على بَكْرٍ تضاغرت الخدُود[4]
فبكّى إن بكيت على عقيل ... وبكّى حارثا أسَد الأسودِ
وبكّيهم ولا تَسمِى جميعاً[5] ... فما لأبى حَكيمة من نديدِ

---

(١) مغازى الواقدى ١١٤ (٢) فيأرب : فيشتد .

(٣) الخبر والشعر ـ مع اختلاف الرواية ـ فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ ، والشعر أيضاً فى ديوان الحماسة ـ بشرح المرزوقى ٢ : ٨٧٢ .

(٤) الحماسة : « تقاصرت الجدود » ، قال المرزوقى : « هو تفاعل من القصور والعجز ؛ لا القصر الذى هو ضد الطول ، وفى الواقدى عن هشام : سمعت أبى ينشد « تضاغرت الخدود » ، ولا ينكر « الخدود » .

(٥) لا تسمى ، أى لا تأبى .

على بدر سَرَاة بنى هُصيصٍ ومخـزوم ورهط أبى الوليـــد
ألا قد سادَ بعدهمُ رجالٌ ولولا يومُ بدرٍ لم يسـودُوا

قال الواقدىّ : ومشت نساء من قريش إلى هند بنت عتبة ، فقلن : ألا تبكين على أبيك وأخيك وعمّك وأهل بيتك ! فقالت : حَلَأنى [1] أنْ أبكيهم ،فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بنا ونساء بنى الخزرج ، لا والله حتى أثأر محمدا وأصحابه ، والدّهن علىّ حرام إن دخل رأسى حتى نعرُوَ محمدا ! والله لو أعلم أنّ الحزن يذهب عن قلبى لبكيتُ ، ولكن لا يذهبه إلا أن أرى ثأرى بعينى من قتلة لأحبّة ، فمكثت على حالها لا تقرب الدّهن ، ولا قربت فراش أبى سفيان من يوم حلفت حتى كانت وقعة أحُد [2] .

قال الواقدىّ : وبلغ موفل بن معاوية الدّيلى وهوفى أهله ـ وقد كان شهد معهم بدرا ـ أنّ قريشا بكتْ على قتلاها؛ فقدم مكة ، فقال:يامعشر قريش ، لقد خفّت أحلامكم ، وسفه رأيكم ، وأطعتم نساءكم ، أمثل قتلاكم يبكى عليهم ! هم أجلّ من البكاء ، مع أنّ ذلك يذهب غيظكم عن عداوة محمد وأصحابه ، فلا ينبغى أن يذهب الغيظ عنكم ، إلّا أن تدركوا ثأرَكم من عدوّكم . فسمع أبو سفيان بن حرب كلامه ، فقال : ياأبا معاوية ،عُلبت ، والله ماناحت امرأة من بنى عبد شمس على قتيل لها إلى اليوم ، ولا نكاهم شاعر إلا سهيتُه حتى ندرك ثأرنا من محمد وأصحابه ، وإنى لأرى الموتور الثائر ، قتل ابنى حنظلة، وسادة أهل هذا الوادى ؛ أصبح هذا الوادى مقشعرّا بعقدم [3] !

قال الواقدىّ : وحدّثنى معاذ بن محمد الأنصارىّ ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : لما رجع المشركون إلى مكّة ، وقد قتل صناديدهم وأشرافهم ، أقبل عمير بن وهب بن عمير الجُمَحىّ حتى جلس إلى صفوان بن أمية فى الحِجْر ، فقال صفوان بن أمية : قُبِّح العيش

---

(١) حلأنى : منعنى
(٢) مغازى الواقدى ١١٦ ، ١١٧
(٣) مغازى الواقدى ١١٨

بعد قتلى بدر ! قال عمير بن وهب : أحل والله ، ما فى العيش بعدهم خيرٌ ، ولولا دينٌ علىّ لا أجد له قضاء ، وعيال لا أدَع لهم شيئاً ، لركبتُ إلى محمد حتى أقتلَه إن ملأتُ عينى منه ؛ فإنّه بلَغنى أنه يطوف فى الأسواق ، فإنّ لى عندهم علّة ، أقول : قدمت على ابنى هذا الأسير . ففرح صفوان بقوله ، وقال : يأبا أميّة ، وهل تراك فاعلا ؟ قال : إى وربّ هذه البنيّة ! قال صفوان : فعلىّ دينُك ، وعيالك أسوة عيالى ، فأنت تعلم أنه ليس بمكة رجل أشدّ توسّعا على عياله منّى . قال عمير : قد عرفت ذلك يأبا وهب ، قال صفوان : فإنّ عيالك مع عيالى ، لا يسعنى شىء ويَعجز عنهم ، ودينك علىّ . فحمله صفوان على بعيره ، وحفره وأجرى على عياله مثل مايجرى على عيال نفسه ، وأمر عمير سيفه فشحذ وسمّ ، ثم خرج إلى المدينة ، وقال لصفوان : اكتم علىّ أياماً حتى أقدمها . وخرج فلم يذكره صفوان ، وقدم عُمير ، فنزل على باب المسجد ، وعَقَل راحلته ، وأخذ السيف فتقلّده ، ثم عمَد نحو رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين يتحدّثون[1] ، ويذكرون نعمةَ الله عليهم فى بدْر ، فرأى عميرا وعليه السّيف ، فعرع عمر منه ، وقال لأصحابه : دونكم الكلب ! هذا عمير بن وهب عدوّ الله الذى حَرّش بيننا يوم بدر ، وحزرنا للقوم ؛ وصمّد فينا وصوّب : يخبر قريشا أنه لا عدد لنا ولا كمين . فقاموا إليه فأخذوه ، فانطلق عمر إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يارسولَ الله ؛ هذا عمير بن وهب ، قد دخل المسجد ومعه السّلاح ، وهو الغادر الخبيث الذى لا يؤمَن على شىء ، فقال النبىّ صلى الله عليه وآله : أدخِلْه علىّ ، فخرج عمر فأخذ بحمائل سيفه ، فقبض بيده عليها ، وأخذ بيده الأخرى قائم السيف ، ثم أدخله على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلمّا رآه ، قال : ياعمر ، تأخّر عنه ، فلما دنا عُمير إلى النبى صلى الله عليه وآله قال : أنعِم صباحا ، فقال له النبىّ صلى الله عليه وآله : قد أكرمنا الله عن تحيّتك ، وجعل تحيّتنا السّلام ، وهى تحيّة أهل الجنّة . قال عمير . إنّ عهدك بها لحديث ، فقال النبىّ صلى الله عليه وآله : قد أبدلنا

(١) الواقدى : « فنظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو فى نفر من أصحابه يتحدثون »

الله خيرا ، فما أقدمك ياعمير ؟ قال : قدمت فى أسيرى عندكم تفادونه وتقارونا فيه ، وإنكم المشيرة والأصل ! قال النبيّ صلى الله عليه وآله . فما بالُ السيف ! قال عمير : قبحها الله من سيوف ! وهل أغنتْ من شيء ، إنما سببته حين برلت وهو فى رقبتى ، ولعمرى إنّ لى لهمًّا غيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أصدق ياعمير . ماالذى أقدمك ؟ قال : ماقدمت إلّا فى أسيرى ، قال صلى الله عليه وآله : فما شرطتَ لصفوان بن أمية فى الحِجْر ؟ فصرع عمير ، وقال : ماذا شرطتُ له ؟ قال : تحمّلْت بقتلي ، على أن يقضيَ دينَك ، ويعول عيالَك ، والله حائل بينك وبين ذلك ! قال عمير : أشهد أنك رسول الله وأنك صادق . وأشهد أن لا إله إلا الله ، كنّا يارسول الله نكذّبك بالوحى ، وبما يأتيك من السماء ، وإن هذا الحديث كان بيني وبين صفوان كما قلت ، لم يطّلع عليه غيره وغيري ، وقد أمرتُه أن يكتمه[1] ليالى ، فأطلعك الله عليه ، فآمنت بالله ورسوله ، وشهدت أنّ ماجئت به حقّ . الحمد لله الذى ساقنى هذا المساق ! وفرح المسلمون حين هداه الله ، وقال عمر بن الخطاب : لخنزير كان أحبّ إلىّ منه حين طلع ، وهو الساعة أحبّ إلىّ من بعض ولدى . وقال النبى صلى الله عليه وآله : « قوموا أخاكم القرَشىّ ، وأطلقوا له أسيرَه » ، فقال عمير : يارسولَ الله ، إنّى كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، فله الحمد أن هدانى ، فأذنْ لى فألحق قريشا فأدعوَهم إلى الله وإلى الإسلام ، فلعل الله يهديهم ويستنقذهم من الهلكة ـ فأذن له فخرج ، فلحق بمكّة ـ وكان صفوان يسأل عن عمير بن وهب كل راكب يقدم من المدينة ، يقول : هل حدّث بالمدينة من حدث ؟ ويقول لقريش : أبشروا بوقعةٍ تنسيكم وَقْعة بدر ـ فقدم رجل من المدينة فسأله صفوان عن عمير ، فقال : أسلَم ، فلعنه صفوان ولعنه المشركون بمكّة ، وقالوا : صَبأ عمير ، وحلف صفوان ألّا يكلمه أبدا ، ولا ينفعه ، وطرح عياله . وقدم عمير ، فنزل فى أهله ، ولم يأتِ صفوان ، وأظهر الإسلام ، فبلغ صفوانَ : فقال : قد عرفت حين لم يبدأ بى قبل منزله ، وقد كان رجل أخبرنى أنه ارتكس ، لا أكلّمه من رأسى

(١) ا : « يكتم عنى » .

أبدا ، ولا أنفعه ولا عياله بنافعة أبدا ، فوقع عليه عُمَير وهو فى الحِجْر فقال : يا أبا وهْب، فأعرض صفوان عنه ، فقال عمير : أنت سيّد من ساداتنا ، أرأيت الذى كنا عليه من عبادة حَجَر ، والذبح له ! أهذا دين ! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فلم يجبه صَفْوان بكلمة ، وأسلم مع عمير بشر كثير [1] .

قال الواقدىّ : وكان فِتْيةٌ من قريش حبسة قد أسلموا ، فاحتبسهم آباؤهم ، فخرجوا مع أهلهم وقومهم إلى بدر ، وهم على الشكّ والارتياب ، لم يخلصوا إسلامهم ؛ وهم : قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبو قيس بن الفاكه بن مُغيرة ، والحارث بن زَمْعة بن الأسود ، وعلىّ بن أميّة بن خلف ، والعاص بن منبّه بن الحجاج ، فلما قدموا بدراً ، ورأوا قلّة أصحاب النبى صلى الله عليه وآله ، قالوا . غرّ هؤلاء دينهم ، ففيهم أنزل : ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾ [2] ، ثم أنزل فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [3] إلى تمام ثلاث آيات [4] .

قال : فكتب بها المهاجرون بالمدينة إلى من أقام بمكة مسلما ، فقال جندب بن ضمرة الجُذامىّ : لا عذر لى ولا حجّة فى مقامى بمكة ـ وكان مريضاً ـ فقال لأهله : أخرجونى ، لعلى أجد رَوْحاً ! قالوا : أىّ وجهٍ أحبّ إليك ؟ قال : نحو التنعيم ! فخرجوا به إلى التنعيم ، وبين التنعيم ومكّة أربعة أميال من طريق المدينة ـ فقال : اللهمّ إنى خرجت إليك مهاجرا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ... ﴾ [5] الآية ، فلما رأى ذلك مَنْ كان بمكة ممّن يطيق الخروجَ ، خرجوا ، فطلبهم أبو سفيان فى رجال من المشركين ،

---

(١) مغازى الواقدى ١١٧ ـ ١٢٣
(٢) سورة الأنفال ٤٩
(٣) سورة النساء ٩٧ وما بعدها
(٤) مغازى الواقدى ٦٧
(٥) سورة النساء ١٠٠

فردُّوهم وسجنوهم ، فافتتن منهم ناس ، وكان الذين افتتنوا إنما افتتنوا حين أصابهم البلاء فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ.. ﴾ [1] الآية وما بعدها ، فكتب بها المهاجرون بالمدينة إلى مَنْ كان بمكة مسلما ، فلما جاءهم الكتاب بما أنزل فيهم ، قالوا : اللهمّ إنّ لك علينا إن أفلتنا ألّا نعدل بك أحدا ، فخرجوا الثانية ، فطلبهم أبو سفيان والمشركون ، فأعجزوهم هربا في الجبال ، حتى قدموا المدينة ، واشتدّ البلاء على مَنْ ردُّوا من المسلمين ، فصبر بعضهم وآذوهم وأكرهوهم على ترك الإسلام ، ورجع ابن أبي سَرْح مشركا ، فقال لقريش : ما كان يعلّم محمدا إلا ابن قمطة[2] ، عبد نصرانيّ ، لقد كنت أكتب له فأحوّل ما أردت ، فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ[3] ... ﴾ الآية [4]

* * *

القول في نزول الملائكة يوم بدر وَمحاربتها المشركين

اختلف المسلمون في ذلك ، فقال الجمهور منهم : نزلت الملائكة حقيقة ، كما ينزل الحيوان والحجر من الموضع العالي إلى الموضع السافل .

وقال قوم من أصحاب المعاني غير ذلك .

واختلف أرباب القول الأوّل ، فقال الأكثرون : نزلت وحاربت ، وقال قوم منهم : نزلت ولم تحارب ، وروى كلّ قوم في نُصْرة قولهم روايات .

فقال الواقديّ في كتاب " المغازي " : وحدّثني عمر بن حفصة ، عن شعبة مولى ابن عباس ، قال : سمعت ابن عباس يقول : لما تواقف الناس أعمى على رسول الله صلى

---

(١) سورة العنكبوت ١٠

(٢) كذا في الأصول ومغازي الواقدي ، وفي تفسير القرطبي ١٠ : ١٧٧ ، اسمه جبر ، وقيل اسمه يعيش

(٣) سورة النحل ١٠٣ (٤) مغازي الواقدي ٦٧

الله عليه وآله ساعة ، ثم كشف عنه فبشّر المؤمنين بجبرائيل فى جُنْد من الملائكة فى ميمنة الناس ، وميكائيل فى جند آخر فى ميسرة الناس ، وإسرافيل فى جند آخر فى ألف ، وكان إبليس قد تصور للمشركين فى صورة سُراقة بن جعشم المدلجىّ ، يذمر المشركين ، ويخبرهم أنه لا غالب لهم من الناس ، فلما أبصر عدوّ الله الملائكةَ نكص على عقبيه ، وقال : ﴿ إِنِّى بَرِىءٌ مِّنكُمْ إِنِّى أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ ، فتشبث به الحارث بن هشام ، وهو يرى أنه سُراقة لما سمع من كلامه ، فضرب فى صدر الحارث ، فسقط الحارث ، وانطلق إبليس لا يرى حتى وقع فى البحر ، ورفع يديه قائلا : يا ربّ موعدك الذى وعدتنى ! وأقبل أبو جهل على أصحابه يحضّهم على القتال وقال : لا يغرّنكم خذلان سراقة بن جعشم إيّاكم ، فإنما كان على ميعاد من محمد وأصحابه ، سيعلم إذا رجعنا إلى قديد ما نصنع بقوله ! ولا يهولنّكم مقتل عُتْبة وشيبة والوليد ، فإنهم عجلوا و بطروا حين قاتلوا ، وايمُ الله لا نرجع اليوم حتى نقرن محمدا وأصحابه فى الحبال ، فلا ألفينّ أحدا منكم قتل منهم أحدا ، ولكن خذوهم أخذاً نعرفهم بالذى صنعوا، لمفارقتهم دينكم ورغبتهم عمّا كان يعبد آباؤهم .

قال الواقدىّ : وحدّثنى عُتبة بن يحيى ، عن معاذ بن رفاعة بن رافع ، عن أبيه ، قال : إن كنا لنسمع لإبليس يومئذ خُواراً ودعاء بالثبور والويل ، وتصوّر فى صورة سراقة ابن جعشم حتى هرب ، فاقتحم البحر ، ورفع يديه مادًّا لهما ، يقول : يا ربّ ما وعدتنى ! ولقد كانت قريش بعد ذلك تعيّر سراقة بما صنع يومئذ ، فيقول : والله ما صنعت شيئا !

قال الواقدىّ : حدثنى أبو إسحاق الأسلمىّ ، عن الحسن بن عبيد الله ، مولى بنى العباس ، عن عمارة الليثىّ ، قال : حدّثنى شيخٌ صيّاد من الحىّ — وكان يومئذ على ساحل البحر — قال : سمعت صيحةً : ياويلاه ! ياويلاه ! قد ملأ الوادى: ياحرباه ياحرباه ! فنظرتُ فإذا سراقة بن جعشم ، فدنوت منه ، فقلت : مالك فداك أبى وأمى ! فلم يَرجع إلىّ شيئاً ، ثم أراه اقتحم البحر ، ورفع يديه مدًّا ، يقول : يا ربّ ما وعدتنى ! فقلت

فى نفسى : جُبْنٌ وبيت الله سراقة ! وذلك حين راغت الشمس ، وذلك عند انهزامهم يوم بدر[1] .

قال الواقدىّ : قالوا : كانت سيماء الملائكة عمائم قد أرخوها بين أكتافهم ، خضراء وصفراء وحمراء من نور ، والصوف فى نواصى خيلهم .

قال الواقدىّ : حدّثنى محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر ، عن محمود بن لبيد ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : «إن الملائكة قد سوّمت فسوّموا» ، فأعلم المسلمون بالصُّوف فى مغافرهم وقلانسهم[2] .

قال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح قال : كان أربعة من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يعلمُون[3] فى الرُّحوف : حمزة بن عبد المطلب كان يوم بدر معلما بريشة نعامة ، وكان علىّ عليه السلام معلما بصوفة بيضاء ، وكان الزبير معلما بعصابة صفراء ، وكان أبو دجانة يعلم بعصابة حمراء وكان الزبير يحدث أنّ الملائكة نزلت يوم بدر على خيل ملق عليها عمائم صفر فكانت على صورة الزبير .

قال الواقدىّ : فروى عن سُهيل بن عمرو ، قال : لقد رأيت يوم بدر رجالا بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون .

قال الواقدىّ : وكان أبو أسد الساعدىّ يحدّث بعد أن ذهب بصرُه ، ويقول : لو كنت معكم الآن ببدر ومعى بصرى لأريتكم الشِّعب الذى خرجت منه الملائكة ، لا أشكّ فيه ولا أمترى ! قال : وكان أسيد يحدّث عن رجل من بنى غفار حدّثه ، قال : أقبلت أنا وابن عمّ لى يوم بدر ، حتى صعدنا على جبل ، ونحن يومئذ على الشرك ننظر الوقعة وعلى من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب ، إذ رأيت سحابة دنت منّا ، فسمعت منها

(١) مغازى الواقدى ٧٠ (٢) مغازى الواقدى ٧٠

(٣) يقال . رجل معلم بكسر اللام ؛ إذا علم مكانه فى الحرب بعلامة أعلمها .

همهمة الخيل ، وقعقعة الحديد ، وسمعت قائلا يقول : أقدم حيزوم ! فأما ابنُ عمّى ، فانكشف قناع قلبه ، فمات ، وأما أنا فمكثت أهلك ، فتماسكت واتبعت بصرى حيث تذهب السحابة ، فجاءت إلى النبى صلى الله عليه وأصحابه ، ثم رجعت ، وليس فيها شئ مما كنت أسمع .

قال الواقدىّ : وحدّثنى حارثة بن إبراهيم بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ، عن أبيه ، قال : سأل رسول الله صلى الله عليه وآله جبرائيل : مَنْ القائل يوم بدر : أقدم حيزوم ؟ فقال جبرائيل : يا محمد ، ما كلّ أهل السماء أعرف .

قال الواقدىّ : وحدثنى عبد الرحمن بن الحارث ، عن أبيه ، عن جده ، عبيده بن أبى عبيدة ، عن أبى رُهْم الغفارى عن ابن عمّ له ، قال : بينا أنا وابن عمّ لى على ماء بدر ، فلما رأينا قِلّة من مع محمد وكثرة قريش ، قلنا : إذا التقت الفئتان عمدنا إلى عسكر محمد وأصحابه فانتهبناه ، فانطلقنا نحو الكثيب الذى من أصحاب محمد ، ونحن نقول : هؤلاء ربع قريش ، فبينا نحن نمشى فى الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا ، فرفعنا أبصارنا لها ، فسمعنا أصوات الرجال والسلاح ، وسمعنا قائلا يقول لفرسه : « أقدم حيزوم » ، وسمعناهم يقولون : « رويدا تتأم أخراكم » ، فمرلوا على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم جاءت أخرى مثل تلك فكانت مع النبى صلى الله عليه وآله ، فنظرنا إلى أصحاب محمد وإذاهم على الضعف من قريش ، فمات ابنُ عمّى ، وأمّا أنا فتماسكت ، وأخبرت النبى صلى الله عليه وآله بذلك ، وأسلمت .

قال الواقدى : وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال « مارُئىَ الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغضب منه فى يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى من نزول الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الذنوب العظام ، إلا ما رأى يوم بَدْر » ، قيل : وما رأى

يا رسول الله يوم بدر ؟ قال : أما إنه رأى جبرائيل يوزّع للملائكة . قال : وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال يومئذ : « هذا جبرائيل يسوق بريح ، كأنه دِحْيَة الكلبيّ ، إنّي نُصرت بالصّبا وأُهلكت عاد بالدّبور »[١] .

قال الواقدى : وكان عبد الرحمن بن عوف يقولُ : رأيتُ يوم بَدْر رجلين ؛ أحدهما عن يمين النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، والآخر عن يساره ، يقاتلان أشدّ القتال ، ثم ثلثهما ثالث مِنْ خَلْفه ، ثم ربّعهما رابع أمامه[٢] .

قال : وقد روى سعد بن أبي وقاص مثل ذلك ، قال : رأيت رجلين يوم بدر ، يقاتلان عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، أحدُهما عن يمينه ، والآخر عن يساره ، وإني لأراه ينظر إلى ذا مَرّة ، وإلى ذا مرّة ، سرورا بما فتح[٣] الله تعالى[٤] .

قال الواقدىّ : وحدّثني إسحاق بن يحيى ، عن حمزة بن صُهَيب ، عن أبيه ، قال : ما أدري كم يد مقطوعة وضربة جائفة لم يَدْرِ كَلْمُها يوم بَدْر ، قد رأيتها[٥] .

قال الواقدىّ : وروى أبو بُرْدة بن يسار ، قال : جئتُ يوم بدر بثلاثة رءوس فوضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقلت : يا رسول الله ، أمّا اثنان فقتلتهما ، وأمّا الثالث فإنّي رأيتُ رجلًا طويلا أبيض ضربه فتدهده[٦] أمامه ؛ فأخذت رأسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك فلان من الملائكة[٧] » .

قال الواقدىّ : وكان ابنُ عباس رحمه الله ، يقول : لم تقاتل الملائكة إلّا يوم بدر[٧] .

---

(١) مغازى الواقدى ٧٢
(٢) مغازى الواقدى ٧٣
(٣) الواقدى : « ظفره الله »
(٤) مغازى الواقدى ٧٣
(٥) مغازى الواقدى ٧٣
(٦) تدهده : تدحرج ، وفى الواقدى « تدحدى »
(٧) مغازى الواقدى ٧٣

قال : وحدّثنى ابن أبى حبيبة عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان الملك يتصوّر فى صورة مَنْ يعرفه المسلمون من الناس [١] ليثبتهم ، فيقول : إنّى قد دنوتُ من المشركين ، فسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ما ثبتنا لهم ، وليسوا بشىء ، فاحملوا عليهم ؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا . . . ﴾ [٢] الآية [٣] .

قال الواقدىّ : وحدّثنى موسى بن محمد ، عن أبيه ، قال : كان السائب بن أبى حُبَيش الأسدىّ يحدّث فى زمن عمر بن الخطاب ، فيقول : والله ما أسَرنى يوم بدر أحدٌ من الناس ، فيقال : فمن ؟ فيقول : لما انهزمتُ قريش انهزمتُ معها فيدركنى رجل أبيض طويل ، على فرس أبلق بين السماء والأرض ، فأوثقنى رباطا ، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدنى مربوطاً ، وكان عبد الرحمن ينادى فى العسكر : مَنْ أسَرَ هذا ؟ فليس أحد يزعم أنه أسرنى ، حتى انتهى بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال لى رسول الله : يابن أبى حُبَيش ، مَنْ أسَرَك ؟ قلت : لا أعرفه ، وكرهت أن أخبره بالذى رأيت ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أسره مَلَك من الملائكة كريم ، اذهب يابن عوف بأسيرك » ، فذهب بى عبدُ الرحمن . قال السائب : وما زالت تلك الكلمة أحفظها ، وتأخّر إسلامى حتّى كان من إسلامى ما كان [٤] .

قال الواقدىّ : وكان حكيم بن حزام ، يقول : لقد رأيتُنا يوم بدر ، وقد وقع بوادى حنْص بنجد من السماء قد سدّ الأفق ـ قال ووادى حنص ناحية الرُّوَيثة ـ قال : فإذا الوادى يسيل تَلَا ، فوقع فى نفسى أنّ هذا شىء من السماء أيّد به محمد ، فما كانت إلّا الهزيمة ، وهى الملائكة [٥] .

---

(١) الواقدى : « من تعرفون من الناس » .
(٢) سورة الأنفال ١٢
(٣) مغازى الواقدى ٧٣ ، ٧٤
(٤) مغازى الواقدى ٧٤
(٥) مغازى الواقدى ٧٤ ، ٧٥

قال الواقدىّ : وقد قالوا : إنه لمّا التحم القتال ، ورسول الله صلى الله عليه وآله رافع يديه يسأل الله النّصر وما وعده ، ويقول : اللهمّ إن ظَهَرت عليّ هـذه العصابة ، ظهر الشّرك ؛ ولا يقوم لك دين ، وأبو بكر يقول . و لله ليصرنّك الله وليبيضنّ وجهك ، فأنزل الله تعالى ألفاً من الملائكة مردفين عند أكتاف العدو ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يا أبا بكر ، أبشرْ ، هذا جبرئيل معتجرٌ بعمامة صفراء ، آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض » ، ثم قال : إنه لما نزل الأرض تغيّب عنّى ساعة ، ثم طلع على ثنايا النقع ، يقول : أتاك النّصر من الله إذ دعوته[1] .

قال الواقدىّ : وحدّثنى موسى بن يعقوب ، عن عمّه ، قال : سمعتُ أبا بكر بن سليمان بن أبى حثمة ، يقول : سمعت مَرْوان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر ، فجعل الشيخ يكره ذلك ، حتى ألحّ عليه ، فقال حكيم : التقينا فاقتتلنا ، فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقع الحصاة في الطّست ، وقمص النبى صلى الله عليه وآله القصعة ، فرمى بها فانهزمنا .

قال الواقدىّ : وقد روى عبد الله بن ثعلبة بن صغير ، قال : سمعتُ يوفل بن معاوية الدّؤلىّ ، يقول : انهزمنا يوم بَدْر ، ونحن نسمع كوقع الحصا في الطّساس بين أيدينا ومن خلفنا ، فكان ذلك أشدّ الرّعب علينا .

* * *

فأما الذين قالوا : نزلت الملائكة ولم تقاتل ، فقد ذكر الزمخشرى فى كتابه فى تفسير القرآن المعروف " بالكشاف " أن قوما أنكروا قتال الملائكة يوم بَدْر ؛ وقالوا : لو قاتل واحدٌ من الملائكة جميع البشر لم يثبتوا له ولا ستأصلهم بأجمعهم بعض قوته ، فإنّ جبرائيل عليه السلام رفع مدائن قوم لوط ـ كما جاء فى الخبر ـ على حافقة من جناحه ،

---

(١) مغازى الواقدى ٧٥ ، ٧٦

حتى بلغ بها إلى السماء ، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها ، فما عسى أن يبلغ قوة ألف رجل من قريش ليحاج فى مقاومتها وحربها إلى ألف ملك من ملائكة السماء مصافين إلى ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا من بنى آدم ! وجعل هؤلاء قوله تعالى : ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ... ﴾[1] أمرا للمسلمين لا أمرا للملائكة .

ورووا فى نصرة قولهم روايات ، قالوا : وإنما كان نزول الملائكة ليكثروا سواد المسلمين فى أعين المشركين ، فإنهم كانوا يرونهم فى مبدأ الحال قليلين فى أعينهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ ... ﴾[2] ، ليطمع المشركون فيهم ويجترءوا على حربهم ، فلما نشبت الحرب كثرهم الله تعالى بالملائكة فى أعين المشركين ليفروا ولا يثبتوا . وأيضا فإن الملائكة نزلت وتصورت بصور البشر الذين يعرفهم المسلمون ، وقالوا لهم ما جرت العادة أن يقال مثله من تثبيت القلوب يوم الحرب ، نحو قولهم : ليس المشركون بشىء ، لا قوة عندهم ، لا قلوب لهم ، لو حملتم عليهم لهزمتموهم . . . وأمثال ذلك .

ولقائل أن يقول : إذا كان قادرا على أن يقلل ثلثمائة إنسان فى أعين قريش حتى يطئوهم مائة ، فهو قادر على أن يكثرهم فى أعين قريش بعد التقاء حلقتى البطان ، فيطئوهم ألفين وأكثر من غير حاجة إلى إنزال الملائكة .

فإن قلت : لعل فى إنزالهم لطفا للمكلفين .

قلت : ولعل فى محاربتهم لطفا للمكلفين ؛ وأما أصحاب المعانى فإنهم لم يحملوا الكلام على ظاهره ، ولهم فى تأويله قول ليس هذا موضع ذكره .

* * *

(١) سورة الأنفال ١٢ (٢) سورة الأنفال ٤٤

القول فيما جرى فى الغنيمة
والأسارى بعد هزيمة قريش ورجوعها إلى مكة

قال الواقدىّ - لما تصافّ المشركون والمسلمون ، قال النبى صلى الله عليه وآله : « مَنْ قتَل قتيلا فله كذا وكذا ، ومن أسر أسيرا فله كذا وكذا » ، فلمّا انهزم المشركون كان النّاس ثلاث فرق ؛ فرقة قامت عند خَيْمة رسول الله صلى الله عليه وآله - وكان أبو بكر معه فى الخيمة - وفرقة أغارت على النّهْب تنتهب ، وفرقة طلبت العدوّ فأسروا وغنموا ، فتكلّم سعد بن مُعاذ - وكان ممّن أقام على خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا رسول الله ، ما منعنا أن نطلب العدوّ زهادةٌ فى الأجر ، ولا جبنٌ عن العدوّ ، ولكنا خفنا أن نعرى موضعك ، فيميل عليك خيلٌ من خيل المشركين ورجال من رجالهم ، وقد أقام عند خيمتك وجوهُ الناس من المهاجرين والأنصار ، والناس كثير ، ومتى تُعْطِ هؤلاء لا يبقى لأصحابك شىء ، والقتلى والأسرى كثير ، والغنيمة قليلة ، فاختلفوا فأنزل الله عزوجل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الآية ، فرجع المسلمون ، وليس لهم من الغنيمة شىء ثم أنزل الله فيما بعد : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ . . . ﴾ [1] فقسمه عليهم بينهم .

قال الواقدىّ : وقد روى عبادة بن الوليد بن عبادة عن جدّه عبادة بن الصامت ، قال : سلّمنا الأنفال يوم بدر لله وللرسول ، ولم يخمّس رسول الله صلى الله عليه وآله بدراً ، ونزلت بعد : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله بالمسلمين

---

(١) سورة الأنفال ٤١

الخُمس فيما كان من أول غنيمة بعد بدر .

قال الواقدىّ : وقد روى عن أبى أُسيد الساعدىّ مثله .

وروى عكرمة ، قال : اختلف الناس فى الغنائم يوم بدْر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالغنائم أن تردّ فى المقسم ، فلم يبق منها شىء إلا ردّ . وظن أهلُ الشجاعة أنّه صلى الله عليه وآله يخصّهم بها دون غيرهم من أهل الضعف ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن تقسّم بينهم على سواء ، فقال سعد بن أبى وقّاص : يارسولَ الله تعطى فارس القوم الذى يحميهم مثل ماتعطى الضعيف ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « ثكلتك أمّك ! وهل تُنصرون إلّا بضعفائكم ! » .

قال الواقدىّ : روى محمد بن سهل بن حثمة ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن تردّ الأسرَى والأسلاب ، وما أخذوا من المغنم ، ثم أقرع بينهم فى الأسرى ، وقسّم أسلاب المقتولين الذين عُرف قاتلوهم بين قاتليهم ، وقسّم ماوجده فى العسكر بين جميع المسلمين عن فراق .

قال الواقدىّ : وحدّثنى عبد الحميد بن جعفر ، قال : سألتُ موسى بن سعد بن زيد ابن ثابت : كيف فعل النبى صلى الله عليه وآله يوم بدر فى الأسرى والأسلاب والأنفال ؟ فقال : نادى مناديه يومئذ : مَنْ قتل قتيلا فله سلبُه ، ومن أسَر أسيرا فهو له ، وأمر بما وجد فى العسكر وما أحد بغير قتال ، فقسّمه بينهم عن فراق . فقلت لعبد الحميد : فلمَ أعطى سَلَب أبى جهل ! فقال : قد قيل : إنه أعطاه مُعاذ بن عمرو بن الجموح ، وقيل : أعطاه ابنَ مسعود .

قال : وأخذ علىّ عليه السلام دِرْع الوليد بن عُتْبة وبيضته ومِغْفره ، وأخذ حمزة سلاح عُتْبة ، وأخذ عُبيدة بن الحرث سلاحَ شيبة ، ثم صار إلى ورثته .

قال الواقدىّ : فكانت القسمة على ثلثمائة وسبعة عشر سهما ، لأنّ الرجال كانت ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا ، وكان معهم فرسان لهما أربعة أسهم ، وقسم أيضا فوق ذلك ثمانية أسهم ، لم يحضروا ، ضرب لهم بسهامهم وأجورهم ، ثلاثة من المهاجرين لا خلاف فيهم ، وهم : عثمان بن عفان خلّفه رسول الله صلى الله عليه وآله على ابنته رقيّة وماتت يوم قدم زيد بن حارثة بالبشارة إلى المدينة ، وطلحة بن عُبيد الله وسعد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ، بعثهما رسول الله صلى الله عليه وآله يتحسّسان خبر العير . وخمسة من الأنصار هم : أبو لُبابة بن عبد المنذر ، خلّفه على المدينة ، وعاصم بن عدىّ ، خلّفه على قُباء وأهل العالية ، والحارث بن حاطب أمره بأمر فى بنى عَمْرو بن عَوْف ، وحوّات بن جُبير كُسر بالروحاء ، والحارث بن الصِّمّة مثله ، فلا اختلاف فى هؤلاء . واختلف فى أربعة غيرهم ، فروى أنّه ضرب لسعد بن عبادة سهمه وأجره ، وقال : لمن لم يشهدها لقد كان فيها راغباً ، وذلك أنّه كان يحضّ الناس على الخروج إلى بدر ، فحُبس فسمه ذلك من الخروج .

وروى أنّه ضرب لسعد بن مالك الساعدىّ سهمه وأجره ، وكان تخلّف إلى بدر ، فمرض بالمدينة ، فمات حلاف رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأوصى إليه عليه السلام

وروى أنّه ضرب لرجلين آخرين من الأنصار ولم يسمّهما ، الواقدى وقال : هؤلاء الأربعة غير مجمع عليهم كإجماعهم على الثمانية .

قال : وقد اختلف : هل ضرب بسهم فى العسيمة تقتى بدر ؟ فقال الأكثرون : لم يضرب لهم ، وقال بعضهم : بل ضرب لهم ؛ حدّثنى ابن أبى سَبْرة ، عن يعقوب بن زيد ، عن أبيه ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله ضرب لشهداء بدر أربعة عشر رجلا . قال : وقد قال عبدالله ابن سعد بن خَيْثمة : أحدنا سَهْم أبى الذى ضرب له رسول الله صلى الله عليه وآله حين

قسم الغنائم ، وحمله إليها عُوَيمر بن ساعدة . قال : وقد روى السائب بن أبي لُبابة ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أسْهَم لمشر بن عبد المنذر ، قال : وقد قدم سهمه علينا مَعْن بن عدى .

قال الواقدىّ : وكانت الإبل التى أصابوا يومئذ مائة وخمسين بعيراً ، وكان معه أدَمٌ كثير ، حملوه للتجارة ،فمنه المسلمون يومئذ ، وكان فيما أصابوا قطيفة حمراء ، فقال بعضهم: مالنا لا نرى القطيفة ! مانرى رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أخذها ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ [1] . وجاء رجل رحل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : يارسول الله ، إن فلانا غَلّ قطيفة ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله الرَّحْلَ ، فقال : لم أفعل ، فقال الدالّ : يارسولَ الله ، احفروا هاهنا ، فحفروا فاستخرجت القطيفة ، فقال قائل : يارسولَ الله ، استغفر لفلان مرّتين ؛ أو مرارا ، فقال عليه السلام: دعونا من أبي حرّ .

قال الواقدىّ : وأصاب المسلمون من حيوانهم عشرة أفراس ، وكان حمل أبي جهل فيما غنموه ، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله ، فلم يزل عنده يضرب في إبله ويغزو عليه حتى ساقه في هدْى الحديبية ، فسأله يومئذ المشركون الحمل عانة بعير ، فقال : لولا أنّا سمّيناه في الهَدْى لفعلنا .

قال الواقدىّ : وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله صَفِيّ [2] من الغنيمة قبل القسمة، فتنفّل سيفه ذا الفَقار يومئذ ، كان لمنبّه بن الحجاج . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد عزا إلى بدر بسيف وهبه له سعد بن عبادة يقال له العَضْب .

قال : وسمعت ابن أبي سَبْرة ، يقول : سمعت صالح بن كيسان ، يقول : خرج رسول

---

(١) سورة آل عمران ١٦١

(٢) الصفى من الغنيمة : نصيب الرئيس

الله صلى الله عليه وآله يوم بَدْر ، وما معه سيف ، وكان أوّل سيف قلّده سيف منبّه بن الحجاج عنمه يوم بدر .

وقال البلاذُرى : كان ذُو الفقار للعاص بن منبّه بن الحجّاج ، ويقال : لمنبّه ، ويقال لشيبة ، والثّبت عندنا أنه كان للعاص بن منبّه .

قال الواقدىّ : وكان أبو أسيد الساعدىّ قد ذُكِر الأرقم بن أبى الأرقم ، يقول : ما يومى منه بواحد ، فيقال . ما هذا هو ؟ فيقول : أمر رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين أنْ يردّوا يومَ بدْر ما فى أيديهم من المغنم ، فرددت سيف أبى عائذ الهروىّ — واسم السيف المرزبان ، وكان له قيمة وقدْر — وأنا أطمع أن يردّ إلىّ ، فكلّم الأرقم رسول الله صلى الله عليه وآله فيه — وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمنع شيئاً يسأله — فأعطاه السيف . وخرج بىّ له يعمة[1] ، فاحتمله العُون ، فذهبت به متوركة ظهرا ، فقيل لأبى أسيد : وكانت الميلاء فى ذلك الزمان ؟ فقال : نعم ، ولكنها قد هلكت ، فلقى بنى الأرقم بن أبى الأرقم ، فهش[2] إليه باكيا مستحيرا له ، فقال : مَنْ أنت ؟ فأخبره ، فقالت العول : أنا حاضنتُه ، فلما عمه والصبىّ يكدمه ، فلم يبرح عليه حتى الساعة ، فخرج من دارى فرس لى ، فقطع رَسَنه ، فنفيه الأرقم بالدابة فركبه ؛ حتى إذا دنا من المدينة أفلت منه فتمدر إلىّ أنه أفلت منّى ، فلم أقدر عليه حتى الساعة .

قال : وروى عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله يومَ بدْر سيف العاص بن منبّه ، فأعطاه ، قال . وأحد عليه السلام ممالبك حصروا بدراً ، ولم يسهم لهم وهم ثلاثة أعبد ، غلام حاطب بن أبى بلتعة ، وغلام لعبد الرحمن بن

---

(١) غلام يفع ويفعة ، إذا كان مترعرعاً .

(٢) هش إليه : خف إليه .

عوف ، وعلام لسعد بن معاذ ، واستعمل صلى الله عليه وآله شُقران علامه على الأسرى ، فأخذوا من كلّ أسير ما لو كان حُرّاً ما أصابه فى المقسم .

وروى عامر بن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه ، قال : رميتُ سهيل بن عمرو يوم بدْر فقطعت نساءه ، فاتبعت أثر الدم حتى وجدتُه قد أخذه مالك بن الدخشم ، وهو ممسك ناصيته ، فقلت : أسيرى رميتُه ! فقال : أسيرى أخذته ! فأتينا رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذه منا جميعا ، وأفلت سهيل بالرّوحاء ، فصاح عليه السلام بالناس ، فخرجوا فى طلبه ، فقال صلى الله عليه وآله : مَنْ وجده فيقتله ، فوجده هو صلى الله عليه وآله فلم يقتله .

قال الواقدىّ : وأصاب أبو بردة بن نِيار أسيراً من المشركين ، يقال له معبد ابن وَهْب ، من بنى سعد بن بيث ، فلقيه عمر بن الخطاب وكان عمر يحضّ على قتل الأسرى ، لا يرى أحدا فى يديه أسير إلاّ أمر بقتله ، وذلك قبل أن يتفرّق الناس ، فلقيه معبد وهو أسير مع أبى بُرْدة ، فقال : أترون يا عمر أنّكم قد علمتم ! كلاّ واللاّت والعزّى ! فقال عمر : عباد الله المسلمين ، أتتكلم وأنت أسير فى أيدينا ! ثم أخذه من أبى بُرْدة فضرب عنقه — ويقال : إن أبا بُرْدة قتله .

قال الواقدىّ : وروى أبو بكر بن إسمعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، قال : قال النبى صلى الله عليه وآله يومئذ : « لا تحبروا سعدا بقتل أخيه فيقتل كلّ أسير فى أيديكم » .

قال الواقدىّ : ولما جيء بالأسرى كره ذلك سعد بن معاذ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : كأنه شقّ عليك أن يؤسروا ! قال : نعم يارسول الله ، كانت أوّلَ

وقعة التقينا فيها بالمشركين فأحببتُ أن يُذلّهم الله ، وأن يثخن فيهم القتل .

قال الواقدىّ : وكان النّضر بن الحارث أسَره المقداد يومئذ ، فلمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر ، فكان الأُثَيْل عُرِض عليه الأسرى ، فنظر إلى النّضر بن الحارث فأنذه البصر ، فقال لرجل إلى جنبه : محمد ورب قاتلى ! لقد نظر إلىّ بعينين فيهما الموت ! فقال الذى إلى جنبه : والله ما هما منك إلا رعب ، فقال النضر لمصعب بن عمير : يامصعب ، أنت أقرب مَنْ هاهنا بى رحمًا ؛ كلّم صاحبك أن يحملنى كرجل من أصحابى ، هو والله قاتلى إن لم تفعل . قال مصعب : إنك كنت تقول فى كتاب الله كذا كذا ، وتقول فى نبيّه كذا وكذا ، قال : يامصعب ! فليحملنى كأحد أصحابى . إن قتلوا فللت ، وإن منّ عليهم منّ علىّ . قال مصعب : إنك كنت تعذّب أصحابه ، قال : أما والله لو أسرتك قريش ما قتلت أبدا وأنا حىّ . قال مصعب : والله إنى لأراك صادقا ، ولكن لست مثلك قطع الإسلام العهود .

قال الواقدىّ : وعرضت الأسرى على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فرأى النّضر ابن الحارث ، فقال : اضربوا عنقه ، فقال المقداد : أسيرى يارسول الله ! فقال اللهمّ أغنِ المقداد من فضلك ، قم يا علىّ فاضرب عنقه ، فقام علىّ فضرب عنقه بالسيف صبرا ، وذلك بالأُثيل ، فقالت أخته[1] :

يارَاكِبًا إن الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ ... مِنْ صُبْح خامسة وأنت مُوَفَّقُ[2]

بلِّغْ به مَيْتًا فإنّ تحيّةً ... ما إنْ تزالُ بها الرّكائب تخفِقُ

منّى إليه وعَبْرةً مسفوحةً ... جادتْ لمائحها ، وأخرى تخنُقُ

---

(١) واسمها قتيلة ، ذكرها التبريزى فى الحماسة .

(٢) الأبيات فى ديوان الحماسة ٣ : ١٢ ـ بشرح التبريزى

فليسمعنّ النضر إن ناديتُه ... إن كان يسمع ميّت أو ينطقُ
ظلّت سيوفُ بني أبيه تنوشُه ... لله أرحامٌ هنـــاك تمزّق ! (١)
صبراً يقاد إلى المدينـــة راغماً ... رَسَفَ المقيّد وهو عانٍ مُوثَقُ (٢)
أمحمدٌ ولأنتَ نَحْلُ نجيبة ... في قومها، والفَحْلُ فحلٌ معرِقُ (٣)
ما كان ضرّك لو مننتَ ورُبّما ... مَنّ الفتى وهو المغيظُ المحنَقُ
والنضر أقربُ مَنْ فقدت وسيلةً ... وأحقّهم إن كان عتق يُعتَقُ

قال الواقدي : وروى أن النبي صلى الله عليه وآله لما وصل إليه شِعْرُها رقّ له ، وقال : «لو كنت سمعت شعرها قبل أن أقتله لما قتلته» .

قال الواقديّ : ولما أُسِرَ سهيل بن عمرو ، قال عمر بن الخطاب : يارسولَ الله ، انزع ثنيّتيه يدلعْ لسانه ، فلا يقوم عليك خطيبا أبدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «لا أمثّل به فيمثّل الله بي و إن كنت نبيا ، ولعله يقوم مقاما لا تكرهه» . فقام سهيل بن عمرو بمكة حين جاءه وفاة النبي صلى الله عليه وآله بخطبة أبي بكر بالمدينة ، كأنه كان يسمعها ، فقال عمر حين بلغه كلام سُهيل : أشهد أنك رسول الله ـ يريد قوله صلى الله عليه وآله : «لعله يقوم مقاما لا تكرهه» .

قال الواقديّ : وكان علي عليه السلام يحدّث ، فيقول : أتى جبريل النبيّ صلى الله عليه وآله يوم بدر ، فخيّره في الأسرى أن يضرب أعناقهم ، أو يأخذ منهم الفداء ، و يستشهد من المسلمين في قابل عِدّتهم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه ، وقال : هذا جبريل يخيّركم في الأسرى ، بين أن تضرب أعناقهم أو تؤخذ منهم الفدية و يستشهد

---

(١) الحماسة : « تشفق » (٢) لم يرد في رواية الحماسة .
(٣) في الحماسة : « من كريمة » قال في شرحه : « سنّ نجيبة » أي ولدها . ومعرق : له عرق في الكرم .

منكم قابلا عدتهم . قالوا : بل نأخذ الفدية ونستعين بها ، ويستشهد منا من يدخل الجنة ، فقبل منهم الفداء وقتل من المسلمين قابلا عدتهم بأحد .

قلت : لو كان هذا الحديث صحيحا لما عوتبوا ، فقيل لهم : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ (١) ، ثم قال : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ... ﴾ (٢) ، لأنه إذا كان حيّرهم ، فقد أباحهم أخذ الفداء ، وأحرم أنه حسن ، فلا يجوز فيما بعد أن ينكره عليهم ، ويقول إنه قبيح .

قال الواقدي : لما حبس الأسرى وحصل عليهم شُقران مولى رسولِ الله صلى الله عليه وآله طيبوا في الحياة ، فقالوا : لو بعثنا إلى أبي بكر ! فإنه أوصلُ قريش لأرحامنا ! فمشوا إلى أبي بكر ، فأتاهم فقالوا : يا أبا بكر ، إنّ فينا الآباء والأبناء والإخوان ، والعُمومة وبني العمّ . وأبعدنا قريب ، كلّم صاحبك فليمنّ علينا ويفادينا ، فقال : نعم إن شاء الله ، لا آلوكم خيرا . ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله . قالوا . وانبعثوا إلى عمر بن الخطاب ، فإنه مَنْ قد علمتم ، ولا يؤمَن أن يفسد عليكم لعله يكفّ عنكم ! فأرسلوا إليه ، فجاءهم فقالوا له مثلَ ماقالوا لأبي بكر ، فقال : لا آلوكم شرًّا ! ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه وآله ، فوجد أبا بكر عنده ، والناس حوله ، وأبو بكر يُلَيِّنه ويشاوره ، ويقول : يارسولَ الله ، بأبي أنت وأمّي ! قومُك فيهم الآباء والأبناء والعُمومة والإخوان وبنو العمّ ، وأبعدهم عنك قريب ! فامنن عليهم ، منّ الله عليك ، أوفادِهم قوةً للمسلمين ، فلعل الله يقبل بقلوبهم إليك ! ثمّ قام : فتنحّى ناحيةً ، وسكت رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يجبه ، فجاء عمر فجلس مجلسَ أبي بكر ، فقال : يارسول الله ، هم أعداء الله ، كذّبوك

---

(١) سورة الأنفال ٦٧ .

(٢) سورة الأنفال ٦٨ .

وقاتلوك وأخرجوك ، اضرب رقابهم ، فهم رءوسُ الكفر وأئمة الضلالة ، يوطىء الله بهم الإسلام ، ويذلّ بهم الشرك ! فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يجبه ، وعاد أبو بكر إلى مقعده الأوّل ، فقال : بأبى أنت وأمّى ! قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومة والإخوان وبنو العمّ ، وأنعدهم منك قريب ! فامنن عليهم أوفادِهم . هم عشيرتك وقومك لا تكن أوّلَ من يستأصلهم ، وأن يهديهم الله خيرٌ من أن يهلكهم . فسكت صلى الله عليه وآله عنه فلم يردّ عليه شيئاً ، وقام ناحية . فقام عمر فجلس مجلسه ، فقال : يارسولَ الله ، ماتنتظر بهم ! اضربْ أعناقهم ، يوطىء الله بهم الإسلام ، ويذلّ أهل الشرك ، هم أعداء الله ، كذّبوك وأخرجوك يارسولَ الله ، اشف صدور المؤمنين ، لو قدروا منّا على مثل هذا ما أقالوا أبدا . فسكتَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله فلم يجبه ، فقام ناحيةً ، فجلس وعاد أبو بكر ، فكلّمه مثل كلامه الأوّل فلم يجبه ، ثم تمنّى ، فجاء عمر فكلّمه بمثل كلامه الأول فلم يجبه ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدخل قُبّته ، فمكث فيها ساعة ، ثم خرج ، والناس يخوضون فى شأنهم ، يقول بعضهم : القولُ ماقال أبو بكر ، وآخرون يقولون : القولُ ماقال عمر . فلمّا خرج قال للناس : ماتقولون فى صاحبيكم هذين ؟ دعوهما فإنّ لهما مثلاً ، مثلُ أبى بكر فى الملائكة كميكائيل ينزل برضا الله وعفوه على عباده ، ومثلُه فى الأنبياء كمثل إبراهيم كان أبيَنَ على قومه من العسل ، أوقدَ له قومُه النار فطرحوه فيها ، فما زاد على أن قال : ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) وقال : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) وكعيسى إذ يقول : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣) . ومثل عمر فى الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسخط من الله والنقمة على أعداء الله ، ومثلُه فى الأنبياء كمثل نوح ، كان أشدّ على قومه من الحجارة ، إذ يقول : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى

(١) سورة الأنبياء ٦٧ .

(٢) سورة إبراهيم ١٤ (٣) سورة المائدة ١١٨

الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [1] فدعا عليهم دعوة أغرق الله بها الأرض جميعا ، ومثل موسى إذ يقول : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [2] وإنّ لكم غيلة ، فلا يفوتنكم رجل من هؤلاء إلا بقدمه أو ضربة عنق . فقال عبدُ الله بن مسعود : يارسولَ الله ، إلّا سهيل بن بيضاء .

قال الواقدى : هكذا روى ابن أبى حبيبة ، وهذا وَهَم ، سهيل بن بيضاء أسلم من مهاجرة الحبشة ، وشهد بدراً ، وإنما هو أخ له . ويقال له سهيل . قال : قال عبد الله بن مسعود : فإنى رأيته يُظهِر الإسلام بمكة ـ قال : فسكتَ النبىُّ صلى الله عليه وآله ، قال عبد الله : فما مرّت علىّ ساعةٌ قطّ كانت أشدّ علىّ من تلك الساعة ، جعلت أنظر إلى السّماء أتخوّف أن تسقط على الحجارة لتقدّمى بين يدى الله ورسوله بالكلام ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه ، فقال : « إلا سُهَيل بن بيضاء » ، قال : فما مرّت علىّ ساعة أقرّ لعينى منها ، إذ قالها رسول الله صلّى الله عليه وآله ثم قال : « إن الله عز وجل ليشدّد القلب حتى يكونَ أشدّ من الحجارة ، وإنه ليُبين القلبَ حتى يكونَ ألينَ من الزّبد » ، فقبل الفداء ثم قال بعد : « لو نزلَ عذابٌ يوم بدر لما نجا منه إلّا عمر » ، كان يقول : اقتُل ولا تأخذ الفداء . وكان سعد بن معاذ يقول . اقتل ولا تأخذ الفداء .

قلت : عندى فى هذا كلام ، أما فى أصل الحديث فلانّ فيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ، ومثله كعيسى إذ قال : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ، وهذه الآية من المائدة والمائدة أنزلت فى آخر عمره ، ولم ينزل بعدها إلّا سورة براءة ، وبدر كانت فى السنة الثانية من الهجرة ، فكيف هذا اللهم إلا أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ . . ﴾ الآيات ، قد كانت أنزلت إما بمكة أو بالمدينة قبل بدر ،

(١) سورة نوح ٢٦ .

(٢) سورة يونس ٨٨ .

فلما جمع عثمان القرآن ضمّها إلى سورة براءة ، فلعلّه قد كان ذلك فيبغى أن ننظر فى هذا ، فهو مشكل !

وأما حديث سهيل بن بيضاء فإنّه يُوهم مذهب موسى بن عمران فى أنّ النبى صلى الله عليه وآله كان يحكم فى الوقائع بما يشاء ، لأنه قيل له : احكم بما تشاء ؛ فإنّك لا تحكم إلّا بالحقّ ، وهو مذهب متروك إلا أنه يمكن أن يقال : لعلّه لما سكت صلى الله عليه وآله عند ماقال ابن مسعود ذلك القول ، نزل عليه فى تلك السكتة الوحى وقيل له : إلا سهيل ابن بيضاء ، فقال حينئذ : « إلّا سهيل بن بيضاء » ، كما أوحى إليه .

وأمّا الحديثُ الذى فيه : « لو نزل عذاب لما نجا منه إلّا عمر » ، فالواقدى وغيره من المحدّثين اتّفقوا على أن سعد بن معاذ كان يقول مثل ما قاله عمر ؛ بل هو المشيرُ بذلك الرأى ، ورسول الله صلى الله عليه وآله صدّق فى العريش ، والمشركون لم يمحّص جمعهم كلّ ذلك الامحاص ؛ فكيف خصّ عمر بالضحاء وحده دون سعد ! ويمكن أن يقال : إنّه كان شديد التأليب والتحريض عليهم ، وكثيرَ الإلحاح على رسول الله صلى الله عليه وآله فى أمرهم ، فنسب ذلك الرأى إليه لاشتهاره به ، وإن شركه فيه غيره .

* * *

قال الواقدىّ : وحدّثنى معمَر عن الزُّهرىّ ، عن محمد بن جُبَير بن مطعم ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : « لو كان مطعم بن عدىّ حيًّا لوهبت له هؤلاء النَّتنَى »[1] . قال : وكانت لمطعم بن عدىّ عند النبى صلى الله عليه وآله يدٌ أجاره حين رجع من الطائف .

(١) قال ابن الأثير فى النهاية ٤ : ١٢٤ . « يعنى أسارى بدر ، واحدهم نِن ؛ كرمن ورمى ، سماهم نتنى لكفرهم ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ .

قال الواقدىّ : وحدثنى محمد بن عبد الله ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : أمّن رسولُ الله صلّى الله عليه وآله من الأسرى يوم بدر أبا عزّة عمرو بن عبد الله بن عُمير الجُمَحيّ ، وكان شاعرا ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال له: إنّ لى خمسَ بنات ، ليس لهنّ شىء ، فتصدّق على عليهنّ يامحمد ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك . وقال أبو عزّة: أعطيك موثقا ألاّ أقاتلك ، ولا أكثّر عليك أبدا . فأرسله رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما خرجت قريش إلى أحُد ، جاء صفوان بن أميّة ، فقال : اخرج معنا ، قال : إنى قد أعطيتُ محمدا موثقا ألاّ أقاتله ، ولا أكثّر عليه أبدا . وقد منّ علىّ ولم يمنّ على غيرى حتى قتله أو أحد منه العداء . فعسى له صفوان أن يحمّل بناته مع ماله إن قتل ؛ وإن عاش أعطاه مالا كثيرا لا يأكله عياله . فخرج أبو عزّة يدعو العرب ويحشرها ، ثم خرج معَ قريش يوم أحُد ، فأسر وكان يؤسَر غيرهُ من قريش ، فقال . يامحمد ، إنما خرجت كرهًا ولى بنات ، فامنُنْ علىّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله « أين ما أعطيتنى من العهد والميثاق ؟ لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول : سخرتُ بمحمد مرتين »[1] . فقتله .

قال : وروى سعيد بن المسيّب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال يومئذ : « إنّ المؤمن لا يلدَغ من جُحْر مرتين ، ياعاصم بن ثابت ، قدّمه فاضرب عنقه » ، فقدّمه عاصم فضرب عنقه .

قال الواقدىّ : وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وآله يوم بدر بالقَلُب أن تعوّر[2] ثم أمر بالقتلى ، فطرحوا فيها كلّهم إلا أميّة بن خلف فإنه كان مسمِناً[3] انتفخ من يومه . فلما أرادوا أن ينقوه تزايلَ لحمه ، فقال النبى صلى الله عليه وآله : اتركوه[4]

---

(١) مغازى الواقدى ١٠٥

(١) المسن : المسن خلقة .

(٢) تعوّر : تملأ بالتراب

(٤) مغازى الواقدى ١٠٦

وقال ابن إسحاق : انتفخ أمية بن خلف فى درعه حتى ملأها ! فلما ذهبوا يحرّكونه تزايل ، فأقرّوه وألقوا عليه من التراب والحجارة ما غيّبه[1] .

قال الواقدىّ : ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عُتْبة بن ربيعةَ يحرّ إلى القليب — وكان رجلا حسيما ، وفى وجهه أثر الحَدِيّ — فتغيّر وجه ابنه أبى حذيفة بن عتبة ، فقال له : النبى صلى الله عليه وآله : مالك ! كأنّك ساءك[2] ما أصاب أباك ! قال : لا والله يارسولَ الله ، ولكنى رأيتُ لأبى عقلا وشرفا ، كنت أرجو أن يهدِيَه ذلك إلى الإسلام ، فلما أخطأه ذلك ، ورأيت ما أصابه غاظنى . فقال أبو بكر : كان والله يارسول الله أتقى فى العشيرة من غيره ، ولقد كان كارهاً لوجوهه ، ولكن ، حين ومصارع السوء . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «الحمد لله الذى حمل حدّ أبى حهل الأسفل وصرَعه وشفانا منه» . فلما تواقعوا فى القليب وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يطوف عليهم وهم مصرّعون ، حمل أبو بكر يحجره بهم رجلاً رجلاً ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يحمَد الله و يشكره و يقول . الحمدُ لله الذى أنجز لى ما وعدنى ! فقد وعدنى إحدى الطائفتين ، ثم وقف على أهل القليب فناداهم رجلا رجلا : «ياعتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، ويا أميّة بن خلفَ ، ويا أباجهل بن هشام ! هل وجدتم ما وعد ربكم حقّاً؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا ! بئس القوم كنتم لنبيّكم ! كذبتمونى وصدّقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرَنى الناس ، فقالوا: يارسول الله، أتنادى قوماً قد ماتوا ! فقال : «لقد علموا أنّ ما وعدهم ربّهم حقّ»[3] .

وقال ابن اسحاق فى كتاب "المغازى" . إن عائشة كانت تروى هذا الخبر ، وتقول : فالناس يقولون : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم . قال : «لقد سمعوا ما قلتُ لهم» ، وليس كذلك ، إنما قال : «لقد علموا أنّ ما وعدهم ربهم حقّ[4]» .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٩ (٢) ابن هشام : «قد دخلك من أمر أبيك شيء»

(٣) مغازى الواقدى ١٠٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٢

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٠ .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لما ناداهم رسول الله صلى الله عليه وآله قال له المسلمون : يا رسولَ الله ؛ أتنادى قوما قد أنتنوا ! فقال : « ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني » .

* * *

قلت : لقائل أن يقول لعائشة : إذا جاز أن يعلموا وهم موتى ، جاز أن يسمعوا وهم موتى ! فإن قالت . ما أخبرت أن يعلموا وهم موتى ، ولكن تعود الأرواح إلى أبدانهم ، وهي في القليب ، ويرون المقعد ، فيعلمون أنّ ما وعدهم به الرسول حقّ ! قيل لها : ولا مانع من أن تعود الأرواح إلى أبدانهم وهي في القليب ؛ فيسمعوا صوتَ رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فإذن لا وجهَ لإنكارها ما يقوله الناس !

ويمكن أن يُنتصر لقول عائشة على وجه حكميّ ، وهو أنّ الأمس بعد المفارقة تعلم ولا تسمع ؛ لأنّ الإحساس إنما يكون بواسطة الآلة ، وبعد الموت بعد الآلة ؛ فأمّا العلم فإنه لا يحتاج إلى الآلة ؛ لأنّ النفس تعلم بجوهرها فقط .

قال الواقديّ : وكان انهزام قريش وتولّيهم حين زالت الشمس ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وآله ببدر ، وأمر عبد الله بن كعب بقسم الغنائم وحملها وأمر نفرا من أصحابه أن يعيروه ، فصلّى العصر ببدر ثم راح فمرّ بالأثيل قبل غروب الشمس فنزل به ، وبات به وبأصحابه جراح ، وليست بالكثيرة ، وقال : مَنْ رجلٌ يحفظنا الليلة ؟ فأمسك القوم ، فقام رجل فقال : مَنْ أنت ؟ قال : دكوان بن عبد قيس ، قال : اجلس ، ثم أعاد القولَ الثانية ، فقام رجل ، فقال : مَنْ أنت ؟ قال : ابن عبد القيس ، فقال : اجلس ؛ ثم مكث ساعة وأعاد القول ؛ فقام رجل فقال : مَنْ أنت ؟ قال : أبو سَبُع[٢] ، فسكت ثم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٠ .

(٢) في الأصول : « سبيع » ، وصوبه ما في لو فدى ، وانظر ما في الاستيعاب .

مكث ساعة ، وقال : قوموا ثلاثتكم فقام ذكوان بن عبد قيس وحده ، فقال له : وأين صاحباك ؟ قال : يا رسول الله أنا الذي كنت أحببتك الليلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : فحفظك الله ! فبات ذكوان يحرس المسلمين تلك الليلة ، حتى كان آخر الليل فارتحل [1] .

قال الواقدي : وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى العصر بالأثيل ، فلما صلى ركعة تبسم ، فلما سلم سئل عن تبسمه فقال : مرّ بي ميكائيل وعلى جناحه النقع ، فتبسم إليّ ، وقال : إني كنت في طلب القوم ، وأتاني جبريل على فرس أنثى معقود الناصية ، قد عمّ ثنيتيه الغبار فقال : يا محمد إن ربي بعثني إليك ، وأمرني ألا أفارقك حتى ترضى ، فهل رضيت ؟ فقلت : نعم [2] .

قال الواقدي : وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله بالأسرى ، حتى إذا كان بعرق الظبية أمر عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أن يضرب عنق عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس وكان أسره عبد الله بن سلمة العجلاني ، فجعل عقبة يقول : يا ويلي ! غلام أقتل يا معشر قريش من بين من هاهنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لعداوتك لله ولرسوله ، فقال : يا محمد منك أفضل ، فاجعلني كرجل من قومي إن قتلتهم قتلتني ، وإن مننت عليهم مننت عليّ ، وإن أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم ، يا محمد ، من للصبية ؟ فقال : النار ، قدمه يا عاصم ، فاضرب عنقه ، فقدمه عاصم فضرب عنقه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : بئس الرجل كنت والله ما علمت كافراً بالله وبرسوله ، وبكتابه مؤدياً لنبيه ، فالحمد لله الذي قتلك وأقر عيني منك [3] .

قال محمد بن إسحاق : وروى عكرمة مولى ابن عباس ، عن أبي رافع ، قال : كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد فشا فينا أهل البيت ، فأسلم العباس ،

---

(١) مغازي الواقدي ١٠٧
(٢) مغازي الواقدي ١٠٧
(٣) مغازي الواقدي ١٠٧ ، ١٠٨

وأسمت أم الفضل روحته ، وكان العباس يهاب قومه ، ويكره خلافهم ، فكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه ؛ وكان عدو الله أبو لهب قد تخلف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن مغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا . لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلا ، فلما جاء الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش ، كبته [1] الله وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزا

قال : وكنتُ رجلاً ضعيفا ، وكنت أعمل القِداح [2] ، أحتها فى حُجْرة زمزم ، فوالله إنى لجالس أحت قِداحى ، وعندى أمّ الفضل جالسة ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرّ رجليه بشرّ ، حتى جلس على طُنُب [3] الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهرى ، فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم — وكان شهد مع المشركين بدرا — فقال أبو لهب لديه : هلمّ بن أخى فعندك والله الخبر ، قال فجلس إليه والناس قيام حوله ، فقال : يا ابن أخى ، أخبرنى كيف كان أمر الناس ؟ قال : لا شىء ، والله إن هو إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا ، فصنعوا كيف شاءوا ، وأسرونا كيف شاءوا ، وايم الله مع ذلك مالمت الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بُلْق بين السماء والأرض ، لا والله ما تليق [4] شيئا ، ولا يقوم له شىء . قال أبو رافع : فرفعتُ طُنُب الحجرة ، ثم قلت : تلك والله الملائكة ، قال : [5] فرفع أبو لهب يده ، فضرب بى الأرض ثم برك علىّ يضربنى [5] ، وكنت رجلا ضعيفا ، فقامت أمّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحجرة ، فأخذته فضربته على [6] رأسه ، فشجّته شجّة منكرة ، وقالت : استضعفته إذ غاب

(١) كبته الله : ذله وأخزاه .
(٢) ابن هشام : الأقداح .
(٣) طنب الحجرة : طرفها .
(٤) ابن هشام : « ما تلبث شيئا » ، أى ما تبقى شيئا .
(٥ — ٥) عبارة فى ابن هشام : « فرفع أبو لهب يده ، فضربت بها وجهى ضربة شديدة » قال : وثاورته ، فاحتملنى فضرب بى الأرض ، ثم برك على يضربنى » وثاورته ، أى وثبت إليه .
(٦) ابن هشام : « فضربته به ضربة فلقت فى رأسه شجة منكرة » ، وفلقت ، أى شقت .

سيّده ، فقام مولّيا ذليلا ، فوالله ماعاش إلّا سبعَ ليال ، حتى رماه الله بالعدَسة [1] فقتلته [2] .

ولقد تركه اثناه ليلتين أو ثلاثا وما يدفنه ، حتى أنتن فى بيته — وكانت قريش تتّقى العَدَسة وعدْواها ، كما يتّقى الناس الطاعون — حتى قال لهم رجل من قريش : ويحكما ! ألا تستحيان أنّ أبا كما قد أنتن فى بيته لا تَدفنانه ! قالا : إنّا نخشى هذه القُرْحة ، قال : فانطلقا وأنا معكما ، فوالله ماغسلوه إلّا قذفا عليه بالماء من بعيد ، مايمسّونه ؛ وأخرجوه فألقوْه بأعلى مكة إلى كداء هناك ، وقذفوا عليه بالحجارة حتى واروْه .

قال محمد بن إسحاق : فحصر العبّاس بدرا ، فأسر فيمن أسر ، وكان الذى أسره أبو اليسر كعب بن عمرو أحد بنى سلمة . فلمّا أمسى القوم والأسارى محبوسون فى الوَثاق ، وبات رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الليلة ساهرا ، فقال له أصحابه : مالك لا تنام يارسول الله ؟ قال . «سمعت أنين العبّاس من وَثاقه» ، فقاموا إليه وأطلقوه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وآله [3] .

قال : وروى ابنُ عباس رحمه الله ، قال : كان أبو اليسر رجلاً مجموعا ، وكان العبّاس طويلا جسيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ياأبا اليسر ، كيف أسرتَ العبّاس ؟ قال : يارسولَ الله ، لقد أعانى عليه رجل مارأيته من قبل ، من هيئته كذا ، قال صلى الله عليه وآله : « لقد أعانك عليه مَلَك كريم » .

قال محمد بن إسحاق : قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله فى أوّل الوقْعة ، نهى أن يقتل أحد من بنى هاشم ، قال : حدّثنى ذلك الزّهرىّ ، عن عبدالله بن ثعلبة حليف بنى زُهرة ، قال : وحدّثنى العبّاس بن عبدالله بن معبد بن العباس ، عن بعض أهله ، عن عبد الله بن عبّاس رحمه الله ،

(١) العدسة ، قال أبو ذر الخشنى : « هى قرحة قاتلة كالطاعون ، وقد عدس الرجل ، إذا أصابه ذلك » .
(٢) الخبر الى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ ، ٢٩١
(٣) تاريخ الطبرى ٢ : ٤٦٢ (طبعة المعارف) ، والأغانى ٤ : ٥ ٢ ، ٢٠٦ (طبعة دار الكتب)

قال : وقال النبيّ صلى الله عليه وآله لأصحابه : إنّي قد عرفت أنّ رجالًا من بني هاشم وغيرهم قد أخرِجوا كَرْهًا،لا حاجة لنا بقتلهم ، فمَنْ لقيَ منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقيَ أبا البختريّ فلا يقتله ، ومَنْ لقيَ العبّاس بن عبد المطلب عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يقتله ، فإنّه إنما خرج مستكرها ، فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتلُ آباءنا وإخواننا وعشائرنا ونترك العبّاس ! والله لئن لقيتُه لألجمنّه [1] السيف ، فسمعها رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال لعمر بن الخطاب ـ يا أبا حفص ـ يقول عمر : والله إنّه لأوّل يوم كنّاني فيه رسول الله صلى الله عليه وآله بأبي حفص ـ أيصربُ وجهُ عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله بالسّيف ؟ فقال عمر : يارسولَ الله ، دعني أضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق ، قال : فكان أبو حذيفة يقول ، والله ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذ ، ولا أزال منها خائفا أبدا إلا أن يكفّرها الله عنّي بشهادة ، فقتل يوم اليمامة شهيدا [2] .

قال محمد بن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لما استشار أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ في أمر الأسارى ، عطف عمر عليهم عطفة شديدة ، فقال : يارسولَ الله أطعمني فيما أشير به عليك ، فإني لا آلوك نصحا ، قدّم عمّك العباس فاضربْ عنقه بيدك ، وقدّم عَقيلا إلى عليّ أخيه يضرب عنقه ، وقدّم كلّ أسير منهم إلى أقرب الناس إليه يقتله، قال : فكره رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك ولم يعجبه .

قال محمد بن إسحاق : فلمّا قدم بالأسرى إلى المدينة قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) لألجمنه ، أي لأطعمنه السيف ، ولأخطمنه ، وقال ابن هشام : لألجمنه بالسيف ، أي لأضربنه به في وجهه » .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٤٥٠ طبعة المعارف ، وسيرة ابن هشام

افْدِ نفسك ياعبّاس وابنى أخويك عَقِيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وحليفك عُقْبة بن عمرو ، فإنّك ذو مال ، فقال العبّاس : يارسولَ الله ، إنى كنت مسلما ، ولكن القوم استكرهونى ، فقال صلى الله عليه وآله : الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ماقلتَ حقّا فإن الله يجزيك به ، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا ، فافتدِ نفسك ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ منه عشرين أوقيّة من ذهب أصابها معه حين أسر ، فقال العباس : يارسولَ الله ، احسبها لى من فدائى ، فقال صلى الله عليه وآله . ذاك شىء أعطانا الله منك ، فقال : يارسولَ الله ، فإنه ليس لى مال ، قال : فأين المال الذى وضعتَه بمكة حين خرجتَ عند أمّ الفضل بنت الحارث ، وليس معكما أحد ، ثم قلت : إن أصِبْتُ فى سفرى هذا فللفضل كذا وكذا ، ولعبد الله كذا وكذا ، ولقُثَم كذا وكذا ! فقال العباس : والّذى بعثك بالحقّ يارسولَ الله ، ماعلم بهذا أحدٌ غيرى وغيرها ، وإنى لأعلم أنّك رسول الله ، ثم فدى نفسه وابنى أخويه وحليفه

* * *

قال الواقدى : قدّم رسول الله صلى الله عليه وآله من الأثيل زيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة يبشّران الناس بالمدينة غداة يوم الأحد فى الضحى ، وفارق عبد الله زيدا بالعَقِيق ، فجعل عبد الله ينادى عوالى المدينة : يامعشر الأنصار، أبشروا بسلامة رسول الله وقتل المشركين وأسرهم ، قتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجّاج ، وأبو جهل ، ورمعة بن الأسود، وأميّة بن خلف ، وأسر سُهيل بن عمرو ذو الأنياب ؛ فى أسرى كثير . قال عاصم بن عدىّ : فقمت إليه فمحوته ، فقلت : أحقّا ماتقول يابن رواحة ؟ قال : إى والله ، وغداً يقدُم رسول الله إن شاء الله ، ومعه الأسرى مقرّنين ، ثم تتبع دورَ الأنصار العالية يبشّرهم ، داراً داراً ، والصبيان يشتدّون معه ، ويقولون : قُتِل أبو جهل الفاسق ، حتى انتهوا إلى

دُور بنى أميّة بن زيد ، وقدم زيد بن حارثة على ناقة النبى صلى الله عليه وآله القَصْوَاء ، يبشر أهل المدينة ، فلما جاء المصلّى صاح على راحلته : قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا الحجّاج وأبو جهل ، وأبو البخترىّ وزمعة بن الأسود وأميّة بن خلف ، وأسِرَ سُهيل بن عمرو ذو الأنياب فى أسرى كثيرة ، فجعل النّاس لا يصدقون زيد بن حارثة ، ويقولون : ماجاء زيد إلا فَلاًّ ، حتى غاظ المسلمين ذلك ، وخافوا ، قال : وكان قدومُ زيد حين سوّوا على رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله التّراب بالبقيع ، فقال رجل من المنافقين لأسامة بن زيد : قتل صاحبكم ومَنْ معه ، وقال رجل من المنافقين لأبى أمامة بن عبدالمنذر : قد تفرّق أصحابكم تفرّقاً لا يجتمعون معه أبداً ، وقد قتل عُتْبة أصحابكم ، وقتل محمّد ، وهذه ناقته بعد فيها ، وهذا زيد بن حارثة لا يدرى ما يقول من الرّعب ، وقد جاء فَلاًّ ، فقال أبو أمامة : كذّب الله قولك ، وقالت يهود : ماجاء زيد إلا فَلاًّ ، قال أسامة بن زيد : جئت حتّى خلوتُ بأبى ، فقلت : يا أبتِ ، أحقّ ما يقول ؟ فقال إى والله حقاً يا بنىّ ، فقوّيت نفسى ، فرجعت إلى ذلك المنافق ، فقلت : أنت ترجف برسول الله وبالمسلمين ! لنقدمنّك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذا قدم ، فليضربنّ عنقك ، فقال : يا أبا محمد ، إنّما هو شىء سمعت الناس يقولونه

قال الواقدى : فقدم بالأسرى وعليهم سُقران وهم تسعة وأربعون رجلاً الذين أحصوا ، وهم سبعون فى الأصل ، مجمع عليه لاشك فيه ، إلّا أنهم لم يحص سائرهم ، وبقى النّاس رسول الله صلى الله عليه وآله بالرّوحاء يهنئونه بفتح الله عليه ، فلقيه وجوه الخزرج ، فقال سلمة بن سلامة بن وَقْش : ما الذى تهنئونه ؟ فوالله ما قتلنا إلّا عجائز صُلْعاً ! فتبسم النبى صلى الله عليه وآله فقال : يابن أخى ، أولئك الملأ ، لو رأيتَهم لهنّتَهم ، ولو أمروك لأطعتَهم ، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرتها ! وبئس القوم كانوا على ذلك لنبيّهم ! فقال سلمة : أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، إنّك يارسولَ الله لم تزل عنّى معرضاً منذ كنّا بالرّوحاء

فى بدأتنا ، فقال صلى الله عليه وآله : أمّا ما قلت للأعرابى : وقعتَ على ناقتك فهى حبلى منك ، ففحشت وقلت مالا علم لك به ، وأما ما قلت فى القوم ؛ فإنّك عمدت إلى نعمةٍ من نعم الله تزهدها ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله معذرته ، وكان من عِلْية أصحابه .

قال الواقدىّ : فروى الزهرى ، قال : لقى أبو هند البياضى مولى فروة بن عمرو رسولَ الله صلى الله عليه وآله ومعه حَمِيت مملوء حَيْساً (١) أهداه له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنما أبو هند رجلٌ من الأنصار فأنكحوه وأنكحوا إليه » .

قال الواقدىّ : ولقيه أسيد بن حضير ، فقال : يا رسولَ الله ، الحمد لله الذى ظفّرك وأقرّ عينك ، والله يا رسولَ الله ، ما كان تخلّفى عن بدر وأنا أظنّ بك أنك تلقى عدوًّا ، ولكنى ظننت أنها العير ، ولو ظننت أنه عدوّ لما تخلّفت ، فقال رسولُ الله : صدقت .

قال : ولقيه عبد الله ابن قيس بتربان ، فقال : يا رسول الله الحمد لله على سلامتك وظفرك ، كنتُ يا رسولَ الله ليالىَ خرجتَ موزود أى محموما ـ فلم تفارقنى حتى كان بالأمس ، فأقبلت إليك ، فقال : آجرك الله .

قال الواقدىّ : وكان سهيل بن عمرو لما كان بتبوكة بين السقيا وملل ، كان مع مالك ابن الدّخشم الّذى أسره ، فقال له : حلّ سبيلى للغائط ، فقام معه ، فقال سهيل : إنّى أحتشم فاستأخِرْ عنّى ، فاستأخر عنه ، فمضى سهيل على وجهه ، انتزع يدَه من القران ، ومضى ، فلما أبطأ سهيل على مالك بن الدّخشم ، أقبل فصاح فى النّاس ، فخرجوا فى طلبه ، وخرج النبىّ صلى الله عليه وآله فى طَلَبه بنفسه ، وقال : مَنْ وجده فليقتله ، فوجَده رسول الله

---

(١) الحميت : الزق يجعل فيه السمن والعسل والزيت . والحيس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن وبذلك شديداً حتى يمتزج ، ثم يندر نواه ، وقد يجعل فيه سويق .

صلى الله عليه وآله بنفسه أخفى نفسه بين شحرات ، فأمر به فربطتْ يداه إلى عنقه ، ثم قرنه إلى راحلته ، فلم يركب سهيل خطوة حتى قدم المدينة[1] .

قال الواقدىّ : فحدّثنى إسحاق بن حازم بن عبد الله بن مقسم ، عن جابر بن عبدالله الأنصارىّ ، قال : لقىّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله أسامة بن زيد ، ورسول الله صلى الله عليه وآله على ناقته القصوى ، فأجلسه بين يديه وسهيل بن عمرو محبوس ، ويداه إلى عنقه ، فلمّا نظر إلى سهيل قالوا : يارسول الله، أبو يزيد ! قال : نعم ، هذا الذى كان يطعم الحبز بمكة .

* * *

وقال البلاذرىّ : قال أسامة ـ وهو يومئذ غلام ـ يارسول الله ، هذا الذى كان يطعم الناس بمكة السديد ـ يعنى الثريد[2] ـ

قلت : هذه لغة مقبوحة ، لأنّ الأثلغ يبدل السين ثاء ، وهذا أبدل الثاء سينا ، ومن الناس من يرويها : « هذا الذى كان يطعم الناس بمكة الشريد » بالشين المعجمة

قال البلاذرىّ : وحدّثنى مُصعب بن عبد الله الزُّبيرىّ ، عن أشياخه أنّ أسامة رأى سُهيلا يومئذ ، فقال : يارسولَ الله هذا الذى كان يطعم الثريد بمكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « هذا أبو يزيد الذى يطعم الطعام ، ولكنه سعى فى إطفاء نور الله ، فأمكن الله منه » .

قال : وفيه يقول أميّة بن أبى الصّلت الثقفى :

يابا يزيد رأيت سيبك واسعاً وسماء جودك تستهلّ فتمطرُ

---

(١) أنساب الأشراف ١ : ٣٠٣ (طبعة المعارف) .

(٢) أنساب الأشراف ١ : ٣٠٤

قال : وفيه يقول مالك بن الدخشم[1] ، وهو الذى أسره يوم بدر :

أسرتُ سهيلاً فلا أبتغى ... به عيرَه من جميع الأمَمْ

وخندف تعلم أنّ الفتى ... سُهيلًا فتاها إذا تُطلِمْ

ضربت بذى الشفر حتى انثنى ... وأكرهت نفسى على ذى العلمْ

أى على ذى العلْم بسكون اللام ، ولكنه حرّكه للضرورة .

وكان سهيل أعلم مشقوق الشفة العليا ، فكانت أبياته بادية ، فلذلك قالوا : ذو الأبيات .

* * *

قال الواقدىّ : ولمّا قدم بالأسرى كانت سوْده بنت زمْعة زوْج النبى صلى الله عليه وآله عند آل عَفْراء فى مناحتهم على عوف ومعوّذ ، وذلك قبل أن يضرب الحجاب ، قالت سودة : وأنا فقيل لى : هؤلاء الأسرى قد أتى بهم ، فخرجت إلى بيتى ورسول الله صلى الله عليه وآله فيه ، وإذا أبو يزيد مجموعة يداه إلى عنقه فى ناحية البيت ، فوالله ما ملكت نفسى حين رأيته مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت - أبا يزيد ، أعطيتم بأيديكم ! ألا متم كراما ، فوالله ما راعنى إلا قول رسول الله صلى الله عليه وآله من البيت : « ياسودة ، أعلى الله وعلى رسوله » ، فقلت : يا نبىّ الله ، والذى بعثك بالحقّ إنى ما ملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أنْ قلت ما قلت .

* * *

قال الواقدىّ : وحدّثنى خالد بن إلياس ، قال : حدّثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى حبيب ، قال : دخل يومئذ خالد بن هشام بن المغيرة وأميّة بن أبى حُذيفة منزلَ أم سلَمة وأم سلمة فى مناحة آل عَفْراء ، فقيل لها : أتى بالأسرى ، فخرجت فدخلت عليهم فلم تكلّمهم حتى

---

(١) البلاذرى : « مالك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن مرضخة بن عمر وهو قوقل بن عوف ابن المخرج.

رجعت ، فتجد رسولَ الله صلى الله عليه وآله فى بيت عائشة ، فقالت : يارسول الله ، إن بنى عمّى طلبوا أن يدخل بهم علىّ فأصيفهم ، وأدهن رءوسهم وألمّ من شعثهم ، ولم أحبّ أن أفعل شيئاً من ذلك حتى استأمرك ، فقال صلى الله عليه وآله : « لست أكره شيئاً من ذلك ، فافعلى مِنْ هـذا مابدا لك » قال الواقدىّ : وحدّثنى محمد بن عبد الله ، عن الزهرىّ ، قال . قال أبو العاص بن الربيع : كنت مستأسِراً مع رَهْط من الأنصار حراهم الله حسيراً ، كنّا إذا تعشّينا أو تغدّينا آثرونى بالخبز ، وأكلوا التمر ، والخبز عندهم قليل والتمر رادهم ، حتى إنّ الرجُلَ لتقع فى يده الكسرة فيدفعها إلىّ ، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد قال . وكانوا يحمولنا ويمشون .

وقال محمد بن إسحاق فى كتابه : كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس خَتَن رسول الله صلى الله عليه وآله زوج ابنته زينب ، وكان أبو العاص من رجال مكّة المعدودين مالاً وأمانة وتجارة ، وكان اسم هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد ، وكان الربيع بن عبد العُزّى بعلَ هذه ، فكانت خديجة خالته ، فسألتْ خديجة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يزوّجه زينبَ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يخالف خديجة ، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحىُ ، فزوّجه إيّاها ، فكان أبو العاص من خديجة بمنزلة ولدها ، فلمّا أكرم الله رسوله بنبوّته آمنت به خديجة وبناته كلّهنّ وصدّقنه وشهدن أن ماجاء به حقّ ، ودنّ بدينه ، وثبت أبو العاص على شركه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد زوّج عُتبة بن أبى لهب إحدى ابنتيه رقيّة أو أمّ كلثوم ، وذلك من قبل أن ينزل عليه ، فلمّا أنزل عليه الوحى ونادى قومه بأمر الله عدوه ، فقال بعضُهم لبعض : إنكم قد فرّغتم محمدا من همّه ، أحدثتم عنه بناته وأحرجتموهنّ من عياله ، فردّوا عليه بناته ، فاشغلوه بهنّ ، فمشوا إلى أبى العاص بن الربيع ، فقالوا : فارقْ صاحبتَك بنت محمد ، ونحن نزوّجك أىّ

امرأة شئت من قريش، فقال: لاها الله إذن لا أفارق صاحبتي، وما أحبّ أنّ لي بها امرأةً من قريش! فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله إذا ذكره يُثني عليه خيرا في صهره، ثم مشوا إلى العاص عُثمة بن أبي لهب، فقالوا له: طلّق بنت محمّد، ونحن نسكحك أيّ امرأة شئت من قريش، فقال: إن أنتم زوّجتموني ابنة أبان بن سعيد ابن العاص، أو ابنة سعيد بن العاص فارقتُها، فزوّجوه ابنة سعيد بن العاص، ففارقها ولم يكن دخل بها، فأخرجها الله من يده كرامةً لها وهواناً له ثم خلف عليها عثمان ابن عفان بعده، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله معوّلا على أمره بمكّة لا يُحلّ ولا يُحرم، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب وأبي العاص، إلاّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان لا يقدر وهو بمكّة أن يفرّق بينهما، وأقامت معه على إسلامها وهو على شركه، حتى حبر رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى مدينة، وبقيت زينب بمكّة مع أبي العاص، فلمّا سارت قريش إلى بدر سار أبو العاص معهم، فأصيب في الأسرى يوم بدر، فأتى به النبيّ صلى الله عليه وآله، فكان عنده مع الأسارى، فلمّا بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال، وكان فيما بعثت به قلادة كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص ليلة زفّتها عليه، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله رقّ لها رقّة شديدة، وقال للمسلمين: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها ما بعثت به من الفداء فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسولَ الله؛ فعديك بأنفسنا وأموالنا فردُّوا عليها ما بعثت به، وأطلقوا لها أبا العاص بغير فداء[1].

* * *

قلت: قرأت على النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد البصري العلوي رحمه الله هذا الخبر، فقال: أترى أبا بكر وعمر لم يشهدا هذا المشهد! أما كان يقتضي التكريم والإحسان

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٢٩٦، ٢٩٧.

أن يطيّب قلب فاطمة بفدك ، ويستوهب لها من المسلمين ، أتقصر منزلتُها عند رسول الله صلى الله عليه وآله عن منزلة زينب أختها وهي سيّدة نساء العالمين ! هذا إذا لم يثبُت لها حقّ ، لا بالنِّحلة ولا بالإرث ، فقلت له : فدك بموجب الخبر الذي رواه أبو بكر قد صار حقًّا من حقوق المسلمين ، فلم يَجُز له أن يأخذه منهم ، فقال : وفداء أبي العاص بن الربيع قد صار حقًّا من حقوق المسلمين ، وقد أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله منهم ، فقلت : رسول الله صلى الله عليه وآله صاحبُ الشريعة ، والحكم حكمُه ، وليس أبو بكر كذلك ، فقال : ما قلتُ هلاّ أخذه أبو بكر من المسلمين قهرا فدفعه إلى فاطمة ، وإنما قلت : هلاّ استنزل المسلمين عنه واستوهبه منهم لها كما استوهب رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين فداء أبي العاص ؟ أتراه لو قال : هذه بنت نبيّكم قد حضرت تطلب هذه النِّحلات ، أفتطيبون عنها نفسا ، أكانوا منعوها ذلك ؟ فقلت له : قد قال قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد نحو هذا ، قال : [illegible] في شرع التكرّم ، وإن كان ما أتاه حسنًا في الدّين .

* * *

قال محمد بن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أطلق سبيل أبي العاص أخذ عليه فيما يرى أو شرط عليه في إطلاقه ، أو أنّ أبا العاص وعد رسول الله صلى الله عليه وآله ابتداء بأن يحمل زينب إليه إلى المدينة ، ولم يظهر ذلك من أبي العاص ؛ ولا من رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أنّه لما خُلّيَ سبيله ، وخرج إلى مكّة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعده زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار ، فقال لهما : كونا بمكان كذا [1] حتى تمرّ بكما زينب فتصحباها حتى تأتياني بها ، فخرجا نحو مكّة ، وذلك بعد بدر بشهر

---

(١) سيرة ابن هشام : « كونا ببطن يأجج » ، ويأجج ، اسم لمكانين : أحدهما على ثمانية أميال من مكة ، وثانيهما أبعد منه ، وفيه بني مسجد الشجرة ، وبينه وبين مسجد التنعيم ميلان .

[أو شيعه][1] فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها ، فأخذت تتجهز[2] .

قال محمد بن إسحاق : فحدثت عن زينب أنها قالت . بينا أنا أتجهز للحوق بأبي ، لقيني هند بنت عتبة ، فقالت : ألم يبلغني يابنت محمد أنك تريدين اللحوق بأبيك ، فقلت : ما أردت ذلك ، فقالت أي بنت عم لا تفعلي إن كانت لك حاجة في متاع أو فيما يرفق بك في سفرك أو مال تبلغين به إلى أبيك فإن عندي حاجتك ، فلا تصطَحِبي[3] معي ، فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال ، قالت : وايمُ الله ، إني لأظنها حينئذ صادقة ، ما أظنها قالت حينئذ إلا لتفعل ، ولكن حقدها فأسكرت أن أكون أريد ذلك . قالت : وتجهزت حتى فرغت من جهازي ، فحملني أحو بعلي وهو كنانة بن الربيع .

قال محمد بن إسحاق : قدم لها كنانة بن الربيع بعيرا فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، وخرج بها نهارا تقود بعيرها ، وهي في هودج لها ، وتحدث بذلك الرجال من قريش والنساء ، وتلاومت في ذلك ، وأشفقت أن تخرج ابنة محمد من بينهم على تلك الحال ، فخرجوا في طلبها سراعا حتى أدركوها بذي طوى ؛ فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، ونافع بن عبد القيس الفهري ، فروعها هبار بالرمح وهي في الهودج ، وكانت حاملا ، فلما رجعت طرحت ما في بطنها ، وقد كانت من حوفها رأت دما وهي في الهودج ، فذلك أباح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة دم هبار ابن الأسود[4] .

* * *

(١) من سيرة ابن هشام . وشيعه أي قريب منه

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٧ ، ٢٩٨

(٣) تصطحبي ، أي تستحي ، ومنه قول الطرماح :

إذا ذُكرتْ مسماةُ والدِهِ اصْطَحَى ولا يَصْطَحِي من شَتْمِ أهْلِ الفَضَائِلِ

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٨ ، ٢٩٩

قلت : وهذا الخبر أيضا قرأته على النقيب أبي جعفر رحمه الله، فقال : إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله أباح دم هبار بن الأسود لأنه روّع زينب فألقتْ ذا بطنها ، فظهر الحال أنه لو كان حيًّا لأباح دم مَنْ رَوّع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها . فقلت : أروى عنك ما يقوله قومٌ أنّ فاطمة روّعت فألقت المحسن[1]، فقال : لا تروه عنّي ولا تَرْوِ عنّي بطلانه ، فإنّي متوقف في هذا الموضع لتعارض الأخبار عندي فيه .

قال الواقديّ : فبرك حُمُوها كنانة بن الربيع ، وثلّ[2] كنانته بين يديه ، ثم أخذ منها سهما فوضعه في كبد قوسه ، وقال : أحلف بالله لا يدنُو اليوم منها رجلٌ إلّا وضعتُ فيه سهما ، فتكرّ[3] الناس عنه .

قال : وجاء أبو سفيان بن حرب في حلقٍ من قُرَيش ، فقال : أيّها الرّجل ، اكفُفْ عنّا نَبْلَك حتى نكلّمك ، فكفّ . فأقبل أبو سفيان حتّى وقف عليه ، فقال : إنّك لم تحسن ولم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رءوس الناس علانية نهارا ، وقد عرفت مصيبتنا وسكتنا ، وما دخل علينا من محمد أبيها ، فيظنّ الناس إذا أنت خرجت بابنته إليه نهارا أنّ ذلك عن ذلٍّ أصابنا ، وأنّ ذلك منّا وَهَن ، ولعمري مالنا في حبسها عن أبيها من حاجة ، وما فيها من ثأر ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات ، وتحدّث الناس بردّها سِرًّا سَلَلاً خفيًّا ، فألحقها بأبيها . فردها كنانة بن الربيع إلى مكة ، فأقامت بها ليالي حتى إذا هدأ الصوت عنها حملها على بعيرها ، وخرج بها ليلا حتى سلّمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها على رسول الله صلى الله عليه وآله[4] .

* * *

قال محمد بن إسحاق : فروى سليمان بن يسار ، عن أبي إسحاق الدّوسي ، عن أبي

---

(١) ا : « عسا » (٢) ثل كنانته : أخرج ما فيها .

(٣) تكر عنه ، أي ترجع ، وفي ابن هشام : « فتكرر الناس عنه »

(٤) انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٩

هريرة ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سريّة أنا فيها إلى عير لقريش ، فيها متاع لهم وناس منهم ، فقال : إن ظفرتم بهبّار بن الأسود ونافع بن عبد قيس ، فحرّقوهما بالنار، حتى إذا كان العدُ بعث فقال لنا . « إني كنت قد أمرتكم بتحريق الرّجلين إن أخذتموهما ، ثم رأيت أنّه لا ينبغي لأحد أن يعذّب بالنّار إلا الله تعالى ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما ولا تحرّقوهما »[1] .

قلت : لقائل من المحبرة أنْ يقول : أليس هذا نسخ الشيء قبل تقضّي[2] وقت فعله ، وأهل العدل لا يجيزون ذلك ! وهذا السؤال مشكل ، ولا جواب عنه إلّا بدفع الخبر إمّا بتضعيف أحد من رواته ، أو إبطال الاحتجاج به لكونه خبر واحد ، أو بوجه آخر؛ وهو أن نجيز للنبي الاجتهاد في الأحكام الشرعية كما يذهب إليه كثير من شيوخنا ، وهو مذهب القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ، ومثل هذا الخبر حديث براءة وإنفاذها مع أبي بكر ، وبعث علي عليه السلام، فأخذها منه في الطريق ، وقرأها على أهل مكّة بعد أن كان أبو بكر هو المأمور بقراءتها عليهم .

فأمّا البلاذريّ فإنه روى أن هبّار بن الأسود كان ممّن عرّض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حين حُملتْ من مكّة إلى المدينة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأمر سراياه إن ظفروا به أن يحرّقوه بالنار ، ثم قال[3] : لا يعذّب بالنّار إلا ربّ النار ، وأمرهم إن ظفروا به أن يقطعوا يديه ورجليه ويقتلوه؛ فلم يظفروا به ، حتى إذا كان يوم الفتح هرب هبّار ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة ويقال : أتاه بالجعرانة حين فرغ من أمر حُنين ، فمثَلَ بين يديه ، وهو يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقبل إسلامه وأمر ألا يعرّض له ، وحرمت سَلْمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٢

(٢) ٤ « مضيّ »

(٣) ساقطة من ه

فقالت :لا أنعم الله بك عينا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « مهلاً ، فقد محا الإسلام ماقبله » !

قال البلاذري : فقال ابن عباس العوام : لقد رأيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله بعد غلظته على عمّار بن الأسود يطأطىء رأسه استحياء منه ، وعمّار يعتذر إليه ، وهو يعتذر إلى عمّار أيضا[1] .

* * *

قال محمد بن إسحاق : فأقام أبو العاص بمكّة على شِرْكه ، وأقامت زينب عند أبيها صلى الله عليه وآله بالمدينة ، قد فرّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبل الفتح ، خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام بمال له ، وأموال لقريش أبضعوا[2] معه ، وكان رجلا مأمونا فلمّا فرغ من تجارته وأقبل قافلا لقيته سريّة لرسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فأصابوا ما معه وأعجزهم هو هاربا ، فحرجت السريّة بما أصابت من ماله ؛ حتى قدمت به على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخرج أبو العاص تحت الليل ، حتى دخل على زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله منزلَها ، فاستجار بها فأجارته ، وإنّما جاء في طلب ماله الذي أصابته تلك السريّة ، فلمّا كبّر رسول الله صلى الله عليه وآله في صلاة الصبح ، وكبّر الناس معه ، صرخت زينب من صُفّة النساء : أيّها الناس ، إنّي قد أجرت أبا العاص بن الربيع ، فصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس الصبح ، فلمّا سلم من الصلاة ، أقبل عليهم فقال : « أيّها الناس ، هل سمعتم ما سمعتُ ؟ » ، قالوا : نعم ، قال : « أمَا والذي نفس محمد بيده ماعلمت بشيء مما كان حتى سمعتم ، إنه يجير على الناس أدناهم » . ثم انصرف ودخل على ابنته زينب ، فقال : « أيْ بنيّة ، أكرمي مثواه ، وأحسني قِراه ، ولا يصلنّ إليك ، فإنك

---

(١) أنساب الأشراف ١ . ٣٦٨ مع اختلاف في الرواية

(٢) ا : « أبضعوها معه » .

لا تحلّين له » . ثم بعث إلى تلك السرية الذين كانوا أصابوا مال أبي العاص ، فقال لهم : إنّ هذا الرجل منّا بحيث علمتم ، وقد أصبتم له مالاً ، فإن تحسنوا وتردّوا عليه الذي له ، فإنّا نحبّ ذلك ، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاءه عليكم ، وأنتم أحقّ به . فقالوا : يارسولَ الله ، بل نردّه عليه ، فردّوا عليه ماله ومتاعه ، حتى إنّ الرجل كان يأتي بالحبل[1] ، ويأتي الآخر بالشنّة[2] ، ويأتي الآخر بالإداوة[3] ، والآخر بالشّطاط[4] ، حتى ردّوا مالَه ومتاعه بأسره من عند آخره ولم يفقد منه شيأ . ثم احتمل إلى مكّة ، فما قدمها أدّى إلى كلّ ذي مال من قريش مالَه ممّن كان أبضع معه شيء ، حتى إذا فرغ من ذلك ، قال لهم : يامعشرَ قريش ، هل بقيَ لأحدٍ منكم عندي مال ، لم يأخذه ؟ قالوا : لا فجزاك الله خيرا ، لقد وجدناك وفيّا كريما ، قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، والله مامنعني من الإسلام إلّا تخوّف أن تظنّوا أني أردتُ أن آكل أموالكم ، وأذهب بها فإذ سلّمها الله لكم ، وأدّاها إليكم ؛ فإني أشهدكم أنّي قد أسلمتُ واتّبعت دين محمد ، ثم خرج مهاجرا حتى قدم على رسول الله المدينة[5] .

قال محمد بن إسحاق : فحدّثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله ردّ زينب بعد ستّ سنين على أبي العاص بالنكاح الأول لم يحدث شيأ[6] .

* * *

قال الواقدي : فلمّا فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وآله من أمر الأسارى ، وفرق الله عزّ وجلّ ببدر بين الكفر والإيمان ، أذلّ رقاب المشركين والمنافقين واليهود ، ولم يبق بالمدينة يهوديّ ولا منافق إلّا خضعت عنقه .

---

(١) ابن هشام : « بالحلو »

(٢) الشنة : السقاء البالي .

(٣) الإداوة : المطهرة التي يتوضأ بها .

(٤) الشطاط : عود يشدّ به فم القرارة

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٣ ، ٣٠٤

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٤ .

وقال قوم من المنافقين : ليتنا خرجنا معه حتى نصيب غنيمة . وقالت يهود فيما بينها : هو الذى نجد نعته فى كتبنا ، والله لا تُرْفع له راية بعد اليوم إلّا ظهرت .

وقال كعب بن الأشرف : بطن الأرض اليوم خير من ظهرها ، هؤلاء أشراف الناس وساداتهم ، وملوك العرب وأهل الحرَم والأمْن قد أصيبوا . وخرج إلى مكّة، فنزل على أبى وَدَاعة بن صُبَيرة ، وجعله يرسل هجاء المسلمين ، ورثى قتلى بدر من المشركين ، فقال :

طَحَنَتْ رَحَا بدرٍ لِمُهْلَكِ أهلِهِ ... ولِمِثْلِ بدرٍ يُستهلّ ويُدْمَعُ (١)

قُتِلَتْ سراةُ النّاس حول حياضِهِ ... لا تبعَدُوا إنّ الملوكَ تُصَرَّعُ (٢)

ويقولُ أقوامٌ أذِلّ بعزّهم (٣) : ... إن ابن أشرفَ ظلّ كعبا يجزَعُ

صدقُوا فليتَ الأرض ساعةَ قتّلوا ... ظلّتْ تسيحُ بأهلها وتصدّعُ (٤)

نُبِّئتُ أنّ الحارث بن هشامِهِمْ ... فى النّاس يبنى الصالحات ويجمَعُ (٥)

ليزورَ يثرب بالجموع وإنّما ... يسعى على الحسبِ القديم الأروَعُ (٦)

قال الواقدىّ : أملاها علىّ عبدُ الله بن جعفر ومحمد بن صالح وابن أبى الزّناد . فلمّا أرسل كعب هذه الأبيات أخذها الناس بمكّة عنه ، وأظهروا المراثى — وقد كانوا حرّموها كيلا يشمت المسلمون بهم — وجعل الصبيان والجوارى ينشدونها بمكة، فناحت بها قريش

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٤٣١ ، ٤٣٢ ، وأنساب الأشراف ١ : ٢٨٤ ، والبيتان الأخيران فى نسب قريش ١ : ٣ .

(٢) سراة الناس : خيارهم .

(٣) البلاذرىّ : « غوىّ أمرهم » ، ابن هشام : « أسر بسخطهم » . الواقدى : « أذل بسخطهم » .

(٤) بعده فى ابن هشام :

صارَ الذى أثرَ الحديث بطعنةٍ ... أو عاشَ أعمى مرعَشاً لا يسمعُ

نُبِّئتُ أن بنى المغيرةَ كلّهمْ ... خَشَعُوا لقتلِ أبى الحكيمِ وجُدِّعوا

وابنا رَبيعةَ عنده ومُنَبِّهٌ ... ما نالَ مثلَ الهالكينَ وتُبَّعُ

(٥) نسب قريش : « يبنى المكرمات » .

(٦) نسب قريش : « ليزور أثرب » ، وأثرب لغة فى يثرب .

على قتلاها شهراً ، ولم تبقَ دارٌ بمكة إلّا فيها النوح – وجزّ النساء شعورهنّ ، وكان يؤتى براحلة الرّجل منهم أو بفرسه ، فتوقَف بين أظهرهم ، فينوحون حولها ، وخرجن إلى السّكك ، وضربْنَ الستور في الأزقة ، [وقطعن][1] فخرجن إليها بنحْن ، وصدَق أهلُ مكة رؤيا عاتكة وجهيم بن الصّلْت[2] .

قال الواقديّ : وكان الّذين قدموا من قريش في فداء الأسرَى أربعة عشر رجلا ، وقيل خمسة عشر رجلا ، وكان أوّل مَنْ قدِم المطّلب بن أبي وداعة ، ثم قدم الباقون بعده بثلاث ليال .

قال : فحدّثني إسحاق بن يحيى ، قال : سألت نافع بن جُبَير . كيف كان الفداء ؟ قال : أرفعهم أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف ، إلّا قوما لا مال لهم منّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقال الواقديّ : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في أبي وداعة : إنّ له بمكّة ابنا كيّسا له مال ، وهو مُغْلٍ فداءه ، فلمّا قدم افتداه بأربعة آلاف ، وكان أوّل أسير افتدى ؛ وذلك أنّ قريشا قالت لابن المطّلب بن أبي وداعة – ورأته يتجهّز ؛ يخرج إلى أبيه : لا تعجَل ؛ فإنّا نخاف أن تفسد علينا في أسارانا ، ويرى محمّد تهالكنا فيُغلي علينا الفدية ، فإن كنت تجد فإنّ كلّ قومك لا يجدون من السّعة ما تجد . فقال : لا أخرج حتى تخرجوا ، فخادعهم حتى إذا غفلوا خرج من اللّيل على راحلته ، فسار أربعة ليال إلى المدينة ، فافتدى أباه بأربعة آلاف ، فلامه قريش في ذلك ، فقال : ما كنت لأترك أبي أسيرا في أيدي القوم وأنتم مضجعون ، فقال أبو سفيان بن حرب : إنّ هذا غلام حدَث يعجب بنفسه وبرأيه ، وهو مفسد عليكم ، إنّي والله غير مفتدٍ عمرو بن أبي سفيان ، ولو مكث سنة

---

(١) من الواقدي

(٢) مغازي الواقدي ١١٥ ، ١١٦ .

أو يرسله محمد : والله ما أنا بأعوركم، ولكنى أكره أن أدخل عينكم مايشق عليكم ،ولكن يكون عمرو كأسوتكم .

* * *

قال الواقدىّ : فأمّا أسماء القوم الذين قدموا فى الأسرى ، فإنه قدم من بنى عبد شمس الوليد بن عُتبة بن أبى مُعَيط ، وعمرو بن الربيع أخو أبى العاص بن الربيع . ومن بنى نوفل ابن عبد مناف جُبَير بن مطعم : ومن بنى عبد الدار بن قُصىّ طلحة بن أبى طلحة . ومن بنى أسد ابن عبد العُزّى بن قصىّ عثمان بن أبى حُبيش . ومن بنى مخزوم عبد الله بن أبى ربيعة وخالد بن الوليد وهشام بن الوليد بن المغيرة وفروة بن السائب وعكرمة بن أبى جهل . ومن بنى جُمَح أبىّ بن خلف وعُمير بن وهب . ومن بنى سهم المطّلب بن أبى وداعة وعمرو بن قيس. ومن بنى مالك بن حِسْل مكرز بن حفص بن الأحنف ، كلّ هؤلاء قدموا المدينة فى الفداء أهلهم وعشائرهم . وكان جبير بن مطعم يقول : دخل الإسلامُ فى قلبى حين قدمت المدينة فى الفداء ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ فى صلاة المغرب : ﴿ والطُّورِ * وَكِتابٍ مَسْطُورٍ ﴾، فاستمعت قراءته ، فدخل الإسلام فى قلبى حين سمعت ذلك اليوم[1] .

* * *

القول فى تفصيل أسماء أسارى بدر ومن أسرهم

قال الواقدىّ : أسر من بنى هاشم العبّاس بن عبد المطلب ، أسره أبو اليسَر كعب ابن عمرو ، وعَقيل بن أبى طالب أسره عبيد[2] بن أوس الظَّفَرىّ ، ونوفل بن الحارث

---

(١) انظر مغازى الواقدى ١٣٣ ـ ١٤١

(٢) « عبيدة » ، والصواب ما أثبته من ا والواقدى وابن هشام .

ابن عبد المطّلب أسَره جَبّار بن صخر ؛ وأسر حليف لبنى هاشم من بنى فهر ، اسمه عُتْبة فهؤلاء أربعة .

ومن بنى المطّلب بن عبد مناف السّائب بن عبيد ، وعبيد بن عمرو[1] بن علقمة، رَجُلان أسرهما سلمة بن أسلم بن حريش الأشهلىّ .

قال الواقدىّ . حدثنى بذلك ابن أبى حبيبة ، قال : ولم يقدم لهما أحد ، وكانا لا مال لهما ، فمنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عنهما بغير فدْية .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف عُقْبة بن أبى مُعَيط للمقتول صَبْراً[2]، على يد عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح بأمر رسول الله، أسره عبد الله بن أبى سلمة العجلانىّ، والحارث بن أبى وجْزة ابن أبى عمرو بن أمية ، أسره سعد بن أبى وقّاص ، فقدم فى فدائه الوليد بن عقبة بن أبى مُعيط فافتداه بأربعة آلاف .

قال الواقدىّ : وقد كان الحارث هذا لمّا أمر النبى صلى الله عليه وآله بردّ الأسارى ، ثم أقرع بين أصحابه عليهم ، وقع فى سهم سعد بن وقّاص الّذى كان أسره أوّل مرة — وعمرو ابن أبى سفيان ، أسره علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وصار بالقُرْعة فى سهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأطلقه بغير فدْية ، أطلقه سعد بن النعمان بن أكال من بنى معاوية ، خرج معتمرا ، فحبس بمكّة ، فلم يطلقه المشركون حتى أطلق رسول صلى الله عليه وآله عمرو بن أبى سفيان .

وروى محمد بن إسحاق فى كتاب "المغازى" : أنّ عمرو بن أبى سفيان أسره علىّ عليه السلام يوم بدْر ، وكانت أمّه ابنة عُقْبة بن أبى مُعَيط ، فمكث فى يد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقيل لأبى سفيان: ألا تفتدى ابنك عمرا ؟ قال : أيجمع علىّ دمى ومالى ! قتلوا حنظلة وأفتدى عمراً ! دعوه فى أيديهم فليمسكوه مابدا لهم . فبينما هو محبوس بالمدينة ، خرج

---

(١) كذا فى الأصول والواقدى ، وأسماء الأشراف ، وفى ابن هشام : « سهيل بن عمرو » .
(٢) الواقدى : « قتل صبراً » .

سعد بن النعمان بن أكال أخو بنى عمرو بن عوف معتمرا ، ومعه امرأة[1] له ، وكان شيخا كبيرا لا يحشى ماصنع[2] به أبو سفيان، وقد عهد قريشا ألا يعرض لحاج ولا معتمر[3]، فعدا عليه أبو سفيان ، فحبسه بمكة بابنه عمرو بن أبى سفيان ، وأرسل إلى قوم بالمدينة هذا الشعر :

أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه ... تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فإن بنى عمرو لئام أدلة ... لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا

فمشى بنو عمرو بن عوف حين بلغهم الخبر إلى رسول صلى الله عليه وآله ، فأخبروه بذلك، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان ليفكوا به صاحبهم ، فأعطاهم إياه، فبعثوا به إلى أبى سفيان فخلى سبيل سعد . وقال حسان بن ثابت يجيب أبا سفيان :

ولو كان سعد يوم مكة مطعما ... لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا
بعضب حسام أو بصفراء نبعة ... تحن إذا ما أبصت تحمز النبلا[4]

وأبو العاص بن الربيع ، أسره خراش بن الصمة ؛ فقدم فى فدائه عمرو بن أبى الربيع أخوه ، وحليف لهم ، يقال له أبو ربيشة افتداه عمرو بن الربيع أيضا . وعمرو بن الأزرق افتكه عمرو بن الربيع أيضا ،وكان قد صار فى سهم تميم مولى خراش بن الصمة ، وعقبة بن الحارث الحضرمى أسره عمارة بن حزم ، فصار فى قرعة لأبى بن كعب، افتداه عمرو بن أبى سفيان ابن أمية ، وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس، أسره عمار بن ياسر قدم فى فدائه ابن عمه، فهؤلاء ثمانية .

---

(١) ابن هشام : « مرية » . (٢) ابن هشام : « ما صنع به » .
(٣) ابن هشام : « لا يعرضون لأحد جاء حاجا أو معتمرا إلا بخير »
(٤) العضب : السيف القاطع ، وحكمك الحسام . وصفراء أراد بها قوساً . والنبعة : شجرة تتخذ بالحال ؛ تصنع منها القسى . وتحن : تصوت. وأبصت : مدت وترها . والأبلس : أن يحرك وتر القوس وعد . والخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف عديّ بن الخيار ، أسره خراش بن الصِّمّة ، وعثمان ابن عبد شمس ، ابن أخى عتبة بن غَزْوان ، حليفهم[1] ، أسره حارثة بن النّعمان ، وأبو ثور ، أسره أبو مَرْثد الغَنَوىّ ، فهؤلاء ثلاثة افتداهم جُبير بن مطعم .

ومن بنى عبد الدار بن قصىّ أبو عزيز بن عُمير ، أسره أبو اليَسَر ، ثم صار بالقرعة لمحرز ابن نَضْلة — قال الواقدىّ : أبو عزيز هذا هو أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمّه ، وقال مصعب لمحرز بن نضلة : اشدد يديك به ؛ فإنّ له أمّا بمكة كثيرة المال ، فقال له أبو عزيز : هذه وصاتك بى يا أخى ! فقال مصعب : إنّه أخى دونك ، فبعثتْ فيه أمّه أربعة آلاف ، وذلك بعدأن سألتْ : ما أعلى ما تُفادِى به قريش ؟ فقيل لها : أربعة آلاف — والأسود بن عامر ابن الحارث بن السبّاق ، أسره حمزة بن عبد المطلب ، فهذان اثنان قدم فى فدائهما طَلْحة ابن أبى طلحة .

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصىّ : أسامة بن أبى حُبَيش بن المطلب بن أسد ابن عبد العزّى ، أسره عبد الرحمن بن عوف . وعثمان بن الحويرث بن عثمان بن أسد بن عبد العزّى ، أسره حاطب بن أبى بَلْتعة ، وسلم بن شَمّاخ أسره سعد بن أبى وقّاص ؛ فهؤلاء ثلاثة قدِم فى فدائهم عثمان بن أبى حبيش ، أربعة آلاف لكلّ رجل منهم .

ومن بنى تميم بن مرّة ، مالك بن عبد الله بن عثمان ، أسره قُطْبة بن عامر بن حديدة ، فمات فى المدينة أسيرا .

ومن بنى مخزوم خالد بن هشام بن المغيرة ، أسره سواد بن غزيّة . وأميّة بن أبى حذيفة ابن المغيرة ، أسره بلال . وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وكان أفلت يوم نَخْلة ، أسره واقد بن عبد الله التميمىّ يوم بدر ، فقال له : الحمدُ لله الذى أمكنى منك ، فقد كنت أفلتّ يوم نخلة — وقدم فى فداء هؤلاء الثلاثة عبد الله بن أبى ربيعة ، افتدى كلّ واحد منهم بأربعة آلاف — والوليد بن الوليد بن المغيرة ، أسره عبد الله بن جحش ،

(١) الواقدى : « حليف لهم » .

فقدم فى فدائه أخواه خالد بن الوليد وهشام بن الوليد ، فتمنّع عبد الله بن جحش حتى افتكاه بأربعة آلاف ، فحمل هشام بن الوليد يريد ألّا يبلغ ذلك ـ يريد ثلاثة آلاف ـ فقال خالد لهشام : إنّه ليس بابن أمّك ، والله لو أبَى فيه إلّا كذا وكذا لفعلت ، فلمّا افتداه خرجا به حتى بلغا به ذا الحليفة ، فأفلت ، فأتى النبيّ صلى الله عليه وآله فأسلم ، فقيل : ألا أسلمت قبل أن تفتدى ؟ قال : كرهتُ أن أسلم حتّى أكونَ أسوةً بقومى . ـ قال الواقدىّ : ويقال إن الذى أسر الوليد بن الوليد سليط بن قيس المازنى ـ وقيس ابن السائب ؛ أسره عبدة بن الححاس ، فحبسه عنده حينا ، وهو يظنّ أنّ له مالًا ، ثم قدم فى فدائه أخوه عَزْوة بن السائب ، فأقام أيضاً حيناً ، ثمّ افتداه بأربعة آلاف فيها عُروض .

ومن بنى أبى رفاعة ، صيفىّ بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمير بن مخزوم ، وكان لا مال له ، أسره رجلٌ من المسلمين ، فمكث عندهم ، ثم أرسله . وأبو المنذر بن أبى رفاعة بن عائذ افتُدى بألفين ـ ولم يذكر الواقدى مَنْ أسره ـ وعبد الله ، وهو أبو عطاء ابن السائب بن عائذ بن عبد الله ، افتُدى بألف درهم ، أسره سعد بن أبى وقّاص ، والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمير بن مخزوم ، أسره أبو أيوب الأنصارىّ ـ ولم يكن له مال فأرسله بعد حين ـ وخالد بن الأعلم العقيلىّ ، حليف لبنى مخزوم ، وهو الذى يقول :

وَلَسْنَا على الأعقـــاب تدمَى كلومُنا ولـكِنْ على أقدامِنا تقطُرُ الدِّما [1]

---

(١) رواية ابن هشام ٢ : ٣٦٥ :

ولَسْنَا على الأدْبَار تُدْمَى كُلُومُنَا ولـكنْ على أقْدَامِنَا يَقْطُرُ الدَّمُ

وقال محمد بن إسحاق : روى أنّه كان أوّل المنهزمين[1] ، أسره الحبّاب بن المنذر بن الجموح ، وقدم فى فدائه عكرمة بن أبى جهل ، فهؤلاء عشرة .

ومن بنى جُمح عبد الله بن أبىّ بن خلف ، أسره فَرْوة بن أبى عمرو البياضىّ ، قدم فى فدائه أبوه أبىّ بن خَلَف فتمتّع به فروة حينا . وأبو عزّة عمرو بن عبد الله بن وهب ، أطلقه رسول الله صلى الله عليه وآله بغير فِدْية ، وكان شاعرا خبيث اللسان ، ثم قتله يوم أحُد ، بعد أن أسره — ولم يذكر الواقدى الذى أسره يوم بدر — ووهب بن عمير بن وهب ، أسره رفاعة بن رافع الزرقى ، وقدم أبوه عمير بن وهب فى فدائه ، فأسلم فأرسل النبى صلى الله عليه وآله له ابنه بغير فداء ، ورسعة بن دُرّاج بن العنبس بن وهبان[2] ابن وهب بن حُذافة بن جُمح ، وكان لا مال له ، فأخذ منه شيء يسير ، وأرسل به — ولم يذكر الواقدى مَنْ أسره — وابنا كه مولى أميّة بن خلف ، أسره سعد بن أبى وقّاص ، فهؤلاء خمسة .

ومن بنى سَهْم بن عمرو أبو وَدَاعة بن صُبَيرة ، وكان أوّل أسير افتدى ، قدم فى فدائه ابنهُ المطّلب ، فافتداه بأربعة آلاف — ولم يذكر الواقدى مَنْ أسره — وفَرْوة بن قَيْس بن عدىّ بن حذافة بن سعيد بن سهم ، أسره ثابت بن أقرم ، وقدم فى فدائه عمرو ابن قيس ، افتداه بأربعة آلاف ، وحنطبة بن قيصبة بن حُذَافة بن سعد ، أسره عثمان ابن مظعون . والحجّاج بن الحارث بن قيس بن سعد بن سَهْم ، أسره عبد الرحمن بن عوف ، فأفلت ، فأخذه أبو داود المازنى . فهؤلاء أربعة .

ومن بنى مالك بن حِسْل سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك ؛ أسره مالك بن الدّخشم ، وقدم فى فدائه مكرز بن حَفْص بن الأحنف ، وانتهى فى فدائه إلى إرضائهم بأربعة آلاف ، فقالوا : هات المال ، فقال : نعم ، احملوا رجلًا مكان رجل ؛

(١) ابن هشام : « أوله من ولى فارًا منهزمًا » . (٢) ابن هشام : « أهبان » .

وقوم يروونها : « رِخْلاً مكان رِجل » ، فخلّوا سبيل سُهيل ، وحبسوا مِكْرز بن حفص عندهم ، حتى بعث سهيل بالمال من مكّة . وعند الله بن رَمْعة بن قيس بن نصر بن مالك، أسره عمير بن عوف ، مولى سُهَيل بن عمرو . وعند العزّى بن مشنوء بن وقدان بن قيس ابن عبد شمس بن عبد ودّ سبّاه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد إسلامه عبد الرحمن ، أسره النعمان بن مالك . فهؤلاء ثلاثة .

ومن بني فِهْر الطفيل بن أبي قُبَيْح ، فهؤلاء ستّة وأربعون[1] أسيرا .

وفي كتاب الواقدي أنّه كان الأسارى تسعة وأربعين ، ولم نجد التفصيل يلحق هذه الجملة[2] .

وروى الواقدي عن سعيد بن المسيّب ، قال : كانت الأسارى سبعين ، وإنّ القتلى كانت زيادة على سبعين إلّا أنّ المعروفين من الأسرى هم الذين ذكرناهم ، والباقون لم يذكر المؤرخون أسماءهم .

* * *

القول في المطعمين في بدر من المشركين

قال الواقديّ : المتفق عليه ولا خلاف بينهم فيه تسعة ؛ فمن بني عبد مناف الحارث ابن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس .

ومن بني أسد بن عبد العزى ، زمْعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد ، ونوفل بن خويلد المعروف بابن العدويّة .

ومن بني مخزوم ، أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة .

ومن بني جُمح ، أميّة بن خلف

---

(١) عدتهم في ابن هشام « ثلاثة وأربعون » (٢) مغازي الواقدي ١٣٣ ـ ١٣٩ ، وانظر أنساب الأشراف ١ : ٣٠١ ـ ٣٠٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٤ ـ ٣٦٧ .

ومن بنى سَهْم نبيه ومنبّه ابنا الحجاج .

فهؤلاء تسعة .

قال الواقدىّ : وكان سعيد بن المسيّب يقول : ما أطعم أحد ببدر إلا قتل .

قال الواقدىّ : قد ذكروا عدّة من مطعمين ، اختلف[1] فيهم ، كسُهيل بن عمرو وأبى البخترى وغيرهما[2] .

قال : حدثنى إسماعيل بن إبراهيم ، عن موسى بن عتبة ، قال : أوّل مَنْ بحر لهم أبو جهل بمرّ الظهران عشرا ، ثم أميّة بن خلف بعُسْفان تسعا ، ثم سهيل بن عمرو بقُدَيد عشرا ، ثم مالوا إلى مياه من نحو البحر ضَوْء الطريق ، فأقاموا بها يوما ، فنحر لهم شيبة ابن ربيعة تسعا ، ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم قيس الحجىّ تسعا ، ثم نحر عتبة عشرا ، ونحر لهم الحارث بن عمر وتسعا ، ثم نحر لهم أبو البخترىّ على ماء بدر عشرا ونحر لهم مقيس ابن صبابة على ماء بدر تسعا ، ثم شهدتهم الحرب .

قال الواقدىّ : وقد كان ابن أبى الزّناد يقول : والله ما أظنّ مقيسا كان يقدر على قَلُوص واحدة .

قال الواقدىّ : وأمّا أنا فلا أعرف قيسا الحجىّ . قال : وقد روت أم بكر ، عن المسور بن مخرمة أنها ، قال : كان النّفر يشتركون فى الإطعام ، فيسير إلى الرّحل الواحد ويسكت عن سائرهم[3] .

* * *

وروى محمد بن إسحاق أنّ العباس بن عبد المطّلب كان من المطعمين فى بدر ، وكذلك طُعَيمة بن عدىّ بن نوفل ، كان يعتقب هو وحكيم والحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو البخترى يعتقب هو وحكيم بن حزام فى الإطعام ، وكان النّضر بن والحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدّار من المطعمين . قال : وكان النبىّ صلى الله عليه وآله يكره قتل

(١) أ ومعارى الواقدى : « وقد اختلف عليا فيهم » (٢) معارى الواقدى « وغيرهم »
(٣) معارى الواقدى ١٢٣ ، ١٢٤

الحارث بن عامر ، قال يوم بدر : « مَنْ ظفر به منكم فليتركه لأيتام بنى نوفل » ، فقتل فى المعركة [١] .

* * *

القول فيمن استشهد من المسلمين ببدر

قال الواقدىّ : حدّثنى عبد الله بن جعفر ، قال : سألت الزهرىّ كم استشهد من المسلمين ببدر ؟ قال : أربعة عشر [٢] ، ستّة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

قال : فمن بنى المطلب بن عبد مناف عبيدة بن الحارث ، قتله شيبة بن ربيعة .

وفى رواية الواقدى قتله عتبة ، فدفنه النبى صلى الله عليه وآله بالصفراء .

ومن بنى زهرة عمير بن أبى وقاص ، قتله عمرو بن عبد ودّ ، فارس الأحزاب ، وعمير بن عبد ودّ ذو الشمالين ، حليف لبنى زهرة بن خزاعة ، قتله أبو أسامة الجشمىّ .

ومن بنى عدىّ بن كعب عاقل بن أبى البُكير ، حليف لهم من بنى سعد بن بكر ، قتله مالك بن زهير الجُشَمِىّ ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، قتله عامر بن الحضرمىّ ؛ ويقال : إنّ مهجعا أوّل من قتل من المهاجرين .

ومن بنى الحارث بن فهر صفوان بن بيضاء ، قتله طُعَيمة بن عدىّ .

وهؤلاء الستة من المهاجرين .

ومن الأنصار ، ثمّ من بنى عمرو بن عوف ، مبشّر بن عبد المنذر ، قتله أبو ثور . وسعد ابن خيثمة ، قتله عمرو بن عبدودّ ـ ويقال طعيمة بن عدى ـ ومن بنى عدىّ بن النجار حارثة بن سراقة رماه حبان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته ، فقتله .

ومن بنى مالك بن النجار ، عوف ومعوّذ ابنا عفراء ؛ قتلهما أبو جهل .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ .

(٢) فى مغازى الواقدى : « ثم عددهم على ، فهم هؤلاء الذين سميت » .

ومن بني سلمة بن حرام عمير بن الحمام بن الجموح ، قتله خالد بن الأعلم العقيلي ـ ويقال إن عمير بن الحمام أول قتيل قتل من الأنصار، وقد روي أن أول قتيل منهم حارث ابن سراقة .

ومن بني زُرَيق ، رافع بن المُعلّى ، قتله عكرمة بن أبي جهل .

ومن بني الحارث بن الخزرج يزيد بن الحارث بن قسحم[1] ، قتله عوف بن معاوية الديلي .

فهؤلاء الثمانية من الأنصار .

قال الواقدي . وقد روى عن عكرمة ، عن ابن عباس أن أسلمة مولى النبي صلى الله عليه وآله قتل ببدر .

وروى [أن][2] معاذ بن ماعص جرح ببدر ، فمات من جراحته بالمدينة ، وأن عبيد بن السكن جرح فاشتكى جُرحه ، فمات منه حين قدم[3] .

* * *

القول فيمن قتل ببدر من المشركين وأسماء قاتليهم

قال الواقدي : فمن بني عبد شمس بن عبد مناف حنظلة بن أبي سفيان بن حرب ، قتله علي ابن أبي طالب عليه السلام ، والحارث بن الحضرمي قتله عمار بن ياسر ، وعامر بن الحضرمي قتله عاصم ابن ثابت بن أبي الأقلح ، وعمير بن أبي عمير واسمه ، مولى لهم ؛ قتل سالم مولى أبي حذيفة منهم عمير بن أبي عمير ـ ولم يذكر الواقدي من قتل ابنه ـ وعبيدة بن سعيد بن العاص ، قتله الزبير بن العوام ، والعاص بن سعيد بن العاص ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعقبة بن أبي معيط ، قتله عاصم بن ثابت صبرا بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله .

---

(١) الواقدي : « يسحم » .

(٢) من الواقدي .

(٣) مغازي الواقدي ١٤٢ ، ١٤٣ .

وروى البلاذُرى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله صلبه بعد قتله ؛ فكان أول مصلوب فى الإسلام. قال : وفيه يقول صرار بن الخطاب :

عين بكّى لعُقْبَة بن أبانٍ ... فرع فهرٍ وفارس الفرسانِ[1]

وعتْبة بن ربيعة ، قتله حمزة بن عبد المطلب. وشيبة بن ربيعة، قتله عُبيدة بن الحارث وحمزة وعلىّ ، الثلاثة اشتركوا فى قتله . والوليد بن عتْبة بن ربيعة ، قتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام . وعامر بن عبد الله حليف لهم من أعمار ، قتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وقيل : قتله سعد بن معاذ ، فهؤلاء اثنا عشر .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف الحارث بن نوفل، قتله حُنَيْش بن يساف[2] ، وطُعَيْمة ابن عدىّ ، ويكنى أبا الرّيان ، قتله حمزة بن عبد المطّلب فى رواية الواقدىّ ، وقتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى رواية محمد بن إسحاق[3] وروى البلاذُرىّ رواية عريبة ، أن طُعَيْمة بن عدىّ أسرَ يوم بدر ، فقتله النبىّ صلى الله عليه وآله صَبْراً على يد حمزة ، فهؤلاء اثنان

ومن بنى أسَد بن عبد العزّى رَمْعة بن الأسود ، قتله أبو دُجانة[4] ، وقيل : قتله ثابت بن الجِذْع[5] ، والحارث بن رمعة بن الأسود ، قتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام وعَقيل بن الأسود بن المطّلب ، قتله علىّ وحمزة ، شركا فى قتله . قال الواقدىّ : وحدّثنى أبو معشر ، قال . قتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام وحده ، وقيل : قتله أبو داود المازنى وحده . وأبو البخترىّ ، وهو العاص بن هشام ، قتله المنذر بن

---

(١) أنساب الأشراف ١ : ٢٩٧ ، وفيه « عن مكر » .

(٢) فى ابن هشام : « إساف » بهمزة مكسورة ، قال بن حجر فى الإصابة : « وقد تبدل تحتانيه »

(٣) سيرة بن هشام ٢ . ٣٥٧

(٤) دجانة ، كثمامة : سماك بن خرشة .

(٥) الإصابة ١ الجذع

زياد ، وقيل : قتله أبو اليسر . ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبدالعزّى ؛ وهو ابن العَدَوِيّة، قتله على عليه السلام؛ فهؤلاء خمسة

ومن بنى عبد الدار بن قصيّ، النضر بن الحارث بن كَلَدة ؛ قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام صَبْراً بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله . وكان الذى أسَره المقداد بن عمرو ، فوعد المقداد ـ إن استقدم فداء جميل ، فما قدّم ليُقتل، قال المقداد : يارسولَ الله، إنّى ذُوعيال ، وأحسّ الدين ، فقال : اللهمّ أغْنِ المقدادَ من فضلك ! ياعليّ ، قم فاضرب عنقه . وريد بن مُنَيص مولى عمرو بن هشم بن عبد مناف ، من عبد الدار ، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وقيل : قتله بلال . فهؤلاء اثنان

ومن بنى تيم بن مرّة عُمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة ، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام . وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان ، قتله صُهيب ، فهؤلاء اثنان ـ ولم يذكر البلاذرىّ عثمان بن مالك .

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة ثم من بنى مُغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم ، أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة، ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوّذ وعوّف ابنا عفراء ، وذفّف[1] عليه عبد الله بن مسعود . والعاص بن هاشم بن المغيرة ، حاربَ عمر بن الخطاب ، قتله عمرو بن يزيد بن تميم التميمىّ ، حليف لهم ، قتله عمّار بن ياسر ، وقيل : قتله عليّ عليه السلام .

ومن بنى الوليد بن المُغيرة، أبو قيس بن الوليد بن الوليد؛ أخو خالد بن الوليد ، قتله عليّ ابن أبي طالب عليه السلام .

ومن بنى العاكه بن المغيرة أبو قيس بن لفاكه بن المغيرة ، قتله حمزة بن عبدالمطلب، وقيل: قتله الحباب بن المنذر .

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذرى ١ : ٢٩٧ . (٢) ذفف عليه : أجهز .

ومن بنى أميّة بن المغيرة مسعود بن أبى أميّة ، قتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

ومن بنى عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ثم من بنى رفاعة ، أميّة بن عائذ بن رفاعة بن أبى رفاعة ، قتله سعد بن الربيع . وأبو المنذر بن أبى رفاعة ، قتله معن بن عدىّ العجلانىّ . وعبد الله بن أبى رفاعة ، قتله على بن أبى طالب عليه السلام . ورُهير بن أبى رفاعة ، قتله أبو أسيد الساعدى . والسائب بن أبى رفاعة ، قتله عبد الرحمن بن عوف .

ومن بنى أبى السائب المخزومىّ — وهو صيفى بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — السائب بن السائب ، قتله الزبير بن العوام والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، قتله حمزة بن عبد المطّلب . وحليف لهم من طيّئ ، وهو عمرو بن شمّاس[1] ، قتله يزيد بن قيس . وحليف آخر ، وهو حنظر بن سفيان ، أخو عمرو بن سفيان المقدّم ذكره ، قتله أبو بُرْدة بن نيار .

ومن بنى عمران بن مخزوم حاجر[2] بن السائب بن عُوَيمر بن عائذ ، قتله علىّ عليه السلام .

وروى البَلَاذُرِىّ أنّ حاجراً هذا وأخاه عُوَيمر بن السائب بن عُوَيمر ، قتلهما على ابن أبى طالب عليه السلام[3] — وعُوَيمر بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ؛ قتله النّعمان بن أبى مالك ؛ فهؤلاء تسعة عشر .

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هصيص ، أميّة بن خلف ، قتله خُبَيب بن يساف وبلال ، شركا فيه .

قال الواقدىّ : وكان معاذ بن رفاعة بن رفع يقول : بل قتله أبو رفاعة بن رافع .

---

(١) الواقدى : « سفيان » .

(٢) فى البلاذرى : « جابر » .

(٣) أنساب الأشراف ١ : ٣٠٠ .

وعليّ بن أمية بن خلف ، قتله عمّار بن ياسر . وأوس بن المُغيرة بن لوذان ، قتله عليّ عليه السلام ، وعثمان بن مظعون ، شركا فيه ؛ فهؤلاء ثلاثة

ومن بني سَهْم ، منبّه بن الحجاج ، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وقيل : قتله أبو أسيد الساعديّ . ونبيه بن الحجّاج قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام . والعاص بن منبّه بن الحجاج ، قتله عليّ عليه السلام . وأبو العاص بن قَيْس بن عديّ بن سعد ابن سهم ، قتله أبو دُجانة ـ قال الواقديّ : وحدثني أبو معشر عن أصحابه ، قالوا : قتله عليّ عليه السلام ـ وعاص بن أبي عوف بن صبيرة بن سعيد بن سعد ، قتله أبو دُجانة، فهؤلاء خمسة .

ومن بني عامر بن لؤيّ ، ثمّ من بني مالك بن حسل ، معاوية بن عبد قيس حليف لهم ، قتله عُكّاشة بن محصن ومعبد بن وهب، حليف لهم من كلب ، قتله أبو دُجانة فهؤلاء اثنان .

فجميع من قتل ببدر في رواية الواقديّ من المشركين في الحرب وصبرا ، اثنان وخمسون رجلا ، قتل عليّ عليه السلام منهم مع اثنين شرك في قتلهم أربعة وعشرين رجلا . وقد كثرت الرواية أنّ المقتولين ببدر كانوا سبعين ، ولكن الذين عرفوا وحفظت أسماؤهم من ذكرناه ، وفي رواية الشيعة أنّ رَمْعة بن الأسود بن المطلب قتله عليّ ، والأشهر في الرواية أنه قتله الحارث بن رمعة ، وأن رمعة قتله أبو دُجانة[1].

* * *

القول فيمن شهد بدراً من المسلمين

قال الواقديّ : كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا مع القوم الذين ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بسهامهم وهم عاشرون وعدّتهم ثمانية. قال : وهذا هو الأعلب في الرواية،

(١) الطبرسية من قتل من المشركين ببدر في الواقدي ١٤٣ — ١٥١ .

قال : ولم يشهد بدرا من المسلمين إلّا قرشيّ أو حليف لقرشيّ أو أنصاريّ أو حليف لأنصاريّ أو مولى واحد منهما ، وهكذا من حضر من المشركين ، فإنه لم يشهدها إلّا قرشيّ أو حليف لقرشيّ أو مولى لهم .

قال : فكانت قريش وموالیها وحلفاؤها ستة وثمانين رجلا ، وكانت الأنصار وموالیها وحلفاؤها مائتين وسبعة وعشرين رجلا[1] .

وأما تفصيل أسماء من شهدها من المسلمين فله موضع في كتب المحدثين أملك به من هذا الموضع .

* * *

[قصة غزوة أُحُد]

الفصل الرابع : في شرح قصة غزاة أُحُد . ونحن نذكر ذلك من كتاب الواقدي[2] رحمه الله على عادتنا في ذكر غزاة بدر ، ونضيف إليه من الزيادات التي ذكرها ابن إسحاق والبلاذريّ ما يقتضي الحال ذكره .

قال الواقدي : لما رجع مَنْ حضر بدرا من المشركين إلى مكة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان من حرب من الشام موقوفة في دار النَّدوة ، وكذلك كانوا يصنعون ، فلم يحرّكها أبو سفيان ولم يعرّضها لعينة أهل العير ، ومشت أشراف قريش إلى أبي سفيان : الأسودُ بن عبد المطلب بن أسد ، وجُبير بن مطعم ، وصفوان بن أمية ، وعِكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، وحويطب بن عبد العزّى ؛ فقالوا : يا أبا سُفيان ، انظر هذه العير التي قدِمت بها فاحتبسْتَها[3] ، فقد عرفتَ أنها أموال أهل مكة ولَطيمة[4] قريش ، وهم طيِّبو الأنفس ، يجهّزون بهذه العير جيشا كثيفا إلى محمد ، فقد

(١) مغازي الواقدي ١٥١ ، ١٥٢

(٢) أخبار غزوة أحد في مغازي الواقدي ص ١٩٧ وما بعدها .

(٣) الواقدي : « فاحتبسها » .

(٤) اللطيمة : العير تحمل الطيب وبز التجار .

ترى مَنْ قتل من آبائنا وأبنائنا وعشائرنا . فقال أبو سفيان : وقد طابت أنفس قريش بذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فأنا أوّل من أجاب إلى ذلك وبنو عبد مناف معى ، فأنا والله الموتور والثائر[1] ، وقد قتل ابنى حنظلة ببدر وأشراف قومى . فلم تزل العير موقوفةً حتى تجهّزوا للخروج ، فباعوها فصارت ذهبا عينا ، ويقال : إنما قالوا : يا أبا سفيان ، بِع العير ثم أعزل أرباحها ، فكانت العيرُ ألف بعير ، وكان المال خمسين ألف دينار ؛ وكانوا يربحون فى تجاراتهم للدينار دينارا ، وكان متجرُهم من الشام غزّة ، لا يعدونها إلى غيرها ، وكان أبو سفيان ، قد حبس عير بنى زهرة ، لأنهم رجعوا من طريق بدر ، وسلّم ما كان لمخرمة بن نوفل ولبنى أبيه وبنى عبد مناف بن زُهرة ، فأبى مخرمة أن يقبل عيره حتى يسلّم إلى بنى زُهرة جميعا[2] . وتكلم الأخنس ، فقال : وما لعير بنى زهرة من بين عيرات قريش ! قال أبو سفيان : لأنهم رجعوا عن قريش ، قال الأخنس : أنت أرسلت إلى قريش أن ارجعوا فقد أحرزنا العير ، لا تخرجوا فى غير شىء ، فرجعت ، فأخذت بنو زُهرة عيرها وأخذ أقوام من أهل مكة أهل ضعف لا عشائر لهم ولا منعة ، كلّ ما كان لهم فى العير .

قال الواقدى : وهذا يبين أنه إنما أخرج القومَ أرباح العير . قال : وفيهم أنزل[3] : ﴿ إنّ الذينَ كَفَرُوا يُنفِقونَ أموالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سبيلِ الله ... ﴾ الآية

قال : فلما أجمعوا على المسير ، قالوا : نسير فى العرب فنستنصرهم ؛ فإنّ عبدة مناة غير متخلّفين عنّا ، هم أوصلُ العرب لأرحامنا ومن اتّبعنا من الأحابيش ، فأجمعوا على أن يبعثوا أربعة من قريش يسيرون فى العرب ، يدعونهم إلى نصرهم ؛ فبعثوا عمرو بن العاص وهبيرة بن وهب وابن الزِّبَعرى وأبا عزّة الجُمَحِى ، فأبى أبو عزّة أن يسيرَ[4] وقال : منّ

---

(١) الثائر : الذى يقوم بالثأر

(٢) ا : « أنزلت »

(٣) ا : « جميعا » .

(٤) فى الواقدى : « فأطاع النفر وأبى أبو عزة » .

علىّ محمد يوم بدر ، وحلفت ألّا أظهر[1] عليه عدوًّا أبدا . فمشى إليه صفوان بن أمية فقال : اخرج ، فأبى ، وقال : عاهدتُ محمدا يوم بدر ألّا أظهر عليه عدوًّا أبدا ، وأنا أفى له بما عاهدته عليه[2] . مَنّ علىّ ولم يَمُنّ على غيرى حتى قتله أوأحد منه العداء . فقال صفوان : اخرج معنا ، فإن تسلم أعطك من المال ما شئت ، وإن تُقتَل تكن عيالك مع عيالى . فأبى أبو عزّة ، حتى كان الغد ، وانصرف عنه صفوان بن أمية آيسا منه ؛ فلمّا كان الغد جاءه صفوانُ وحميرُ بن مطعم ، فقال له صفوان الكلام الأوّل فأبى ، فقال حبير . ما كنتُ أظنّ أنى أعيش حتى يمشىّ إليك أبو وهب فى أمر تأبى عليه ! فأحفظه ، فقال : أما أخرج ، قال : فخرج إلى العرب يجمعها ، ويقول :

إليه بنى عمد مناط الرِّئام[3] أمُنّ حمـاة وأبوكمُ حامُ
لا تسلمونى لا يحلّ إسلامُ لا بعدُ وَلّى نصرُكم بعد العام[4]

وخرج النفر مع أبى عزه ، فاتبعوا بالعرنيّ وجمعوا له وتهامة فأوعبوا[5] . فلمّا أجمعوا المسير وتألّب مَنْ كان معهم من العرب وحضروا ، واجتمعت قريش فى إخراج الطُّعُن معهم ، قال صفوان بن أميّة : اخرجوا بالظُّعُن[6] فإنا أول من قتل ، فإنه أقمنُ أن يحفظكم وتذكّركم قتلى بدر ، فإنّ العهد حديث ، ونحن قوم موتورون مسلوبون ، لا نريد أن نرجع إلى ديارنا حتى ندرك ثأرنا أو نموت دونه . فقال عكرمة بن أبى جهل : أنا أوّل من أجاب إلى ما دعوتَ إليه ، وقال عمرو بن العاص مثل ذلك ، فمشى فى ذلك

---

(١) الواقدى : « لا أظاهر » (٢) من الواقدى
(٣) ابن هشام ٣ ٤ : « إليها بنى عبد مناة » والرِّئام : جمع رائم ؛ وهو الذى يثبت فى مكانه لا يبرحه ، تقول : رؤم البعير ، إذا ثبت فى مكانه .
(٤) ابن هشام : « لا تبدونّ » .
(٥) ب : « أرعبوا » ، وأنشد ما فى ا والواقدى ، وأوعبوا : أى حرجوا بالعرب
(٦) الظعن : جمع ظعينة ؛ وهى المرأة فى الهودج ؛ وأصل الظعينة الهودج ، سميت المرأة به لأنها منه فى السفر ؛ وقيل : سميت ظعينة لأنها تظعن مع زوجها

نوفل بن معاوية الدّيليّ ، فقال : يامعشرَ قريش ، هذا ليس برأى ، أن تعرّضوا حُرَمكم لعدوكم ؛ ولا آمن أن تكون الدّبْرة[1] لهم فتفتضحوا فى نسائكم . فقال صفوان : لا كان غير هذا أبدا ! فجاء نوفل إلى أبى سفيان بنَ حرب فقال له تلك المقالة ، فصاحت هند بنت عتبة : إيك والله سلمت يوم بدر ، فرجعتَ إلى نسائك ؛ نعم نخرج فنشهد القتال ، فقد رُدّت القيان من الجحفة فى سعرهم إلى بدر ، فقتلت الأحبّة يومئذ . فقال أبو سفيان : لستُ أخالف قريشا ، أنا رجلٌ منها؛ ما قعدتْ فعلتُ . فخرجوا بالظُّعُن ، فخرج أبو سفيان بن حرب بامرأتين : هند بنت عتبة بن ربيعة وأمَيْمة بنت سعد بن وهب بن أشيمَ بن كناية ، وخرج صفوان بن أمية بامرأتين برزة بنت مسعود الثقفى وهى أم عبد الله الأكبر والنعوم بنت المعدل من كنانة ، وهى أمّ عبد الله الأصغر ، وخرج طلحة بن أبى طلحة بامرأته سُلافة بنت سعد بن شهيد ، وهى من الأوس ، وهى أمّ بنيه : مسافع ، والحارث ، وكلاب والجلاس بنى طلحة بن أبى طلحة ، وخرج عِكْرمة بن أبى جهل بامرأته أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام ، وخرج الحارث بن هشام بامرأته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج عمرو بن العاص بامرأته هند بنت منبّه بن الحجاج ، وهى أم عبد الله بن عمرو بن العاص — وقال محمد بن إسحاق اسمها : ريْطة — وخرجت حُماس بنت مالك بن المضرّس إحدى نساء بنى مالك بن حسل مع ابنها أبى عزيز بن عمير ، أخى مُصْعب بن عمير من بنى عبد الدار ، وخرج الحارث بن سفيان بن عبد الأسد بامرأته رَمْلة بنت طارق بن علقمة الكنانية ، وخرج كنانة بن علىّ بن ربيعة بن عبد العُزّى بن عبد شمس بن عبد مناف بامرأته أمّ حكيم بنت طارق ، وخرج سفيان بن عُوَيف بامرأته قُتَيلة بنت عمرو بن هلال ، وخرج المغيرة بن عمرو وحابر مسك الذئب أخوه ؛ بأمّهما

---

(١) الدّبرة : الهاقة .

(٢) من ا والواقدى .

الدُّعَنيـة ، وخرج غراب بن سفيان بن عويف بامرأته عمرة بنت الحارث بن علقمة الكنانية ، وهى التى رفعت لواء قريش حين سقط حتى تراجعت قريش إلى لوائها ، وفيها يقول حسان :

ولولا لواء الحارثيّـــةِ أصبَحُوا يباعون فى الأسواق بالثَّمَن البَخْسِ

قالوا : وخرج سُفيان بن عويف بعشرة من ولده ، وحَشَدت بنو كنانة . وكانت الألوية يومَ خرجوا من مكّة ثلاثة عقدوها فى دار النّدوة ؛ لواء يحمله سُفيان بن عويف لبنى كنانة ، ولواء الأحابيش يحمله رجل منهم ، ولواء لقريش يحمله [1] طلحة بن أبى طلحة .

قال الواقدى : ويقال خرجت قريش ولفها [2] كلّهم ؛ من كنانة والأحابيش وغيرهم على لواء واحد ، يحمله طلحة بن أبى طلحة . وهو الأثبت عندنا .

قال : وخرجت قريش وهم ثلاثة آلاف بنى صَوَى [3] إليها ، وكان فيهم من ثقيف مائة رجل ، وخرجوا بعدّة وسلاح كثير ، وقادوا مائتى فرس ، وكان فيهم سبعمائة دراع وثلاثة آلاف بعير . فلمّا أجمعوا على المسير كتب العبّاس بن عبد المطلب كتاباً ، وختمه ، واستأجر رجلاً من بنى غِفار ، وشرط عليه أن يسيرَ ثلاثاً إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله يخبره أنّ قريشاً قد اجتمعت [4] للمسير إليك ؛ فما كنت صانعاً إذا حَلّوا [5] بك فاصنعه . وقد وجّهوا وهم ثلاثة آلاف ، وقادوا مائتى فرس ، وفيهم سبعمائة دراع ، وثلاثة آلاف بعير ، وقد أوعبوا من السّلاح . فقدم الغفارىّ فلم يجد رسولَ الله صلى الله عليه وآله بالمدينة ، وجده بقُباء ، فخرج حتى وجدَ رسول الله صلى الله عليه وآله على باب مسجد قُباء يركب

---

(١) ب : « يحمله » ، وأثبت ما فى ا والواقدى .

(٢) لفها ، أى من اجتمع إليها من القبائل

(٣) صوى إليها : انضم إليها ، وفى ا والواقدى « انضم »

(٤) ا : « أجمعت المسير »

(٥) ب : « حلوا » وأثبت ما فى ا والواقدى .

حماره ، فدفع إليه الكتاب ، فقرأه عليه أبيّ بن كعب ، واستكتم أبيًّا مافيه ، ودخل منزلَ سعد بن الربيع ، فقال : أفي البيت أحد ؟ فقال سعد : لا ، فتكلّمْ بحاجتك ، فأخبره بكتابِ العبّاس بن عبد المطلب ، فجعل سعد يقول : يارسولَ الله ، والله إنّي لأرجُو أن يكونَ في ذلك خير ، وأرجفت [1] يهود المدينة والمنافقون ، وقالوا : ماجاء محمدا شيء يحبّه ، وانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ، وقد استكتم سعدَ بن الربيع الخبَر . فلمّا خرج رسولُ الله صلى الله عليه وآله من منزله ، خرجت امرأة سعد بن الربيع إليه ، فقالت : ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؟ قال : مالك ولذاك ، لا أمّ لك ! قالت : كنت أستمع عليكم ، وأخبرتْ سعدا الخبر ، فاسترجع سعد ، وقال : لا أراكِ تستمعين علينا وأنا أقولُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : تكلّم بحاجتك ! ثم أخذ بجُمْع لُمّتها [2] ، ثم خرج يعدُو بها حتى أدرك رسولَ الله صلى الله عليه وآله بالجسر ، وقد بَلَحَتْ ، فقال : يارسولَ الله ، إنّ امرأتي سألتني عمّا قلتُ فكتمتُها ، فقالت : قد سمعتُ قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاءت بالحديث كلّه — فخشيت يارسولَ الله أن يظهر من ذلك شيء فتظنّ أنّي أفشيتُ سرّك ، فقال صلى الله عليه وسلّم : خلّ سبيلها . وشاع الخبر بين النّاس بمسير قريش . وقدم عمرو بن سالم الخزاعيّ في نفر من خُزاعة ، ساروا من مكّة أربعا ، فوافوا قريشا وقد عسكروا بذي طُوَى ، فأخبروا رسولَ الله صلى الله عليه وآله الخبَر ، ثمّ انصرفوا ولقوا قريشا ببطْن رابغ ، وهو أربع ليال من المدينة ، فنكّبوا عن قريش .

قال الواقديّ : فلمّا أصبح أبو سفيان بالأبواء أخبر أنّ عمرو بن سالم وأصحابه راحوا أمس مُمْسين إلى مكة ، فقال أبو سفيان : أحلف بالله أنهم جاءوا محمّدا فخبّروه بمسيرنا وعَدَدنا [3] ، وحذّروه منّا ، فهم الآن يلزمون صياصيَهم ، فما أرانا نصيب منهم شيأ في وجهنا . فقال صفوان بن أميّة : إنْ لم يُصحِرُوا [4] لنا عَمَدنا إلى نخل الأوس والخزرج فقطعناه ،

(١) الواقدي : « وقد أرجفت » .
(٢) ا « لمتها »
(٣) الواقدي : « فأخبروه بعددنا »
(٤) أصحروا : خرجوا إلى الصحراء ؛ وهو الفضاء المستوي الواسع

فتركناهم ولا أموال لهم ، فلا يحتاجون بها أبدا ، وإن أصحروا لنا فعددنا أكثرُ من عددهم ، وسلاحُنا أكثرُ من سلاحهم ، ولنا خيل ولا خيل معهم ، ونحن نقاتل على وِتْر عندهم ولا وِتْر لهم عندنا .

قال الواقدىّ : وكان أبو عامر الفاسق قد خرج فى خمسين رجلا من الأوس ، حتى قدِم بهم مكّة حين قدم النبىّ صلى الله عليه وآله يحرّضها ويُعلمها أنها على الحقّ ، وما جاء به محمد باطل ، فسارت قريش إلى بدْر ، ولم يسرْ معها ، فلمّا خرجت قريش إلى أُحُد سارَ معها ، وكان يقول لقريش : إنّى لو قدمت على قومى لم يختلفْ عليكم منهم اثنان ، وهؤلاء معى نفرٌ منهم خمسون رجلا . فصدّقوه بما قال ، وطيّبوا فى نصره .

قال الواقدىّ : وخرج النّساء معهنّ الدّفوف يحرّضْنَ الرجال ويذكّرنهم قتلى بدر فى كلّ منزل ، وجعلت قريش تنزل كلّ منهل ، ينحرون ما نحروا من الجُزُر ممّا كانوا جمعوا من العين ، ويتقوّون به فى مسيرهم ، ويأكلون من أزوادهم ممّا جمعوا من الأموال .

قال الواقدىّ : وكانت قريش لمّا مرّت بالأبواء ، قالت : إنّكم قد خرجتم بالطُّعن معكم ونحن نخاف على نسائنا فتنالوا نبش قبر أمّ محمد ، فإنّ النّساء عورة ، فإن يصبْ من نسائكم أحداً قالتم هذه رمّة أمّك ، فإن كان برّا بأمّه ـ كما يزعم ـ فلعمرى لنعاديهم رمّة أمّه ، وإن لم يظفر بأحد من نسائكم فلعمرى ليعدينّ رمّة أمّه بمال كثير إن كان بها برّا . فاستشار أبو سفيان بن حرب أهلَ الرأى من قريش فى ذلك ، فقالوا : لا تذكر من هذا شيأ ، فلو فعلنا بشتْ بنو بكر وخُزاعة موتانا .

قال الواقدىّ : وكانت قريش بذى الحُليفة يوم الخميس صبيحة عشر من مخرجهم من مكّة ، وذلك لخمس ليال مضين من شوّال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة ، فلمّا

أصبحوا بذى الحُليفة خرج فرسان منهم فأنزلوهم الوِطاء[1] ، وبعث النبى صلى الله عليه وآله عينين له . آنسا ومؤنسا ابنى فضالة ليلة الخميس ، فاعترضا لقريش بالعَقيق ، فسارا معهم ، حتى نزلوا الوِطاء ، وأتيا رسولَ الله صلى الله عليه وآله فأخبراه ، وكان المسلمون قد ازدرعوا العِرْض[2] — والعرض ما بين الوطاء بأُحُد إلى الجُرْف إلى العرْضَة ، عَرْضة البقل اليوم ، وكان أهلُه بنو سلِمة وحارثة وظَفَر وعبد الأشهل ، وكان الماء يومئذ بالجرف نشطة لا يرمم سائق الناضح مجلسا واحدا ينفتل الجمل فى ساعته ، حتى ذهبت بمياهه عيون الغابة التى حفرها معاوية بن أبى سفيان[3] ، وكان المسلمون قد أدخلوا آلة زرْعهم ليلة الخميس المدينة ، فقدم المشركون على زرعهم فحلّوا فيه إبلَهم وخيولهم ، وكان لأسيد بن حُضير فى العرض عشرون ناضحا تسقى شعيرا ، وكان المسلمون قد حذروا على جمالهم وعمالهم وآلة حربهم ، وكان المشركون يرعَوْن يوم الخميس ، فلما أمسَوْا جمعوا الإبل وقصلوا عليها القصيل ، وقَصَلوا على خيولهم ليلة الجمعة ، فلما أصبحوا يوم الجمعة حلّوا ظهرهم فى الزرع وخيلهم ، حتى تركوا العِرض ليس به خضراء .

قال الواقدىّ : فلمّا نزلوا وحلّوا العُقَد ، واطمأنّوا بعثَ رسول الله صلى الله عليه وآله الحُباب بن المنذر بن الجموح إلى القوم ، فدخل فيهم وحَزَر ونظر إلى جميع ما يريد ، وكان قد بعثه سرًّا ، وقال له : إذا رجعت فلا تخبرْنى بين أحد من المسلمين إلّا أنْ ترَى فى القوم قِلّة ، فرجع إليه فأخبره خاليًا ، وقال له : رأيت عددا حزرتُهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ، والخيل مائتى فرس ، ورأيت دُروعا ظاهرة حَزَرتُها سبعمائة درع . قال : هل رأيت ظُعُنا ؟ قال : نعم رأيت النّساء معهن الدّفاف والأكبار — وهى الطّبول — فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : أردْنَ أن يحرّضن القوم ويذكّرْنهم قتلى بدر ، هكذا

---

(١) الوطاء : ما انخفض من الأرض (٢) العرض : الوادى .
(٣) كذا وردت العبارة فى الأصول وفى الواقدى وفيها غموض .

جاءنى خبرهم لا تذكر من شأنهم حرفاً ، حسبنا الله ونعم الوكيل ! اللهمّ بك أحول ، وبك أصول !

قال الواقدىّ : وخرج سَلَمة بن سلامة بن وقش يوم الجمعة ، حتى إذا كان بأدنى العِرض إذا طليعة خيل المشركين عشرة أفراس ركضوا فى أثره ، فوقف لهم على نَشَز [1] من الحرّة ، فرشقهم بالنَّبل مرة ، وبالحجارة أخرى حتى اكتشفوا عنه ، فلما ولّوا جاء إلى مزرعته بأدنى العِرض ، فاستخرج سيفاً كان له ، ودرع حديد كانت له ، فلبسها فى ناحية المزرعة ، وخرج بهما يعدُو ، حتى أتى بنى عبد الأشهل ، فخبّر قومه بما لقى .

قال الواقدىّ : وكان مقدم قريش يوم الخميس لخمس خلوْن من شوال ، وكانت الوقعة يوم السبت لسبع خلوْن من شوال ، وباتت وجوهُ الأوس والخزرج : سعد بن مُعاذ وأسيد ابن حُضير ، وسعد بن عبادة، فى عدّة منهم ليلة الجمعة ، عليهم السلاح فى المسجد بباب النبى صلى الله عليه وآله خوفا من تبييت المشركين ، وحُرِست المدينة تلك الليلة ، حتى أصبحوا ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله رؤيا ليلة الجمعة ، فلمّا أصبح واجتمع المسلمون خطبهم .

قال الواقدىّ : حدّثنى محمّد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : ظهر النبى صلى الله عليه وآله المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيّها النّاس ، إنى رأيتُ فى منامى رؤيا ؛ رأيت كأنّى فى درع حصينة ، ورأيت كأنّ سيفى ذا الفقار انفصم [2] من عند ظُبَته ، ورأيت بقرا تذبح ، ورأيت كأنّى مردِف كبشا ، فقال النّاس : يارسولَ الله ، فما أوّلتَها ؟ قال : أما الدّرع فحصينة فالمدينة ، فامكثوا فيها ، وأمّا

---

(١) ب : « بشرة » .

(٢) ا والواقدى : « انقصم » .

انفصام[1] سيفى عند طُبَتِه فمصيبة فى نفسى ، وأمّا البقر المذبّح فقتلَى فى أصحابى ؛ وأما أنى مردف[2] كبشا فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله .

قال الواقدىّ : وروى عن ابن عباس ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال : « أما انفصام سيفى فقتلُ رجل من أهل بيتى » .

قال الواقدىّ : وروى المسور بن مَخْرَمة ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وآله : ورأيت فى سيفى فَلًّا فكرهته ، هو الذى أصاب وجهه عليه السلام .

قال الواقدىّ : وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم . أشيروا علىّ ، ورأى صلى الله عليه وآله ألاّ يخرج من المدينة لهذه الرؤيا ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يحبّ أن يوافق على مثل ما رأى ؛ وعلى ما عبّر عليه الرؤيا ، فقام عبد الله بن أبىّ ؛ فقال : يارسول الله ، كنّا نقاتل فى الجاهلية فى هذه المدينة ، ونجعل النّساء والذرارىّ فى هذه الصّياصى ، ونجعل معهم الحجارة ، والله ربّما مكث الولدان شهرا ينقلون الحجارة ، إعداداً لعدوّنا ، ونشبّك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كلّ ناحية ، وترمى المرأة والصبىّ من فوق الصياصى والآطام ، ونقاتل بأسيافنا فى السكك . يارسول الله إنّ مدينتنا عذراء ما فُضّت علينا قطّ ، وما خرجنا إلى عدوّ قطّ منها إلا أصاب منّا ، وما دخل علينا قطّ إلا أصبناه ، فدعْهم يارسول الله ، فإنهم إن أقاموا أقاموا بشرّ محبس ، وإن رجعوا رجعوا خاسرين مغلوبين ، لم ينالوا خيراً . يارسول الله ، أطعنى فى هذا الأمر ، واعلم أنى ورثتُ هذا الرأى من أكابر قومى وأهل الرأى منهم ، فهم كانوا أهلَ الحرب والتجربة .

قال الواقدىّ : فكان رأىُ رسول الله صلى الله عليه وآله مع رأى ابن أبىّ ، وكان ذلك رأى الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار

(١) ا والواقدى : « انفصام » . (٢) ا : « وأما الكبش المردف » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : امكثوا فى المدينة ، واجعلوا النساء والذرارىّ فى الآطام ، فإن دُخِل علينا قاتلناهُم فى الأزقّة ، فنحنُ أعلمُ بها منهم ، ورُمُوا من فوق الصياصى والآطام — وكانوا قد شكّوا المدينة بالسيان من كلّ ناحية ، فهى كالحصن — فقال فِتيان أحداث لم يشهدوا بدرا ، وطلبوا من رسول الله الخروجَ إلى عدوّهم ، ورغبوا فى الشهادة ، وأحبّوا لقاء العدوّ ، وقالوا : اخرج بنا إلى عدوّنا ، وقال رجال من أهل السِّنّ [1] وأهل السِّنّ ، منهم حمزة بن عبد المطلب ، وسعد بن عبادة ، والنعمان بن مالك بن ثعلبة وغيرهم من الأوس والخزرج : إنا نخشى يارسول الله ، أن يظنّ عدوّنا أنّا كرهنا الخروج إليهم جُبْناً عن لقائهم ، فيكون هذا جرأة منهم علينا ، وقد كنتَ يوم بدر فى ثلثمائة رجل ، فظفّرك الله بهم ، ونحن اليوم أكثر كثير ، وكنّا نتمنّى هذا اليوم ، وندعو الله به ، فقد ساقه الله إلينا فى ساحتنا هذه — ورسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى من إلحاحهم كره ، وقد لبسوا السّلاح يخطرون بسيوفهم ، يتساومُون كأنّهم الفحول . وقال مالك بن سنان أبو أبى سعيد الخدرىّ : يارسولَ الله ، نحن والله بين إحدى الحسنيين ، إمّا يظفّرنا الله بهم ، فهذا الذى نريد ، فيذلهم الله لنا ، فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر ، فلا يبقى منهم إلا القليل ، والأخرى يارسول الله يرزقنا الله الشهادة ، ونلقى بارسولَ الله ، ماسألى أيّهما كان ، إنّ كلاً لفيه الخير . فلم يبلغنا أنّ النبى صلى الله عليه وآله رجع إليه قولا ، وسكت وقال حمزة بن عبد المطلب : والذى أنزل عليه الكتاب ، لا أطعَم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفى خارجا من المدينة ، وكان يقال : كان حمزة يوم الجمعة صائما ، ويوم السبت ، فلاقاهم وهو صائم .

وقال النعمان بن مالك بن ثعلبة أخو بنى سالم : يارسول الله ، أنا أشهد أنّ البقر للذبح قتلَى من أصحابك ، وأنّى منهم ، فلمَ تحرمنا الجنّة ؟ فوالله الذى لا إله إلّا هو

---

(١) السن : الفطنة ، وفى ا : « السنة » .

لأدْخُلنّها . قال رسول الله : بم ؟ قال : إنّى أحبّ الله ورسوله ، ولا أفِرُّ يوم الزّحف . فقال : صدقت ، فاستُشهد يومئذ .

وقال أياس بن أوس بن عتيك : يارسولَ الله ، نحن بنو عبد الأشهل من البقر المذبّح ، نرجو يارسولَ الله أن نذبح فى القوم ، ويُذبح فينا ، فنصير إلى الجنة ، ويصيرون إلى النار ، مع أنّى يارسولَ الله لا أحبّ أن ترجعَ قريش إلى قومها ، فتقول : حضرْنا محمداً فى صياصى يثرب وآطامها ، فتكون هذه جُرْأة لقريش ، وقد وطِئُوا سَعَفنا ؛ فإذا لم نذبّ عن عِرْضنا ، فلم نذّرع ؟ وقد كُنّا يارسول فى جاهليّتنا ، والعرب يأتوننا ، فلا يطمعون بهذا منّا حتى نخرُجَ إليهم بأسيافنا فنذبّهم عنّا ، فنحن اليوم أحقُّ إذ أمدّنا الله بك ، وعرفنا مصيرَنا ، لا نحصر أنفسنا فى بيوتنا !

وقام خيثمة ، أبو سعد بن خيثمة فقال : يارسول الله ، إن قريشا مكثتْ حولا تجمع الجموع وتستجلب العرب فى بواديها ومَن اتّبعها من أحابيشها ثم جاءونا قد قادروا الخيل ، واعتلوا الإبل حتى نزلوا بساحتنا ، فيحصروننا فى بيوتنا وصياصينا ، ثم يرجعون وافرين لم يكْلمُوا ، فيجرّئهم ذلك علينا حتى يشنّوا الغارات علينا ، ويصيبوا أطلالنا ويضعوا العيون والأرصاد علينا ، مع ماقد صنعوا بحروثنا ، ويجترئ علينا العرب حولنا حتى يطمعوا فينا إذا رأونا لم نخرج إليهم ، فنذبّهم عن حريمنا ، وعسى الله أن يظفرَنا بهم ، فتلك عادة الله عندنا ، أو تكون الأخرى ، فهى الشهادة . لقد أخطأتنى وقعة بدر ، وقد كنت عليها حريصاً ؛ لقد بلغ من حرصى أنْ ساهمت ابنى فى الخروج ، فخرج سهمُهُ ، فرُزِق الشهادة وقد كنت حريصا على الشهادة ، وقد رأيت ابنى البارحةَ فى النّوم فى أحسن صورة يسرَحُ فى ثمار الجنة وأنهارها ، وهو يقول الحق بنا ترافقْنا فى الجنة ، فقد وجدتُ ما وعدنى ربى حقًّا ، وقد والله يارسولَ الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته فى الجنّة ، وقد كبرتْ سنّى ، ودقّ عظمى ، وأحببت

لقاء ربّي، فادعُ الله يارسول الله أن يرزقني الشهادة، ومرافقة سعد في الجنّة؛ فدعا له رسولُ الله بذلك، فقتل بأحُدٍ شهيداً.

قال أنس بن قتادة: يارسولَ الله: هي إحدى الحسنيين، إمّا الشهادة وإمّا الغنيمة والظفر بقتلهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي أخافُ عليكم الهزيمة

فلما أبَوْا إلّا الخروج والجهاد، صلّى رسول الله يوم الجمعة بالناس، ثم وعظهم، وأمرهم بالجدّ والاجتهاد، وأخبرهم أنّ لهم النصر ما صبروا؛ ففرح الناس حيث أعلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالشُّخوص إلى عدوّهم، وكره ذلك المخرّج بشرٌ كثير من أصحاب رسول الله، وأمرهم بالتهيّؤ لعدوّهم، ثم صلّى العصر بالناس، وقد حشد الناس وحضر أهلُ العوالي، ورفعوا النساء إلى الآطام، فحضرت بنو عمرو بن عوف بلفّها، والتبيت ولفّها؛ ولبسوا السلاح، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيته، ودخل معه أبو بكر وعمر فعمّماه ولبّساه وصُفّ [الناس][1] له ما بين حجرته إلى منبره، ينتظرون[2] خروجه، فجاءهم سعد بن مُعاذ، وأسيد بن حُضير، فقالا لهم: قلتم لرسول الله ما قلتم، واستكرهتموه على الخروج، والأمر يتنزّل عليه من السماء، فردّوا الأمر إليه، فما أمرّكم فافعلوه، وما رأيتم فيه [له][1] هوًى أو أدبا فأطيعوه. فبينا[3] نقومُ على ذلك من الأمر، وبعض القوم يقول: القول ما قال سعد، وبعضهم على البصيرة على الشخوص، وبعضهم للخروج كارهٌ؛ إذ خرج رسول الله صلى الله عليه وآله قد لبس لأمّته، وقد لبس الدِّرع فأظهرها، وحزم وسطها بمنطقة من حمائل سيف من أدَمٍ كانت بعد عند آل أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وعتّم، وتقلّد السيف. فلمّا خرج رسولُ الله صلى الله عليه وآله ندموا جميعا

---

(١) من الواقدي

(٢) كذا في الواقدي، وفي ب «ينتظرون»

(٣) ا: «فبينما»، وهي رواية الواقدي

على ما صنعوا ، وقال الذين يلحُّون على رسول الله صلى الله عليه وآله : ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك ، وما كان لنا أن نستكرهك والأمرُ إلى الله ثم إليك ، فقال : قد دعوتُكم إلى هذا الحديث فأبيتم ، ولا ينبغي لنبيّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكمَ الله بينه وبين أعدائه . قال : وكانت الأنبياء قبله إذا لبس النبيّ لأمتَه لم يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ثم قال لهم : انظروا ما أمرتُكم به فاصنعوه ، امضوا على اسم الله؛ فلكم النّصر ما صبرتم .

* * *

قلت . فمَنْ تأمّل أحوال المسلمين في هذه الغزاة ، من قلتهم وحَوَرهم واختلافهم في الخروج من المدينة والمقام بها ، وكراهة النبيّ صلى الله عليه وآله للخروج، ثم خروجه على مضض، ثم ندم القوم الذين أشاروا بالخروج، ثم انحدال طائفة كثيرة من الجيش عن الحرب ، ورجوعهم إلى المدينة ، علم أنّه لا انتصارَ لهم على العدوّ أصلًا ، فإنّ النّصر معروف بالعزم والجدّ والبصيرة في الحرب ، واتفاق الكلمة ومَنْ تأمّل بإزاء هذه الأحوال علم أنّها ضدّ الأحوال التي كانت في غزاة بدر ، وأنّ أحوال قريش لمّا خرجت إلى بدر كانت مماثلةً لأحوال المسلمين لمّا خرجوا إلى أُحُد ؛ ولذلك كانت الهزيمة في بدر على قريش .

قال الواقديّ : وكان مالك بن عمرو النّجّاريّ مات يوم الجمعة ، فلمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وآله ليلبس لأمته وخرج وهو موضوع عند موضع الجنائز صلّى[1] عليه ، ثم دعا بدابته ، فركب إلى أُحُد .

* * *

قال الواقديّ : وجاء حُمَيْل بن سُرَاقة إلى النبي صلى الله عليه وسلّم وهو متوجّه إلى أُحُد ، فقال : يا رسولَ الله ، قيل لي . إنّك تقتل غدا — وهو يتبسّم مكروهاً — فضرب النبيّ صلى الله عليه وآله بيده إلى صدره ، وقال : أليس الدهر كلّه غداً ! قال : ثم دعا بثلاثة أرماح ، فعقد ثلاثة ألوية ، فدفع لواء الأوس إلى أُسَيْد بن حُضَير ، ودفع لواء الخزرج إلى الحُباب بن المنذر بن الجموح — ويقال إلى سعد بن عبادة — ودفع لواء المهاجرين

(١) ب : « فصلى » ، والصواب ما أثبته من ا والواقدي .

إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام — ويقال إلى مصعب بن عُمَير — ثم دعا بفرسه، فركبه؛ وتقلّد القوس وأخذ بيده قناة — رجّ الرّمح يومئذ من شَنَج — والمسلمون متنكّبون السلاح، قد أظهروا الدروع، فهم مائة دارع؛ فلمّا ركب صلى الله عليه وآله خرج الغُدّان أمامه يعدُوان: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، كلّ واحد منهما دارع، والناس عن يمينه وشماله حتى سلك على الدائم، ثم رفاق الحَنَى، حتى أتى الشَّيْخين — وهما أُطُمان كانا في الجاهلية فيهما شيخ أعمى وعجوز عمياء يتحدّثان، فسُمّيَ الأُطُمَين الشيخين — فلمّا انتهى إلى رأس الثنيّة، لتحت فطر إلى كتيبة حشناء لها رحَل[1] حنفه، فقال: ما هذه؟ قال: هذه حُلَفاء[2] ابن أبيّ من اليهود، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا نستنصر بأهل الشّرك على أهل الشّرك. ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وعرض عسكره بالشّيْخين، فعرض عليه غلمان، منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، والنعمان ابن بشير، وزيد بن أرقم، والبَرَاء بن عازب، وأُسَيْد بن ظهير، وعَرابة بن أوس، وأبو سعيد الخدريّ، وسَمُرة بن جندب، ورافع بن خُدَيج.

قال الواقديّ: فردّهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله، قال رافع بن خديج. فقال ظهير بن رافع: يارسولَ الله، إنه رامٍ بعينه. قال: وحملتُ أتطاول، وعليّ خُفّان لي، فأجازني رسول الله صلى الله عليه وآله، فمرّ بي قال سَمُرة بن جندب لمريّ بن سنان الحارثيّ — وهو زوج أمّه: يا أبَهْ، أجاز رسول الله صلى الله عليه وآله رافعَ بن خُدَيج، وردّني وأنا أصرع رافعا! فقال مرّيّ: يارسولَ الله، رددتَ ابني، وأجرتَ رافع بن خُدَيج وابني يصرعه! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: تصارعا، فصرع سَمُرة رافعا، فأجازه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم.

قال الواقديّ: وأقبل ابنُ أبيّ، فمرّ بناحية العسكر، فحمل حلفاؤه ومَنْ معه[3] من المنافقين يقولون لابن أبيّ: أشرتَ عليه بالرأي، ونصحته وأجرته أنّ هذا رأي مَنْ

(١) الرحل، بحركة، رحل البعير والناقة (٢) في ب: «حلفاء» بالحاء.
(٣) كذا في ا والواقدي وفي ب: «ومعه».

معى من آبائك ، وكان ذلك رأيه مع رأيك ؛ فأبى أن يقبله ، وأطاع هؤلاء الغلمان الذين معه . قال : فصادفوا من ابن أبيّ نفاقا وغشًّا ، فمات رسول الله صلى الله عليه وآله بالشيخين ، ومات ابنُ أبيّ فى أصحابه ، وفزع رسول الله صلى الله عليه وآله من عرْس مَنْ عرَس ، وغابت الشمس ، فأذّن بلال بالمغرب ، فصلّى رسولُ الله صلى الله عليه وآله بأصحابه ، ثم أذّن بالعشاء ، فصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه ، ورسول الله صلى الله عليه وآله نازل فى بنى النجّار ، واستعمل على الحرس محمّد بن مسلمة فى خمسين رجلا يُطيفون بالعسكر ، حتى ادّلجَ[1] رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، وكان المشركون قد رأوْا رسولَ الله صلى الله عليه وآله حيث ادّلجَ ، ونزل بالشيخين ، فحموا حيضهم وظهرهم ، واستعملوا على حرَسهم عِكْرِمة بن أبى جهل فى خيل من المشركين ، وباتت صاهلة خيلهم لا تهدأ ، تدنو طلائعهم ؛ حتى تلصق بالحرّة ، فلا تصعد فيها حتى ترجع خيلُهم ، ويهابون موضع الحرّة ، ومحمد بن مسلمة

قال الواقدىّ : وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله قال حين صلّى العشاء : مَنْ يحفظنا الليلة ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله فقال : مَنْ أنت؟ قال : ذكوان بن عبد القيس ، فقال : اجلس ، ثم قال ثانية : مَنْ رجلٌ يحفظنا الليلة ؟ فقام رجل ، فقال : مَنْ أنت ؟ قال : أبو سَبُع ، قال : اجلس ، ثم قال ثالثة مثل ذلك ، فقام رجل ، فقال : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا ابن عبد قيس ؛ فمكث رسول الله صلى الله عليه وآله ساعةً ، ثم قال : قوموا ثلاثتكم ، فقام ذكوان بن عبد قيس ، فقال رسول الله : وأين صاحباك ؟ فقال ذكوان : أنا الذى كنت أحيِيك الليلةَ ! قال : فاذهب حفظك الله .

* * *

قلت : قد تقدّم هذا الحديث بدلائله فى غزوة بدر ، وظاهر الحال أنه مكرّر ،

(١) الادلاج : السير فى آخر الليل .

وأنه إنما كان في غزاة واحدة ، ويجوز أن يكون قد وقع في الغزاتين ، ولكن على بعد .

قال الواقدي : فلبس درع ذكوان درعه ، وأخذ درقته ، فكان يطوف على العسكر تلك الليلة ، ويقال : كان يحرس رسول الله صلى الله عليه وآله لم يفارقه .

قال : ونام رسولُ الله صلى الله عليه وآله حتى ادلج ، فلما كان في السَّحَر ، قال رسول الله : أين الأدلاء ؟ مَنْ رجلٌ يدلنا على الطريق ، ويجرحنا على القوم من كَثَب ؟ فقام أبو خيثمة الحارثي ، فقال : أنا يا رسولَ الله ، ويقال : أوس بن قيظي ويقال : مُحَيِّصة .

قال الواقدي : وأثبت ذلك عندنا أبو خيثمة ، فخرج برسول الله صلى الله عليه وآله ، وركب فرسه ، فسلك به في بني حارثة ، ثم أخذ في الأموال حتى مرّ بحائط مِرْبَع بن قيظي ؛ وكان أعمى المصر منافقا ، فلما دخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله حائطه ، قام يحثي التراب في وجوه المسلمين ، ويقول : إن كنتَ رسولَ الله فلا تدخلْ حائطي ، فلا أحِلّ لك .

قال محمد بن إسحاق : وقد ذكر أنه أخذ حفنة من تراب ، وقال : والله لو أعلم أني لا أصيب غيرَك يا محمد لضربت بها وجهك[1] .

قال الواقدي : فصرخ به سعد بن زيد الأشهلي بقوس في يده فشجّه في رأسه ، فسال الدّم ، وعصب له بعض بني حارثة ممّن هو على مثل رأيه ، فقال : [2]هي على عداوتكم يا بني عَبْد الأشهل ، لا تدعوها أبداً لنا[2] فقال أسيد بن حُضَير : لا والله ، ولكن عافكم ، والله لولا أني لا أدري ما يوافق النبيّ صلى الله عليه وآله لضربت عنقه وعنق مَنْ هو على مثل رأيه .

قال : وسهام النبي صلى الله عليه وآله عن الكلام فأسكتوا .

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٩ .

(٢ ـ ٢) الواقدي : « هي عداوتكم يا بني عبد الأشهل لا تدعوها أبدا » .

وقال محمد بن إسحاق : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : دعوه ، فإنه أعمى البصر ، أعمى القلب ، يعني مِرْبَع بن قيظيّ [1] .

قال الواقديّ : ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، فبينا هو في مسيره إذ دبّ فرس أبي بردة بن نيار بذنبه فأصاب كُلّاب سيفه ، فسلّ سيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ياصاحبَ السيف ، شِمْ [2] سيفك ، فإني أخال السيوفَ ستسلّ اليوم فيكثر سلّها قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّ الفأل ، ويكره الطِّيَرة ، قال : ولبس رسول الله صلى الله عليه وآله من الشَّيْخين درعاً واحدة ، حتى انتهى إلى أحد ، فلبس درعا أخرى ، ومغفرا ، وبيضة فوق المغفر ، فلمّا نهض رسول الله صلى الله عليه وآله من الشَّيْخين ، زحف المشركون على تعبية حتى انتهوا إلى موضع أرض ابن عامر اليوم ، فلمّا انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى موضع القنطرة اليوم جاءه ، وقد حانت الصّلاة ، وهو يرى المشركين ، أمر بلالاً فأذّن ، وأقام وصلّى بأصحابه الصُّبح صفوفا ، وانخذل عبدُ الله بن أبيّ من ذلك المكان في كتيبته ، كأنه هَيْق [3] تقدّمهم ، فاتّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقال : أذكّركم الله ودينكم ونبيّكم ، وما شرطتم له أن تمنعوه مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم ونساءكم ! فقال ابنُ أبيّ : ما أرى أنّه يكون بينهم قتال ، وإن أطعتني ياأبا جابر لترجعنّ ، فإنّ أهلَ الرأي والحِجَى قد رجعوا ، ونحن ناصروه في مدينتنا ، وقد خالفنا ، وأشرتُ عليه بالرأي فأبَى إلا طواعية الغِلْمان . فلمّا أبى على عبد الله بن عمرو أن يرجع ، ودخل هو وأصحابه أزقّة المدينة ، قال لهم أبو جابر : أنعدكم الله ! إنّ الله سيُغني النبيّ والمؤمنين عن نصركم . فانصرف ابنُ أبيّ ، وهو يقول : أيعصيني ويطيع الولدان ! وانصرف عبدُ الله بن عمرو يعدُو حتى لحق رسولَ الله وهو يسوّي الصفوف ، فلمّا أصيب أصحاب

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٩

(٢) شم سيفك ، أي اغمده .

(٣) الهيق : ذكر النعام .

رسول الله صلى الله عليه وآله سُرَّ ابنُ أبيّ ، وأظهر الشماتة ، وقال : عصاني وأطاع مَنْ لا رأي له !

قال الواقديّ : وجعل رسولُ الله صلى الله عليه وآله يصفّ أصحابه ، وجعل الرماة خمسين رجلا على عينين ، عليهم عبد الله بن جُبير ، ويقال : سعد بن أبي وقّاص — ولثَبَت أنه عبد الله بن جُبير — قال : وجعل أُحُداً خلف ظهره ، واستقبل المدينة ، وجعل عينين عن يساره ، وأقبل المشركون ، واستدبروا المدينة في الوادي ، واستقبلوا أُحُدا ، ويقال : جعل عينين خلف ظهره ، واستدبر الشمس ، واستقبلها المشركون .

قال : والقول الأوّل أثبت عندنا ، أنّ أُحُداً كان خلف ظهره ، وهو عليه السلام مستقبل المدينة .

قال : ونهى أن يقاتل أحدٌ حتى يأمرهم بالقتال ، فقال عمارة بن يزيد بن السكن : أنى تغير على زرع بني قبلة وأمّا نصاريها ! وأقبل مشركون قد صفّوا صفوفهم ، واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ، ولهم مجنّبتان ، مائة فرس ، وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية — ويقال عمرو بن العاص — وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة ، وكانوا مائة رام ، ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة — واسم أبي طلحة عبد الله[1] ابن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصيّ — وصاح أبو سفيان يومئذ : يا بني عبد الدار ! نحن نعرف أنكم أحقّ باللواء منّا ، وأنّا إنّما أُتينا يومَ بدر من اللواء ، وإنما يُؤتى القوم من قِبَل لوائهم ، فالزموا لواءكم ، وحافظوا عليه ، وخلوا بيننا وبينه ، فإنّا قوم مستميتون موتورون ، نطلب ثأراً حديثَ العهد . وجعل يقول : إذا زالت الألوية ، فما قَوام الناس وبقاؤهم بعدها ! فغضبت بنو عبد الدار ، وقالوا : نحن نسلّم لواءنا ! لا كان هذا أبدا ! وأمّا المحافظة[2] عليه فسترى . ثم أسندوا الرماح إليه ، وأحدقت به بنو عبد الدار ،

(١) في الواقدي : « عبد العزّى بن عثمان » .
(٢) في الواقدي : « فأما محافظة عليه » .

وأغلظوا لأبي سفيان بعض الإغلاظ . فقال أبو سفيان : فنجعل لواء آخر ؟ قالوا : نعم ، ولا يحمله إلّا رجل من بني عبد الدار ، لا كان غير ذلك أبدا !

قال الواقديّ : وجعل رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يمشي على رجليه ، يسوّي تلك الصفوف ، ويسوّي أصحابَه مقاعد للقتال ، يقول : تقدّم يافلان ، وتأخّر يافلان ، حتّى إنه ليَرى مسكَ الرجل خارجا فيؤخّره ، فهو يقوّمهم ، كأنّما يقوم القِداح ، حتى إذا استوت الصفوف ، سأل : مَنْ يحمل لواء المشركين ؟ قيل : عبد الدار ، قال : نحن أحقّ بالوفاء منهم ، أين مُصعب بن عُمَير ؟ قال : ها أنذا ! قال : خذ اللواء ، فأخذه مصعب فتقدّم به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال البلاذُريّ : أخذه من عليّ عليه السلام ، فدفعه إلى مصعب بن عمير ، لأنه من بني عبد الدار [1] .

قال الواقديّ : ثمّ قام عليه السلام ، فخطب الناس ، فقال صلى الله عليه وسلّم : أيّها الناس ، أوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه من العمل بطاعته ، والناهي عن محارمه ، ثمّ إنّكم اليوم بمنزل أجر وذُخر لمن ذكر الذي عليه ، ثم وطّن نفسه على الصّبْر واليقين والجِدّ والنشاط ، فإنّ جهاد العدوّ شديد كريه ، قليل مَنْ يصبر عليه ، إلّا مَنْ عزم له على رشده . إنّ الله مع مَنْ أطاعه ، وإن الشّيطان مع مَنْ عصاه ، فاستفتحوا أعمالكم بالصّبر على الجهاد ، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله ، وعليكم بالذي آمركم به ، فإنّي حريص على رشدكم . إنّ الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العَجْز والضّعف ، وهو مما لا يحبّه الله ولا يعطي عليه النصر والظّفَر . أيّها الناس إنه قُذِف في قلبي أنّ مَنْ كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ماعند الله غفر الله له ذنبه ، ومَنْ صلّى عَلَى محمد [2] صلّى الله عليه وملائكته

---

(١) أنساب الأشراف ١ : ٣١٧ .

(٢) ا ، والواقدي : « ومن صلى عليّ » .

عشرا ، ومَنْ أحسنَ؟ من مسلم أو كافر وقع أجرُه على الله فى عاجل دنياه أو فى آجلِ آخرته، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة ، إلا صبيًّا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا ، ومَن استغنى عنها استغنى الله عنه ، والله غنىٌّ حميد . ماأعلم من عمل يقرّبكم إلى الله إلّا وقد أمرتُكم به ، ولا أعلم من عمل يقرّبكم إلى النار إلّا وقد نهيتكم عنه . وإنه قد نفث الرُّوح الأمين فى روعى أنّه لن تموت نفس حتى تستوفىَ أقصى رزقها ، لا ينقص منه شىء وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله ربَّكم ، وأجملوا فى طلب الرزق ، ولا يحملنّكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربّكم ، فإنه لا يُقدر على ما عنده إلا بطاعته ، قد بيّن لكم الحلال والحرام ، غير أنّ بينهما شُبَهًا من الأمر لا يعلمها كثير من الناس إلّا مَنْ عصم ، فمن تركها حفظ عِرْضه ودينه ، ومن وقع فيها كان كالراعى إلى جنب الحِمَى أوشك أن يقع فيه وبعلم ، وليس مَلِكٌ إلّا وله حِمًى ، ألا وإنّ حمى الله محارمه ، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد ، إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده. والسلام عليكم .

قال الواقدىّ : حدّثنى ابنُ أبى سَبْرة ، عن خالد بن رَبَاح ، عن المطّلب بن عبد الله ، قال : أوّل مَنْ أنشب الحرب بينهم أبو عامر ، صنع فى خمسين من قومه ، معه عبيد قريش فنادى أبو عامر — واسمه عبد عمرو — يالَلأوس : أنا أبو عامر ، قالوا : لا مرحبا بك ، ولا أهلا ، يافاسق ! فقال : لقد أصاب قومى بعدى شرّ . قال : ومعه عبيد أهل مكة ، فتراموا بالحجارة هم والمسلمون ، حتى تراصحوا بها ساعة إلى أن ولّى أبو عامر وأصحابه ؛ ويقال: إن العبيد لم يقاتلوا ، وإنهم أمروهم بحفظ عسكرهم .

قال الواقدىّ : وجعل نساء المشركين قبل أن يلتقىَ الجمعان أمام صفوف المشركين يضربْنَ بالأكبار[1] والدفوف والمزاهير[2] ، ثمّ يرجعن فيكنّ إلى مؤخّر الصفّ ؛ حتى

(١) الأكبار : جمع كبر ، بفتحتين ، وهو الطبل ، معرب .

(٢) المزاهير : جمع مزمار ، وهو هنا الدف .

إذا دنوا من المسلمين تأخر النساء ، فقمن خلف الصفوف ، وجعل كلما ولى رجل حرضنه ، وذكرنه قتلى بدر .

وقال الواقدي : وكان قزمان من المنافقين ، وكان قد تخلف عن أحد ، فلما أصبح عيره نساء بني ظفر ، فقلن : ياقزمان ، قد خرج الرجال وبقيت ! استحي ياقزمان ، ألا تستحيي مما صنعت ! ما أنت إلا امرأة ، خرج قومك وبقيت في الدار ! فأحفظنه ، فدخل بيته ، فأخرج قوسه وجعبته وسيفه — وكان يعرف بالشجاعة — وخرج يعدو ، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يسوي صفوف المسلمين ، فجاء من خلف الصف ، حتى انتهى إلى الصف الأول ، فكان فيه ، وكان أول من رمى بسهم من المسلمين ، جعل يرسل نبلا كأنها الرماح ، وإنه ليكت كتيت[1] الجمل ثم صار إلى السيف ، ففعل الأفاعيل ، حتى إذا كان آخر ذلك قتل نفسه . وكان رسول صلى الله صلى الله عليه وآله إذا ذكره قال : من أهل النار . قال : فلما انكشف المسلمون ، كسر جفن سيفه وجعل يقول : الموت أحسن من الفرار ، يا بلأوس ! قاتلوا على الأحساب ، واصنعوا مثل ما أصنع . قال : فيدخل بالسيف وسط المشركين ، حتى يقال قد قتل ، ثم يطلع فيقول : أنا الغلام الظفري ، حتى قتل منهم سبعة ، وأصابته الجراحة ، وكثرت فيه ، فوقع فمر به قتادة بن النعمان ، فقال له : أنا العيداق ، قال قزمان : لبيك ! قال : هنيئا لك الشهادة ! قال قزمان : إني والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت إلا على الحفاظ ، أن تسير قريش إلينا فتطأ سعفنا ، قال : فآذته الجراحة فقتل نفسه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر[2] » .

---

(١) الكتيت : صياح الجمل .

(٢) في ابن هشام ٣ : ٣٧ عن ابن إسحاق : « حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجل أني لا يدرى ممن هو ؛ يقال له قزمان ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكر له : « إنه لمن أهل النار » ، قال : « فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا ، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظفر . قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم ياقزمان فأبشر ، قال : بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلت إلا على أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت ، قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته ، فقتل به نفسه » .

قال الواقدىّ : وتقدّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى الرّماة ، فقال : احموا لنا ظهورَنا ، فإنا نخاف أن نؤتَى مِنْ ورائنا ، والزموا مكانَكم ، لا تبرحوا منه ، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم ، فلا تفارقوا مكانَكم ؛ وإن رأيتمونا نقتَل ؛ فلا تعينونا ، ولا تدفعوا عنّا . اللهمّ إنى أشهدك عليهم ، ارشقُوا[1] خيلهم بالنّبل فإن الخيل لا تقدم على النّبل ، وكان للمشركين مجنّبتان : ميمنة عليها خالد بن الوليد ، وميسرة عليها عِكْرمة بن أبى جهل .

قال الواقدىّ : وعمل رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسه مَيمنة وميسرة ، ودفع اللّواء الأعظم إلى مصعب بن عُمير ، ودفع لواء الأوْس إلى أُسَيْد بن حُضَير ، ولواء الخزرج إلى سعد ابن عبادة — وقيل . إلى الحُباب بن المنذر — فجعلت الرماة تحمى ظهور المسلمين ، وترشق خيلَ المشركين بالنّبل ، فولّت هاربة ، فإن بعض المسلمين[2] : والله لقد رَمَقْتُ نبلنا يومئذ ، ما رأيت سهما واحدا ممّا يرمى به خيلُهم يقع فى الأرض ، إمّا فى فرس أو فى رجل ؛ ودنا القوم بعضهم من بعض ، وقدّموا طلحة بن أبى طلحة صاحب لوائهم ، وصفّوا صفوفهم ، وأقاموا النّساء خلف الرجال يضربن بين أكتافهم بالأكبار والدّفوف ، وهند وصواحبها يحرّضن ويدمّرن[3] الرجال ، ويذكرن مَنْ أصيب ببدر ، ويقلن :

نحنُ بنات طارقْ ... نمشى على النّمارقْ
إنْ تُقبلوا نعانقْ ... أو تدبرُوا نفارقْ
* فراقَ غيرَ وامقْ *

قال الواقدىّ : وبرز طلحة ، فصاح : مَنْ يبارز ؟ فقال علىٌّ عليه السلام له : هل لك فى مبارزتى ؟ قال : نعم ، فبرزا بين الصّفّين ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس تحت

---

(١) أرشق الرامى : رمى وجها ، أى أطلق السهم إلى المكان المواجه له .
(٢) الواقدى : «الرماة» .
(٣) يدمرن الرجال : يحضونهم على القتال .

الرّاية ، عليه دِرْعان ومغفر وبيضته ، فالتقيا ، فبدره عليٌّ عليه السلام[1] بضربة على رأسه ، فمضى السيف حتى فلَق هامَته إلى أن انتهى إلى لحيته فوقع ، وانصرف علي عليه السلام ، فقيل له: هلاّ دفّفْتَ[2] عليه ! قال : إنه ما صرع استقبلني بعورته ؛ فعطفتْني عليه الرّحم ؛ وقد علمت أن الله سيقتله ؛ هو كبش الكتيبة .

قال الواقديّ : وروِي أنّ طلحة حمل على عليّ عليه السلام : فضربه بالسيف ، فاتقاه بالدّرَقة ، فلم يصنع شيئا ، وحمل عليّ عليه السلام وعلى طلحة درْع ومغفر ، فضربه بالسيف ، فقطع ساقيه ، ثم أراد أن يدفّف عليه ؛ فسأله طلحة بالرّحم ألا يفعل ؛ فتركه ولم يذفّف عليه .

قال الواقديّ : ويقال: إنّ عليا عليه السلام دفّف عليه ؛ ويقال : إنّ بعض المسلمين مرّ به في المعركة فدفّف عليه . قال : فلما قتل طلحة سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكبّر تكبيرا عاليا وكبّر المسلمون ؛ ثم شدّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على كتائب المشركين ؛ فجعلوا يضربون وجوههم ، حتى انتقضت صفوفهم ، ولم يقتل إلاّ طلحة ابن أبي طلحة وحده .

قال الواقديّ : ثم حمل لواء المشركين بعد طلحة أخوه عثمان بن أبي طلحة ، وهو أبو شيبة ، فارتجز وقال :

إنّ عَلَيّ ربّ اللواء حقًّا ... أن تُخضب الصَّعْدة أو تَندقّا

فتقدّم باللواء والنسوة خلفه ، يحرّضن ويضربن بالدفوف ، فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب رحمه الله ، فضربه بالسيف على كاهله ، فقطع يده وكتِفه ، حتى انتهى إلى

---

(١) ب « فبرزه » تحريف ، والصواب ما في ا ، والواقدي .
(٢) دففت عليه : أجهز

مُؤْتَزِرِه فبدا سَحْرُه [1] ، ورجع ، فقال : أنا ابن ساقي الحجيج ؛ ثم حمل اللواء أخوهما أبو سعد بن أبي طلحة ، فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته ـ وكان دراعا ، وعليه مغفر لا رفرف عليه [2] ، وعلى رأسه بيضته فأدلع لسانه [3] إدلاع الكلب .

قال الواقديّ : وقد روى أنّ أبا سعد لما حمل اللواء ، قام النساء خلفه يقلن :

ضربًا بني عبدِ الدّارْ ضَرْبًا حُمَاةَ الأدْبارْ

* ضربا بكلّ بتّارْ *

قال سعد بن أبي وقاص : فأحمل عليه فأقطع يدَه اليمنى ، فأخذ اللواء باليد اليسرى ، فأضربه على يده اليسرى ؛ فقطعتها ، فأخذ اللواء بذراعيه جميعا وضمّه إلى صدره ، وحنى عليه ظهرَه . قال سعد : فأدخلُ سيّة القوس بين الدّرع والمِغفر ، فأقلع [4] المغفر ، فأرمي به وراء ظهره ، ثم ضربته حتى قتلته ، وأخذت أسلبُه درعه ، فنهض إليّ سُبيع بن عبد عوف ونفر معه فمنعوني ، سلبه وكان سلبُه أجود سلب رجل من المشركين : درع فضفاضة ، ومِغفر وسيف جيّد ، ولكن حيل بيني وبينه .

قال الواقديّ : وهذا أثبت القولين .

* * *

قلت : شتّان بين عليّ وسعد ! هذا يجاحش على السَّلَب ويتأسّف على فواته ، وذلك بقتل عمرو بن عبد ودّ يوم الخندق ، وهو فارس قريش وصنديدها ومبارزه ، فيعرض عن سلبه ، فيقال له : كيف تركت سَلَبه وهو أنفس سلب ؟ فيقول : كرهت أن أبرّ السّبيّ ثيابه ، فكأنّ حبيبا عناه بقوله :

---

(١) السحر هنا : الرئة .
(٢) الواقدي : « له » .
(٣) أدلع لسانه : أخرجه .
(٤) الواقديّ : « فأقتلع » .

إنّ الأسودَ أسودُ الغابِ همّتُها يوم الكريهة فى المسلوب لا السَّلبِ [1]

* * *

قال الواقدىّ : ثم حمل لواء المشركين بعد أبى سعد بن أبى طلحة مسافع بن أبى طلحة ، فرماه عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح فقتله ، فحمل إلى أمّه سلافة بنت سعد بن الشهيد ، وهى مع النساء بأحُد ، فقالت لمن أصبتَ ؟ قال : لا أدرى ، سمعته يقول : خُذْها وأنا ابن الأقلح ، فقالت : أقَحِيّ والله ! أى هو من رهطى — وكانت من الأوس .

قال الواقدىّ : وروىَ أنّ عاصما لما رماه ، قال له : خذها وأنا ابن كسرة ، وكانوا يقال لهم فى الجاهلية : بنو كسر الذهب ، فقال لأمه : لا أدرى ، إلا أنى سمعته يقول : خذها وأنا ابن كسرة ، فقالت سُلافة أوسىّ والله ! اكسرى ، أى أنه منّا فيومئذ يدرت سلافة أن تشرب فى قحف رأس عاصم بن ثابت الخمر ، وجعلت لمن جاءها به مائة من الإبل .

* * *

قلت : فما قتله المشركون فى يوم الرَّجيع أرادوا أن يأخذوا رأسه ، فيحملوه إلى سُلافة فحمته الدَّبر [2] يومه ذلك ، فلما جاء الليل قصدوا أنّ الدَّبر لا تحميه ليلا ، جاء الوادى بسيل عظيم ، فذهب برأسه وبدنه . اتفق المؤرخون على ذلك .

* * *

قال الواقدىّ : ثم حمل اللواء بعد الحارث أخوه كلاب بن طلحة بن أبى طلحة ، فقتله الزُّبير بن العوّام ، ثم حمله أخوه الجلاس بن طلحة بن أبى طلحة ، فقتله طلحة بن عبيدالله ، ثم حمله أرطاة بن عبد شُرحبيل ، فقتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، ثم حمله شريح بن

---

(١) ديوانه ١ : ٢١ ، وروايته : « إن الأسود أسود عين »

(٢) الدبر : جماعة النحل والزنابير

قانط[1] ، فقتل لا يُدْرى مَنْ قتله ، ثم حمل صُواب ، علام بنى عبد الدار ، فاختلف فى قاتله فقيل : قتله على بن أبى طالب عليه السلام ، وقيل : سعد بن أبى وقاص ، وقيل : قُرمان ، وهو أثبت الأقوال .

قال الواقدىّ : انتهى قُرمان إلى صُواب ، فحمل عليه ، فقطع يده اليمنى ، فاحتمل اللواء باليسرى فقطع اليسرى ، فاحتضن اللواء بذراعيه وعَضُدَيْه ، وحَنَى عليه ظهره ، وقال : يابنى عبد الدّار ، هل اعتذرت ؟ فحمل عليه قُرْمان فقتله .

قال الواقدىّ : وقالوا : ما ظفر الله تعالى نبيّه فى موطن قطّ ما ظفره وأصحابه يوم أُحُد ، حتى عصوا الرسول ، وتنازعوا فى الأمر ، فقد قتل أصحاب اللواء وانكشف المشركون منهم لا يلوون ، ونساؤهم يدعون بالويل بعد ضرب الدّفّ والفرح .

قال الواقدىّ : وقد روى كثير من الصحابة ممّن شهد أُحُداً ، قال كلّ واحد منهم : والله إنّى لأنظر إلى هند وصواحبها منهزمات ، ما دون أحدهنّ شىء لمن أراده ؛ ولكن لا مردّ لقضاء الله . قالوا : وكان خالد بن الوليد كلّما أتى من قِبَل ميسرة النبى صلى الله عليه وآله ليحور حتى يأتيهم من قبل الشِّعب ؛ تردّه الرماة حتى فعل وفعلوا ذلك مرارا ، ولكن المسلمين أُتُوا من قبل الرّماة ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوعز إليهم فقال . قوموا على مصافّكم هذه فاحموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا ، وإن رأيتمونا نُقتلُ فلا تنصرونا . فلمّا انهزم المشركون ، وتبعهم المسلمون يضعون السّلاح فيهم حيث شاءوا حتى أحجزوهم عن العسكر ، ووقفوا ينتهبونه . قال بعض الرماة لبعض . لم تقيمون هاهنا فى غير شىء ! قد هزم الله العدوّ ؛ وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم ، فادخلوا عسكر المشركين ، فاغنموا مع إخوانكم ، فقال بعضهم : ألم تعلموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكم : « احموا ظهورنا ، وإن غنمنا فلا تشركونا ! » ،

(١) الواقدى : « قارظ »

فقال الآخرون : لم يُرِدْ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم هذا ، وقد أذنّ الله للمشركين وهزمهم ، فادخلوا العسكر ، فانتهبوا مع إخوانكم . فلمّا اختلفوا خطّهم أميرُهم عبد الله ابن جُبَير ، وكان يومئذ معمّماً بثياب بيض ، فحمد الله وأمرهم بطاعة رسوله ، وألّا يخالف أمره ، فعصوْه ، وانطلقوا فلم يبقَ معه إلّا نفيرٌ ما يبلغون العشرة ، منهم الحارث بن أنس ابن رافع ، يقول : يا قوم ، اذكروا عهد نبيّكم إليكم ، وأطيعوا أميركم وثبوا ، وذهبوا إلى عسكر المشركين ينتهبون وخلّوا ظهورَ الخيل[1] ، وانتقضت صفوف المشركين ؛ واستدارت رحالهم ، ودارت[2] الريح — وكانت إلى أن انتقض صفّهم صبًا ، فصارت دبُوراً — فمطر خالد بن الوليد إلى خلاء الخيل ومعه أهله ، فكرّ بالخيل ، ومعه عكرمة بالخيل ، فانطلقا إلى موضع الرماة ، فحملوا عليهم؛ فرماهم القوم حتى أصيبوا ، ورمى عبد الله ابن جُبير حتى فنيتْ نبْله ، ثم طعن بالرمح حتى انكسر ؛ ثمّ كسر جفن سيفه ؛ فقاتل حتى قتل ، وأفلت جُعَيل بن سراقة وأبو بُرْدة بن يسار بعد أن شاهدا قتل عبد الله ابن جُبير ، وكان آخر من انصرف من الخيل ، فلحقا بالمسلمين

قال الواقديّ : فروى رافع بن خديج ، قال : ما قتل خالد برماه أقبلَ بالخيل وعكرمة ابن أبي جهل يتلوه ، فخالطا وقد انتقضت صفوفها ، وبدى إبليس — وتصوّر في صوره جُعَيل بن سراقة : إنّ محمداً قد قتل ثلاث صرخات ، فانثنى يومئذ جُعَيل بن سراقة ببليّة عظيمة حين تصوّر إبليس في صورته ، ورأى جُعَيلا ليقاتل مع المسلمين أشدّ القتال ، وإنّه إلى حسب أبي بُرْدة بن نيار . وحوّات بن جُبير قال رافع بن خديج : فوالله ما رأيت دولةً كانت أسرع من دولة المشركين عليه ، وأقبل المسلمون على جُعَيل بن سراقة يريدون قتله ، يقولون : هذا الذي صاح أنّ محمداً قد قُتِل ، فشهد له حوّات بن جبير وأبو بُرْدة ، أنّه كان إلى جنبهما حين صاح الصائح ، وأنّ الصائح غيره .

(١) الواقدي : « عيينة » ، وهو الخطأ (٢) الواقدي « وهبت »

قال الواقدىّ : فروى رافع ، قال : أُتينا من قِبَل أظهرنا ، ومعصية نبيّنا ، واختلط المسلمون ، وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضا ، ومايشعرون بما يصنعون من الدَّهَش والعَجَل ، وقد جرح يومئذ أُسَيْد بن حُضَير جرحين ، ضربه أحدهما أبو بردة بن نِيَار ، وما يدرى ، يقول : خذها وأنا الغلام الأنصارىّ ، وكرّ أبو رعثة فى حَوْمة القتال : فضرب أبا بردة ضربتين ، مايشعر أنه هو ، يقول : خذها وأنا أبو رَعْثة ، حتى عرفه بعد ، فكان إذا لقيه ، قال : انظر ماصنعت بى ، فيقول أبو رَعْثة : وأنت فقد ضربت أُسَيْد بن حضير ولا تشعر ! ولكن هذا الجرح فى سبيل الله ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : هو فى سبيل الله يا أبا بُردة ، لك أجره ، حتى كأنّك ضربت أحد المشركين ، ومن قُتِل فهو شهيد .

قال الواقدىّ : وكان الشيخان : حُسَيل بن جابر ورفاعة بن وَقْش شيخين كبيرين ، قد رقما فى الآطام مع النساء ، فقال أحدهما لصاحبه : لا أبالك ! ماننتظر من أمسنا ! فوالله ماعلىّ إلّا هامة اليوم أو غد ، وما بقى من أجلى قدر ظِمْء[1] دابة ، فهو أحدنا أسياف فلحقنا برسول الله صلى الله عليه وآله لعلّ الله يرزقنا الشهادة ! قال : فلحقا برسول الله صلى الله عليه وآله ، فأمّا رفاعة فقتله المشركون ، وأما حُسَيل بن جابر فالتفّت عليه سيوف المسلمين ، وهم لا يعرفونه حين اختلطوا ، وبه حذيفة يقول : أبى أبى ! حتى قتل ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ! ماعلمتم ! فردّ به عبد رسول الله صلى الله عليه وآله خيراً ، وأمر رسول الله بديته أن تخرج ، ويقال : إنّ الذى أصابه عتبة بن مسعود ، فتصدّق حذيفة ابنه بدمه على المسلمين .

قال الواقدىّ : وأقبل يومئذ الحُباب بن المنذر بن الجموح يصيح : يا آل سلمة إلىّ قبلوا

---

(١) يقال : ما بقى منه إلا ظمء دابة ؛ أى لم يبق من عمره إلا اليسير .

عُنُقًا[1] واحدا : لبّيك داعي الله ، لبّيك داعي الله ! فيضرب يومئذ مختار بن صخر صربة في رأسه مثقلة وما يدري ، حتى أطيروا لشعار سهم ، فجعلوا يصيحون : أمِتْ أمِتْ ! فكفّ بعضهم عن بعض .

قال الواقدي : وكان نسطاس مولى صرار بن أميّة ممّن حضر أحدا مع المشركين ، ثم أسلم بعد ، وحسن إسلامه ، فكان يحدّث ، قال : قد كنت ممّن حلف في العسكر يومئذ ، ولم يقاتل معهم عبد إلّا وحشيّ وغلام بني عبد الدّار ، فكان أبو سفيان صباح فيهم يا معشر قريش ، حلّوا[2] عسكم على مناكبكم يكونوا هم الذين يقومون على رماحكم ، فجعلنا نعصبها إلى بعض ، وعلّقنا النبل ، وانطلق القوم على تعبيتهم ، ميمنة وميسرة وأقبلت الرجال الأنصاع ، وحمل القوم بعضهم من بعض ، فانهزم ساقة ، وإذا أصحابنا منهزمون ، فدخل المسلمون العسكر وهن في الرجال ، وأخذوا[3] يقلن ، وهن فيمن أسرعوا ، وانتهبوا العسكر أقبح انتهاب ، حتى إنّ خلخالا منهن قال : أين مال صفوان بن أميّة ؟ فقلت : ما حمل إلّا نفقة في الرّحل ، فخرج يسوقني حتى أخرجني من العَيْنة خمسين ومائة مثقال ذهب ، وما ترك أحد منهم أسيرا معه ! وأخذ الناس الثياب ، فبين في خُمُرهن سلم لمن أرادهن ، فصار النهب في أيدي المسلمين .

قال نسطاس : فإنّا لعلى ما عسى أن يكون من الاستلام ، وظننّا أنّ الجبل ، وهو الجبل مقبلة تركض ، فدخلوا العسكر ، فلم يكن أحد يذودهم ، فضيعت النعم التي كانت بالرّماة وخرجوا إلى النهب والرماة يتبعون ، وأنا أنظر إليهم ما تعطي قسيّهم وحمائلهم ، كلّ واحد منهم في يديه أو حصصه شيء قد أخذه ، فلما رأيت خيلنا دخلت على قوم عارين آمنين ، فوضعوا فيهم السيوف ، فقتلوهم قتلا ذريعا ، وتفرّق المسلمون في كلّ وجه ،

---

(١) العنق : الجماعة من الناس . (٢) في رواية : « حلوا » .
(٣) في الواقدي : « فدخل أصحابه يحملون ما وجدوا ، فجعلوا » .

وتركوا ما انتهبوا ، وأحلوا عن عسكره ، ورجعت متاع بعد ، لم يفقد منه شيئاً ، وحمّوا أسراناً ، ووجدنا الذهب في المعركة ، ولقد رأيت يومئذ رجالاً من المسلمين صمّ صفوان ابن أميّة إليه صمّة ، ظننت أنه سيموت ، حتى أدركته وبه رَمَق ، فوجأت[1] ذلك المسلم بخنجر معي ، فوقع ، فسألت عنه ، فقيل : رجل من بني ساعدة . ثم هداني الله بعد للإسلام .

قال الواقدي : حدثني ابن أبي سبرة ، عن إسحق بن عبد الله ، عن عمر بن الحكم ، قال : ما علمنا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين أعاروا على الثقل فأخذوا ما أخذوا من الذهب بقي معه من ذلك شيء يرجع به حيث عشيهم المشركون ، واحتبسوا إلا رجلين أحدهما عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، جاء بمصحفة وحمدها في العسكر ، فيه خمسون ديناراً ، فشدّها [illegible] تحت ثيابه ، ووجه عتاد بن بشر عشرة فيها ثلاثة عشر منفلاً أخذها في حقيب قميصه ، وفوقها الدرع وقد حزم وسطه ، فما ملك رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يحمله وما بعد .

قال الواقدي : وروى يعقوب بن أبي صعصعة ، عن موسى بن عقبة ، عن أبيه ، قال : لما صاح الشيطان ابن[2] منقذ ، إن محمداً قد قتل ما أراد الله عز وجل من ذلك ، سقط في أيدي المسلمين ، وتفرقوا في كل وجه ، وأصعدوا في الجبل ، فكان أول من عرفهم فكون رسول الله صلى الله عليه وآله سمعاً كعب بن مالك . قال كعب : عرفته ، فصحت أصيح هذا رسول الله ، وهو شيء يرصعه على فيه أن اسكت .

قال الواقدي : وروت عميرة بنت عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيها ، قالت : قال أبي لما انكشف الناس : كعب أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) وجأته : أي ضربته .
(٢) ابن منقذ : هو الشيطان المعروف ذكره في حديث منقذ بن نفيل العمري .

وبشّرت به المسلمين حيًّا سويًّا ، عرفت عينيه من تحت المِغْفر ؛ فناديت : يامعشرَ الأنصار ! أبشروا ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأشار إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله أن اصمت . قال : ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله بكعب ، فلبس لأمته ، وألبس كعبا لأمة نفسه ، وقاتل كعب يومئذ قتالا شديدا ، جرح سبعة عشر جرحا .

قال الواقديّ : وحدّثني ابنُ أبي سَبْرة عن خالد بن رباح ، عن الأعرج ، قال : لما صاح الشيطان إنّ محمدا قد قُتِل ؛ قال أبو سفيان بن حرب : يامعشرَ قريش ، أيّكم قتل محمّدا ؟ قال ابن قميئة : أنا قتلته . قال : نسوّرك[1] كما تفعل الأعاجم بأبطالها ، وجعل أبو سفيان يطوفُ بأبي عامر الفاسق في المعركة : هل يرى محمدا بين القتلى ! فمرّ بخارجة بن زيد بن أبي زُهير ، فقال : يا أبا سفيان ، هل تدري مَنْ هذا ؟ قال : لا ، قال : هذا خارجة بن زيد هذا أسيد بني الحارث بن الخزرج ؛ ومرّ بعباس بن عبادة بن نَضْلة إلى جنبه ، قال : أتعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا ابن قوقل ؛ هذا الشريف في بيت الشرف ، ثم مرّ بذكوان بن عبد قيس ، فقال : وهذا من سادتهم ، ثم مرّ بابنه حنظلة بن أبي عامر ، فوقف عليه ، فقال أبو سفيان : مَنْ هذا ؟ قال : هذا أعزّ مَنْ هاهنا عليّ ، هذا ابني حنظلة . قال أبو سفيان : ما يرى مصرع محمد ؛ ولو كان قتل لرأيناه ، كذب ابن قميئة ! وبقي خالد بن الوليد ، فقال : هل يبيّن عندك قتل محمد ؟ قال : لا ، رأيته أقبل في نفر من أصحابه مصعدين في الجبل ، فقال أبو سفيان : هذا حقّ ، كذب ابن قميئة ، زعم أنه قتله .

* * *

قلت : قرأت على النقيب أبي يزيد رحمه الله هذه الغزاة من كتاب الواقديّ ، وقلت له : كيف جرى لهؤلاء في هذه الواقعة ؟ فإنّي أستعظم ما جرى ! فقال : وفيم ذلك ! ما تستعظمه حَمَل قلب المسلمين من بعد قتل أصحاب الألوية على قلب المشركين ، فكسره

(١) نسوّرك : نلبسك السوار ، وهذا مما كانت تفعله الأعاجم بملوكهم .

فلو ثبتت مجنّبتا رسول الله اللّتان فيهما أسيد بن حُضَير والحُباب بن المنذر بإزاء مجنّبتي المشركين ، لم ينكسر عسكر الإسلام ؛ ولكن مجنّبتا المسلمين أطبقت إطباقا واحدا على قَلْب المشركين ، مضافا إلى قلب المسلمين ، فصار عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله قَلْباً واحدا ، وكتيبة واحدة ، فحطمه قلب قريش حَطْمة شديدة ، فلمّا رأت مجنبتا قريش أنّه ليس بإزائها أحدٌ ، استدارت المجنّبتان من وراء عسكر المسلمين ، وصمد كثير منهم للرّماة الذين كانوا يحمون ظهر المسلمين ، فقتلوهم عن آخرهم ، لأنهم لم يكونوا ممّن يقومون لخالد وعكرمة ، وهما في ألفيْ رجل ، وإنما كانوا خمسين رجلا ، لاسيّما وقد ترك كثير منهم مركزه وشرّه إلى الغنيمة ، فأكبّ على النّهب .

قال رحمه الله : والذي كسر المسلمين يومئذ ، ونال كلّ منال خالد بن الوليد ، وكان فارسا شجاعا ، ومعه خيل كثيرة ، ورجال أبطال موتورون ، واستدار خَلْف الجبل ؛ فدخل من الثّغرة التي كان الرّماة عليها ، فأتاه من وراء المسلمين ، وتراجع قلب المشركين بعد الهزيمة ، فصار المسلمون بينهم في مثل الحلْقة المستديرة ، واختلط النّاس ، فلم يعرف المسلمون بعضُهم بعضا ، وضرب الرجل منهم أخاه وأباه بالسّيف وهو لا يعرفه لشدّة النّقْع والغبار ، ولما اعتراهم من الدّهَش والعَجَلة والخوف ؛ فكانت الدّبْرة عليهم ، بعد أن كانت لهم ، ومثل هذا يجري دائما في الحرْب .

فقلت له رحمه الله : فلمّا انكشفَ المسلمون ، وفرّ منهم مَنْ فرّ ، ما كانت حال رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : ثبت في نفر يسير من أصحابه يحامون عنه .

فقلت : ثم ماذا ، قال : ثم ثابت إليه الأنصار ، وردّت إليه عُنُقا واحدا بعد فرارهم وتفرّقهم ، وامتاز المسلمون عن المشركين وكانوا ناحية ، ثم التحمت الحرب ، واصطدم الفَيْلَقان (١)

---

(١) الفيلق ، كصيقل الجيش .

قلت : ثمّ ماذا ؟ قال : لم يزل المسلمون يحامُون عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، والمشركون يتكاثرون عليهم ، ويقتلون فيهم حتى لم يبقَ من النهار إلّا القليل ، والدّولة للمشركين .

قلت : ثمّ ماذا ؟ قال : ثمّ علم الذين نجوا من المسلمين أنّه لا طاقة لهم بالمشركين ، فأصعدوا فى الجبل فاعتصموا به .

فقلت له : فرسول الله صلى الله عليه وآله ما الذى صنع ؟ فقال : صعّد فى الجبل .

قلت له : أفيجوز أن يقال : إنه فرّ ؟ فقال : إنّما يكون الفرار ممّن أمعن فى الهرب فى الصحراء والتيداء ، فأمّا من الجبل معلوٌ عنه وهو فى صعده ؛ فلمّا رأى مالا يحسن أصعد فى الجبل ؛ فإنّه لا يسمّى فارًّا ، ثم سكت رحمه الله ساعة ، ثم قال : هكذا وقعت الحال ؛ فإن شئتَ أن تسمّى ذلك فرارًا فسمّه ، فقد خرج من مكة يوم الهجرة فارًّا من المشركين ، ولا وصمةَ عليه فى ذلك .

فقلت له : قد روى الواقدىّ عن بعض الصحابة ، قال : لم يبرحْ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله ذلك اليوم شبراً واحدا ، حتى تحاجزت الفئتان ؟ فقال : دعْ صاحب هذه الرواية فليقل ما شاء ، فالصحيح ما ذكرته لك ، ثم قال : كيف يقال : لم يزلْ واقفًا حتى تحاجزت الفئتان ؟ وإنما تحاجزوا بعد أن ناداه أبو سفيان ، وهو فى أعلى الجبل عما ناداه ، فلما عرف أنّه حيٌّ وأنّه فى أعلى الجبل ، وأن الخيل لا تستطيع الصّعود إليه ، وأنّ القوم إن صعدوا إليه رجّالة لم يقوُوا بالظّفر به ؛ لأنّ معه أكثر أصحابه ، وهم مستميتون إن صعّد القوم إليهم ، وأنّهم لا يقتلون منهم واحدا حتى يقتلوا منهم اثنين أو ثلاثة ، لأنهم لا سبيل لهم إلى الهرَب ، لكونهم محصورين فى درْبٍ واحد ، فالرجل منهم يحامى عن خَيْط رقبته ـ كفّوا عن الصعود وقنعوا بما وصلوا إليه من قتل مَن قتلوه فى الحرب ، وأمّلوا

يوما ثانيا يكون لهم فيه الظَّفر الكلّيّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله ، فرجوا عنهم وطلبوا مكّة .

وروى الواقديّ عن أبي سَبْرة! عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فَرْوة ، عن أبي الحويرث ، عن نافع بن جُبير ، قال : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أُحُداً ، فنظرت إلى النَّبل يأتي من كلّ ناحية ، ورسول الله صلى الله عليه وآله في وسطها كلّ ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيتُ عبدَ الله بن شهاب الزهريّ ، يقول يومئذ : دُلّوني على محمّد ، فلا نجوتُ إن نجا ! وإنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله إلى جنبه ، ما معه أحد ، ثم جاوزه ، ولقي عبد الله بن شهاب صفوان بن أمية ، فقال له صفوان : تَرِحت [1] ! هلا ضربت محمدا ، فقطعت هذه الشأفة ، فقد أمكنك الله منه ! قال ابن شهاب : وهل رأيته ؟ قال : نعم أتتَ إلى جنبه ، قال : والله ما رأيته ، أخاف بالله إنّه منّا لممنوع ، خرجنا أربعة تعاهدنا وتعاقدنا على قتله ، فلم نخلص إلى ذلك .

قال الواقديّ : فروى نملة بن أبي نملة — واسم أبي نملة عبد الله بن معاذ ، وكان أبوه معاذ أخا البراء بن معرور لأمّه — قال : لمّا انكشف المسلمون ذلك اليوم نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وما معه أحد إلا نُفَير قد أخذ قُرابه من أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فانطلقوا به إلى الشِّعْب ، وما للمسلمين لواء قائم ، ولا فئة ، ولا جمع ، وإنّ كتائب المشركين لتحوشهم مقبلة ومُدبرة في الوادي ، يلتقون ويفترقون ما يرون أحدا يردّهم .

قال الواقديّ : وحدثني إبراهيم بن محمد بن شُرحبيل العبدريّ ، عن أبيه ، قال : حمل مصعب اللّواء ، فلما حال المسلمون ثبت به مصعب قبل ابن قميئة ، وهو فارس فضرب يد مصعب فقطعها ، فقال مصعب : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ وأخذ اللواء بيده اليسرى ، وحنّى عليه ، فضربه فقطع اليسرى ، فضمّه بعضديه إلى صدره ،

---

(١) ا : « ترحت » .

وهو يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ ، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه ، واندق الرمح ، ووقع مُصْعَب وسقط اللّواء ، وابتدره رجلان من بني عبد الدّار سويبط بن حَرْملة وأبو الرُّوم ، فأخذه أبو الرُّوم ، فلم يزل بيده حتّى دخل به المدينة ، حين انصرف المسلمون .

قال الواقديّ : وقالوا : إنّ رسولَ الله لما لحمه القتال ، وخلص إليه ودبّ عنه مصعب ابن عمير وأبو دُجَانة ، حتى كَثُرت به الجراحة ، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «مَنْ رجلٌ يشري نفسه؟» فوثب فئة من الأنصار خمسة ، منهم عُمارة بن زياد بن السَّكن ، فقاتل حتى أُثبت ، وقامت فئة من المسلمين حتى أجهضوا أعداء الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعُمارة بن زياد : ادْنُ منّي ، حتى وسّده رسول الله صلى الله عليه وآله قدمه ، وإنّ به لأربعة عشر جُرْحاً حتى مات ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يدمُر النّاس ويحضّهم على القتال ، وكان رجالٌ من المشركين قد أدلفوا[1] المسلمين بالرّمي : منهم حيّان ابن العرقة ، وأبو أسامة الجُشَميّ ، فجعل النبي صلى الله عليه وآله يقول لسعد : «ارم فداك أبي وأمّي !» فرمى حيّان بن العرقة بسهم فأصاب ذَيْل أمّ أيمن ، وكانت جاءت يومئذ تسقي الجرحى ، فقلبها ، وانكشف ذَيْلُها عنها ، فاستغرب حيّان بن العرقة ضحكا ، وشقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهما لا نصل له ، وقال : ارم به ، فرمى فوضع السّهم في ثغرة نحر حيّان ، فوقع مستلقياً ، وبدت عورته . قال سعد : فرأيت النبي صلى الله عليه وآله ضحك يومئذ حتى بدت نواجذه ، وقال : استقاد لها سعد ، أجاب الله دعوتك ، وسدّد رميّتك ، ورمى يومئذ مالك بن زهير الجُشَميّ أخو أبي أسامة الجُشَميّ المسلمين رمياً شديدا ، وكان هو وريّان بن العرقة قد أسرعا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأكثر فيهم القتل يستتران بالصّخر ، وبرمان ،

(١) أدلفوهم : أوجعوهم

فبيناهم على ذلك أبصر سعد بن أبي وقّاص مالكَ بن زهير يرمي من وراء صخرة قد رمى ، وأطلع رأسه ، فيرميه سعد ، فأصاب اسمُ سهمه عينه ، حتى خرج من قفاه ، فترى[1] في السماء قامة ، ثم رجع فسقط ، فقتله الله عزّ وجل .

قال الواقدي : ورمى رسولُ الله صلى الله عليه وآله عن قوسه يومئذ حتى صارت شظيّة ، فأخذها قتادة بن النعمان ، وكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عين قتادة حتى وقعت على وَجْنته قال قتادة : فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقلت : يا رسولَ الله ، إن عمّتي امرأة شائة حبلة ، أحبب وتحذى ، وإني أخشى أن تقذر مكان عينيّ ، فأخذها رسولُ الله صلى الله عليه وآله فردّها وانصرف بها ، وعادت كما كانت ، فلم تضرب عليه ساعة من ليل ولا نهار ، وكان يقول عند أن أسنّ . هي أقوى عينيّ وكانت أحسنهما .

قال الواقدي : ونشر رسولُ الله صلى الله عليه وآله لعمر نعمته ، فرمى بالنبل حتى فنيت نبله ، وانكسرت سية قوسه ، وقد دمث انقطع وتره ، وبقيتْ في يده قطعة تكون شبراً في سيّة القوس ، فأخذ القوس عُكّاشة بن محصن يوتره به ، فقال : يا رسولَ الله ، لا يبلغ الوتر ، فقال : هذه يبلغ ، قال عُكّاشة : فوددت نفسه باحقّ شدّته حتى بلغ ، وطاولت منه يدين أو ثلاثة على سيّة القوس ، ثم أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فجعل يرامي القوم ، وأبو طلحة أمامه يستره مترّساً عنه ، حتى نظرت إلى سيّة قوسه قد تحطّمت ، وأخذها قتادة بن النعمان .

قال الواقدي : وكان أبو طلحة يوم حنين قد نثر كنانته[2] بين يدي نبي صلى الله عليه وآله ، وكان رامياً ، وكان صيّتاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لصوتُ أبي طلحة في الجيش خير من أربعين رجلاً ، وكان في كنانته خمسون سهماً فنثرها بين يدي

(١) [illegible] (٢) في كنانته أخرج ما فيها

رسول الله صلى الله عليه وآله ، وجعل يصيح : نفسي دون نفسك يا رسول الله ! فلم يزل يرمي بها سهماً سهماً ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يطلع رأسه من خلف أبي طلحة بين أذنيه ومنكبيه ، ينظر إلى مواقع النَّبل حتى قبلت نبله ، وهو يقول : نحري دون نحرك ! جعلني الله فداك ! قالوا : إنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله ، ليأخذُ العود من الأرض ، فيقول : ارمِ يا أبا طلحة ، فيرمي به سهماً جيِّداً

قال الواقديّ : وكان الرُّماة المذكورون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة ، منهم سعد بن أبي وقّاص ، وأبو طلحة ، وعاصم بن ثابت ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمقداد بن عمرو ، وزيد بن حارثة ، وحاطب بن أبي بلتعة ، وعُتبة بن غزوان ، وخراش ابن الصِّمّة ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وبشر بن البراء بن معرور ، وأبو ناتم سلكان ابن سلامة ، وقتادة بن النعمان .

قال الواقدي : ورمى أبو رهم الغفاريّ بسهم فأصاب حرّه ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فبصق عليه ، فبرأ ، فكان أبو رهم بعد ذلك يسمى مبصوراً

* * *

وروى أبو عمرو محمد بن عبد الواحد الزاهد اللغويّ ، عن ثعلب ، ورواه أيضاً محمد ابن حبيب في أماليه ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله لما فرّ معظم أصحابه عنه يوم أُحُد ، كثرت عليه كتائب المشركين ، وقصدته كتيبة من بني كنانة ، ثم من بني عبد مناة بن كنانة ، فيها بنو سفيان بن عُوَيف ؛ وهم : خالد بن سفيان ، وأبو الشعثاء بن سفيان وأبو الحمراء بن سفيان ، وغراب بن سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي اكفني هذه الكتيبة ، فحمل عليها وإنها لتقارب خمسين فارساً ؛ وهو عليه السلام راجل فما زال يضربها بالسيف حتى تتفرّق عنه ثم تجتمع[1] عليه هكذا مراراً حتى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة ، وتمام العشرة منهم ، ممن لا نُعرف بأسمائهم ، فقال جبرئيل

(١) ا : « يجمع » .

عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله : يا محمد ، إن هذه المواساة ، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : وما يمنعه وهو منّي وأنا منه ! فقال جبرئيل عليه السلام : وأنا منكما . قال : وسمع ذلك اليوم صوت من قِبَل السماء ، لا يرى شخص الصارخ به ينادي مرارا :

لا سيف إلا ذو الفقا ر ولا فتى إلاّ علي

فسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عنه ، فقال : هذا جبرئيل .

* * *

قلت : وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الأخبار المشهورة ، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن إسحاق ، ورأيت بعضها خاليًا عنه ، وسألت شيخي عبد الوهاب بن سكينة رحمه الله عن هذا الخبر ، فقال : خبر صحيح ، فقلت : فما بال الصحاح لم تشتمل عليه ؟ قال : أو كلما كان صحيحا تشتمل عليه كتب الصحاح ؟ كما قد أهمل جامعوا الصحاح من الأخبار الصحيحة !

قال الواقدي : وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي يحضر[1] فرسا له أبلق ، يريد رسول الله صلى الله عليه وآله ، عليه لأمة كاملة ، ورسول الله صلى الله عليه وآله متوجه إلى الشعب وهو يصيح : لا نجوت إن نجوت ! فيقف رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويعثر بعثمان فرسه في بعض تلك الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق للمسلمين ، فيقع الفرس لوجهه ، وسقط عثمان عنه ، وخرج الفرس عاثرًا ، فيأخذه بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويمشي إليه الحارث بن الصمة ، فاضطربا ساعة بالسيفين ، ثم يضرب الحارث رجله ، وكانت درعه مشمرة فبرك ، ودفف[2] عليه ، وأخذ الحارث

(١) يحضر فرسا : يجريه ، والحضر : ضرب من السير .
(٢) دفف عليه : أجهز .

يومئذ سلبه : درعاً جيداً ، ومغفراً ، وسيفاً جيداً ، ولم يسمع بأحد من المشركين سلب يومئذ غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وآله ينظر إلى قتالهما ، فسأل عن الرجل ، قيل : عثمان بن عبد الله بن المغيرة ، قال : الحمد لله الذي أخابه [1] وقد كان عبد الله بن جحش أسره من قبل ببطن نخلة ، حتى قدم به على رسول الله صلى الله عليه وآله فافتدى ورجع إلى قريش ، وغزا معهم أحداً ، فقتل هناك ، ، ويرى مصرع عثمان عبيد ابن حاجز العامري أحد بني عامر بن لؤي ، فأقبل يعدو كأنه سبع ، فيضرب حارث بن الصمة ضربة على عاتقه ، فوقع الحارث جريحاً حتى احتمله أصحابه ، ويقبل أبو دجانة على عبيد بن حاجز ، فتناوشا ساعة من نهار ، وكل واحد منهما يتقي بالدرقة سيف صاحبه ، ثم حمل عليه أبو دجانة فاحتضنه ، ثم جلد به الأرض ، وذبحه بالسيف كما تذبح الشاة ، ثم انصرف ، فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الواقدي : ويروى أن سهل بن حنيف ، جعل ينضح بالنبل عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : نبلوا سهلا [2] فإنه سهل ، ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي الدرداء ، والناس منهزمون في كل وجه ، فقال : نعم الفارس عويمر غير أنه لم يشهد أحدا !

قال الواقدي : وروى الحارث بن عبيد الله بن كعب بن مالك ، قال : حدثني من نظر إلى أبي سبرة بن الحارث بن علقمة ، ولقي أحد المشركين ، فاختلفا ضربات ، كل ذلك يروغ أحدهما عن الآخر ، قال : فنظر الناس إليهما كأنهما سبعان ضاريان يقفان مرة ويقتتلان أخرى ، ثم تعانقا ، فوقعا إلى الأرض جميعا ، فعلاه أبو سبرة فذبحه بسيفه كما تذبح الشاة ، ونهض عنه فيقبل خالد بن الوليد وهو على فرس أدهم أغر محجل بحر قناة طويلة ، فطعن أبا سبرة من خلفه ، فنظرت إلى سنان الرمح خرج من صدره ،

(١) أخابه : أهلكه .

(٢) نبلوا سهلا : أي أعطوه النبل .

ووقع أبو سبرة ميتاً ، وانصرف خالد بن الوليد ، يقول : أنا أبو سليمان !

قال الواقدي : وقاتل طلحة بن عبيد الله يومئذ عن النبي صلى الله عليه وآله قتالا شديداً ، وكان طلحة يقول : لقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله حيث انهزم أصحابه ، وكثر المشركون ، فأحدقوا بالنبي صلى الله عليه وآله من كلّ ناحية ، فما أدري أقوم من بين يديه أو من ورائه ؟ أم عن يمينه أم شماله ؟ فأذبّ بالسيف عنه هاهنا وهاهنا حتى انكشفوا ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ يقول لطلحة : « لقد أوجب » وروي : « لقد أنجب » أي قضى نذره .

قال الواقدي : وروي أنّ سعد بن أبي وقاص ذكر طلحة فقال : يرحمه الله ! إنه كان أعظمنا غناء عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحُد ، قيل : كيف يا أبا إسحاق ؟ قال : لزم النبي صلى الله عليه وآله وكنا نتفرق عنه ، ثم نثوب إليه ، لقد رأيته يدورُ حول النبي صلى الله عليه وآله يُترّس بنفسه .

قال الواقدي : وسئل طلحة : يا أبا محمد ، ما أصاب إصبعك ؟ قال : رمى مالك بن زهير الجشمي بسهم يريدُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — وكان لا تخطىء رميته — فاتقيتُ بيدي عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصاب خنصري فشُلّ .

قال الواقدي وقالوا : إنّ طلحة قال لما رمى حسّ[1] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو قال : « بسم الله لدخل الجنة والناس ينظرون [إليه][2] من أحبّ أن ينظر إلى رجل يمشي في الدنيا وهو من أهل الجنة ، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله ، طلحة ممن قضى نحبه[3] .

---

(١) حسّ : بالبناء على الكسر ، كلمة من ينحؤه ما يؤلمه ، ومنه قولهم : « ضرب فما قال حسّ » .

(٢) أنساب الأشراف ١ : ٣١٨ .

(٣) في اللسان : « طلحة ممن قضى نحبه » النحب : النذر ، كأنه ألزم نفسه أن يصدق الأعداء في الحرب فوفى به ولم يفسخ ، وقيل : هو من النحب الموت ، كأنه يلزم نفسه أن يقاتل حتى يموت » .

قال الواقدىّ : وكان طلحة يحدّث يقول : لمّا حال المسلمون تلك الحوْلة ، ثم تراجعوا أقبل رجل من بنى عامر بن لؤىّ يدعى شيبة بن مالك بن المضرّب ، يجرّ رمحه ، وهو على فرس أغرّ كميت مدجّجا فى الحديد ، يصيح : أنا أبو ذات الودع ، دلّونى على محمّد ، فأضرب عرقوب فرسه فاكتسعت[1] [به][2] ثم أتناول رمحه ، فوالله ما أخطأت به عن حدقته ، فخار كما يخور الثور فما برحت به واضعا رجلى على خدّه حتى أزرْته شَعُوب[3] .

قال الواقدىّ : وكان طلحة قد أصابته فى رأسه المصلبة ضربه رجل من المشركين ، ضربتين ، ضربة وهو مقبل ، وضربة وهو معرض عنه ، وكان يرف منها الدم ، قال أبو بكر : جئت النبى صلّى الله عليه وسلم يوم أحُد ، فقال : عليك بابن عمّك ، فأتى طلحة بن عبيد الله ، وقد يرف الدم ، فجعلت أنضحُ فى وجهه الماء وهو مغشىٌّ عليه ، ثم أفاق ، فقال : ما فعل رسولُ الله صلى الله عليه وآله ؟ فقلت : خيرا ، هو أرسلنى إليك ، فقال : الحمد لله ، كلّ مصيبةٍ بعده جَلَل .

قال الواقدىّ : وكان ضرار بن الخطّاب الفهرىّ يقول : نظرتُ إلى طلحة بن عبيد الله قد حلق رأسه عند المروة فى عُمرة ، فنظرت إلى المصيبة فى رأسه ، فكان ضرار يقول : أنا والله ضربتُه ، هو استقبلنى فضربته ، ثم أكرّ عليه ، وقد أعرض ، فاضربه ضربة أخرى .

(١) كذا فى ا واللسان ، وفى ب والواقدى : « انكسعت » ، وفى اللسان : « وفى حديث طلحة يوم أحد : « فضربت عرقوب فرسه فاكتسعت به ، أى سقطت » .

(٢) من اللسان

(٣) فى اللسان : « وفى حديث طلحة : حتى أزرته شعوب ، أى أوردته المنية فزرها . شعوب من أسماء المنية .

قال الواقدي : ولما كان يوم الجمل ، وقتل علي عليه السلام من قتل من الناس ، ودخل البصرة ، جاءه رجل من العرب ، فسكلمه بين يديه ، ونال من طلحة ، فزبره علي عليه السلام ، وقال : ويلك لم تشهد يوم أحد ، وعظم عنائه عن الإسلام ، مع مكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانكسر الرجل وسكت ، فقال له قائل من القوم : وما كان عناؤه و بلاؤه يرحمه الله يوم أحد ؟ فقص على عليه السلام : نعم ، يرحمه الله ، لقد رأيته وإنه ليترس بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن السيوف لتغشاه ، والنبل من كل ناحية ؛ وما هو إلا جنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، يقيه بنفسه ، فقال رجل لقد كان يوم أحد يوماً قال فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأصابت رسول الله صلى الله عليه وآله فيه الجراحة ، فقال علي عليه السلام . أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : بيت ألسعودي مع أصحابي مخلص [1] الجبل ، ثم قال علي عليه السلام . لقد رأيتني يومئذ وهن لأدفعهم عن ناحيه ، وإن أمامي لفي ناحية يذب طائفة منهم ؛ حتى فرج الله ذلك كله ، ولقد رأيتني وانفردت منهم ومعي فرقة حشناء [2] ، فيها عكرمة بن أبي جهل فدحمت وسطهم بالسيف ، فصرت به ، واشتملوا علي حتى أفضيت إلى آخرهم ، ثم كررت فيهم ثانية ، حتى رجعت من حيث جئت ، ولكن الأجل استأخر ، ويقضي الله أمرا كان مفعولا .

قال الواقدي : وحدثني حاتم بن سليم عن عثمان بن صفوان ، عن عمارة بن خزيمة ، قال : حدثني من نظر إلى الحباب بن المنذر بن الجموح ، وإنه ليحوشهم [3] يومئذ كما تحاش الغنم ؛ ولقد اشتملوا عليه حتى قيل : قد قتل ، ثم برز والسيف في يده ، وافترقوا عنه ، وجعل يحمل على فرقة منهم ، وإنهم ليهربون منه إلى تجمع منهم ،

(١) في « ب » « مخلص » ، وصححه من « ا » و « ج » ، وفيه . قال ابن أبي الزناد « مخلص الجبل أسفله »
(٢) فرقة حشناء ، أي كثيرة السلاح (٣) يحوشهم ، أي يجمعهم

وصار الحُباب إلى النبي صلى الله عليه وآله ، وكان الحُباب يومئذ معلّما بعصابة خضراء في مِغْفَره

قال الواقديّ : وطلع يومئذ عبد الرحمن بن أبي بكر على فرس مدحّجاً لا يُرى منه إلا عيناه ، فقال : مَنْ يبارز ؟ أنا عبد الرحمن بن عتيق ! فنهض إليه أبو بكر ، وقال : أنا أبارزه ، وجرّد سيفه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : شِمْ سيفك ، وارجع إلى مكانك ، ومتّعنا بنفسك .

قال الواقديّ : وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله : ما وجدتُ لشماس بن عثمان شبها إلاّ الحنّة ، يعني ما يقاتل عن رسول الله يومئذ ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم لا يأخذ يمينا ولا شمالا إلا رأى شماس بن عثمان في ذلك الوجه ، يذبّ بسيفه عنه ، حتى عشي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فتَرَّس[1] بنفسه دونه ، حتى قتل ، وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما وجدت لشماس شبها إلاّ الحنّة »

قال الواقديّ : ولمّا ولى المسلمون حين عطف عليهم خالد بن الوليد مِنْ خلفهم ، كان أوّل مَنْ أقبل من المسلمين بعد التولية قيس بن مخرّث مع طائفة من الأنصار ، وقد كانوا سمعوا بني حارثة فرجعوا سراعاً فصادفوا المشركين في كثرتهم ، فدخلوا في جَوْمتهم ، فما أفلت منهم رجل حتى قُتلوا كلّهم ، وقد صبر منهم قيس بن مخرّث ، فامتنع بسيفه حتى قتل منهم نفرا ، فما قتلوه إلاّ بالرّماح ، بطعنه ، ولقد وجد به أربع عشرة طعنة جائفة[2] وعشر ضربات بالسيف .

قال الواقديّ : وكان عباس بن عبادة بن نَضْلة المعروف بابن قَوْقل ، وخارجة بن

---

(١) ترس بنفسه ، أي جعل نفسه له كالترس

(٢) الطعنة الجائفة : التي تبلغ الجوف ، وفي الواقدي . « قد جافته »

زيد بن أبي زهير ، وأوس بن أرقم بن زيد ، وعبّاس رافع صوته يقول : يامعشر المسلمين ، الله ونبيّكم ! هذا الذى أصابكم بمعصية نبيّكم ؛ وعدكم[1] النصر ما صبرتم . ثم نزع مِغْفره عن رأسه ، وخلع دِرْعه وقال لخارجة بن زيد : هل لك فى دِرْعِي ومِغْفَرِي ؟ قال خارجة : لا ، أنا أريد الذى تريد ، فخالطوا القوم جميعا ، وعبّاس يقول : ماعذرنا عند ربّنا إن أصيب نبيّنا ومنّا عينٌ تطرف ! قال : فيقول[2] خارجة : لاعذرَ لنا والله عند ربّنا ولا حُجّة ، فأمّا عباس فقتله سفيان بن عبد شمس السُّلَمِيّ ، وقد ضربه عباس ضربتين ، فجرحه جرحين عظيمين ، فارتُثّ يومئذ جريحا ، فمكث جريحا سنة ، ثم استبلّ . وأخذت خارجة ابن زيد الرماح ، فجرح نصفة عشر جرحاً ، فمرّ به صفوان بن أميّة ، فعرفه فقال : هذا من أكابر أصحاب محمد ، وبه رَمَق ، فأجهز عليه . وقَتَل أوس بن أرقم ، وقال صفوان : مَنْ رأى حبيب بن يساف ؟ وهو يطلبه فلا يقدر عليه . وقُتل يومئذ مجاعة ، وقال : هذا ممّن أعرى بأبى يوم بدر — يعنى أميّة بن خلف — وقال : الآن شفيتُ نفسى حين قتلت الأماثل من أصحاب محمد ، قتلت ابن قوقل ، وقتلت ابن أبى زهير ، وقتلت أوس ابن أرقم .

قال الواقدىّ : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم يومئذ : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ قالوا : وما حقّه يارسول الله ؟ قال : يضرب به العدوّ ، فقال عمر : أنا يارسول الله ، فأعرض عنه ، ثم عَرَضه رسول الله صلى الله عليه وسلّم بذلك الشّرْط ، فقام الزّبير ، فقال : أنا ، فأعرض عنه ، حتى وجَد[3] عمر والزبير فى أنفسهما ، ثم عرضه الثالثة ، فقام أبو دُجانة ، وقال : أنا يارسول الله آخذه بحقّه ، فدفعه إليه ، فصدق حين لقى به العدوّ ، وأعطى السيف حقّه ، فقال أحدُ الرجلين — إمّا عمر بن الخطاب أو الزّبير : والله لأجعلنّ هذا الرجل الذى أعطاه السيف ومَنَعنيه من شأنى ، قال : فاتّبعته ، فوالله مارأيت أحداً قاتل أفضلَ من

(١) ا : « يوعدكم » . (٢) الواقدى : « يقول » . (٣) أى غضبا .

قتاله ، لقد رأيتُه يضرب به حتى إذا كلّ عليه وخاف ألّا يُحيك [1] عمَد به إلى الحجارة ، فشحذه ، ثم يضرب به العدوّ ، حتى يردّه [2] كأنّه مِنْجل ، وكان حين أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله السّيف مشى بين الصّفّين ، واختال فى مشيته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله حين رآه يمشى تلك المشية : إنّ هذه لَمِشْيةٌ يبغضها الله تعالى إلّا فى مثل هذا الموطن . قال : وكان أربعة من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وآله يعلمون فى الزُّحوف ، أحدُهم أبو دُجانة ، كان يعصب رأسه بعصابة حمراء ، وكان قومه يعلمون أنّه إذا اعتصب بها أحسن القتال ، وكان على عليه السلام يعلم بصوفة بيضاء ، وكان الزّبير يعلم بعصابة صفراء ، وكان حمزة يعلم بريش نعامة .

قال الواقدىّ : وكان أبو دُجانة يحدّث يقول : إنّى لأنظر يومئذ إلى امرأة تقذف النّاس وتحوشهم حَوْشاً منكرا ، فرفعتُ عليها السيف ، وما أحسبها إلا رجلا ؛ حتى علمت أنّها امرأة ، وكرهت أن أضرب بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة . والمرأة عمْرة بنت الحارث .

قال الواقدىّ : وكان كعب بن مالك يقول : أصابنى الجراح يوم أُحُد ، فلمّا رأيت المشركين يمثّلون بالمسلمين أشدّ المُثَل وأقبحها ، قمتُ فتنحّيت عن القتلى ، فإنّى لفى موضعى أقبَلَ خالد بن الأعلم العقيلىّ جامع اللأمة يحوش المسلمين ، يقول : استوسقوا [3] كما يستوسق حُرْب الغنم ، وهو مدجّج فى الحديد ، يصيح : يامعشرَ قريش ، لا تقتلوا محمدا ، أسروه أسراً حتى نعرّفه ماصنع ؛ ويصمُد له قُزْمان فيضربه بالسيف ضربة على عاتقه رأيت منها سَحْره ، ثم أخذ سيفه وانصرف ، فطلع عليه من المشركين فارس ماأرى منه إلا عينيه ، فحمل عليه قُزمان فضربه ضربةً حزّله اثنين ، فإذا هو الوليد بن العاص بن هشام المخزومىّ ، ثم يقول كعب : إنّى لأنظر يومئذ وأقول : مارأيتُ مثل هذا الرجل أشجع

(١) لا يحيك : لا يؤثر . (٢) أ : « رده » . (٣) استوسقوا : اجتمعوا .

بالسيف ، ثم ختم له بما ختم له به ! فيقال له : فما ختم له به ؟ فيقول : من أهل النار ، قتل نفسه يومئذ .

قال الواقدىّ : وروى أبو النمر الكنانىّ ، قال : أقبلت يوم أحُد وأنا من المشركين ، وقد انكشف المسلمون ، وقد حضرتُ فى عشرة من إخوتى ، فقتل منهم أربعة ؛ وكان الريح للمسلمين أوّل ما التقينا ، فلقد رأيتُنى وانكشفنا مولّين ، وأقبل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على نهب العسكر ، حتى بلغت الجمّاء ، ثم كرّت خيلنا ، فقلت : والله ما كرّت الخيلُ إلا عن أمر رأته ، فكررنا على أقدامنا كأنّنا الخيل ، فنجد القوم قد أخذ بعضُهم بعضاً ، يقاتلون على غير صفوف ، ما يدرى بعضهم مَنْ يضرب ، وما للمسلمين لواء قائم ، ومع رجل من بنى عبد الدار لواء المشركين ، وأنا أسمع شعار أصحاب محمد بينهم : « أمِتْ أمِتْ » فأقول فى نفسى : ما « أمت » ؟ وإنّى لأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم وإنّ أصحابه محدقون به ، وإنّ النّبل لتمرّ عن يمينه ويساره ، ويقع بين يديه ، ويخرج من ورائه ، ولقد رميت يومئذ بخمسين مِرْماة ، فأصبت منها بأسهم بعض أصحابه ، ثم هدانى الله إلى الإسلام .

قال الواقدى : وكان عَمْرو بن ثابت بن وَقْش شاكّاً فى الإسلام ، وكان قومُه يكلّمونه فى الإسلام ، فيقول : لو أعلم ما تقولون حقا ما تأخّرت عنه ، حتى إذا كان يوم أحُد بدا له الإسلام ورسول الله صلى الله عليه وسلّم بأحُد ، وأخذ سيفَه وأسلم ، وخرج حتى دخل فى القوم ، فقاتل حتى أثبِت [1] ، فوجِد فى القتلى جريحا ميّتا ، فدنوا منه وهو بآخر رَمَق ، فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ قال : الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله ، وأخذت سيفى وحضرت فرزقنى الله الشهادة ، ومات فى أيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « إنّه لمن أهل الجنّة »

---

(١) أثبت ، أى جرح .

قال الواقدىّ : فكان أبو هُريرة يقول ، والناس حوله : أخبرونى برجل يدخل الجنّة لم يصلّ لله تعالى سجدة؟ فيسكت الناس، فيقول أبو هريرة : هو أخو بنى عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش .

قال الواقدىّ : وكان مخيرق اليهودىّ من أحبار يهود ، فقال يومَ السَّبْت ورسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بأحُد . يامعشرَ يهود ، والله إنّكم لتعلمون أنّ محمّداً نبىّ ، وأنّ نصره عليكم حقّ . فقالوا . ويحك ! اليوم يوم السبت، فقال : لا سبْت ، ثم أخذ سلاحه وحضر مع النبى صلى الله عليه وسلّم ، فأصيب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « مخيرق خير يهود » .

قال الواقدىّ : وكان مخيرق ، قال حين خرج إلى أحُد : أن أصبت فأموالى لمحمّد يضعُها حيث أراه الله فيه ، فهى عامّة صدقات النبىّ صلّى الله عليه وسلم .

قال الواقدىّ : وكان حاطب بن أميّة مدفقه ، وكان ابنه يزيد بن حاطب رجلَ صِدْق شهد أحُداً مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فارتُثّ [1] جريحا ، فرجع به قومه إلى منزله ، قال يقول أبوه وهو يرى أهلَ الدّار يبكون عنده : أنتم والله صنعتم هذا به ، قالوا : كيف ؟ قال : أغررتموه من نفسه حتى خرج فقتل ، ثم صرتم معه إلى شىء آخر تعِدُونه جنّة ، يدخل فيها جنّة من خَرْمل، قالوا : قاتلك الله ! قال هو ذاك ، ولم يقرّ بالإسلام [2] .

قال الواقدىّ : وكان قزمان عَسِيفا [3] من بنى ظَفَر، لايدرى ممّن هو ،وكان لهم محبًّا ،

(١) ارتث : حمل من المعركة جريحاً وبه رمق

(٢) الخبر فى ابن هشام ٣ : ٣٧ عن عاصم بن عمر بن قتادة : « أن رجلا منهم كان يدعى حاطب ابن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له زيد بن حاطب ؛ أصابته جراحة يوم أحد ؛ فأتى به إلى قومه وهو بالموت ، فاجتمع إليه أهل الدار ؛ فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أبشر يابن حاطب بالجنة ، قال : وكان حاطب شيخاً قد عسا (أى كبر) فى الجاهلية ، فنجم يومئذ نفاقه ، فقال : بأى شىء تبشرونه ! أبحقه من خرمل ! غررتم والله هذا الغلام من نفسه !

(٣) عسيفاً ، أى أجيراً .

وكان مقلاًّ ولا ولد له ولا زوجة ، وكان شجاعا يُعرف بذلك فى حروبهم التى كانت تكون بينهم ، فشهد أحداً ، وقاتل قتالا شديدا ، فقتل ستّة أو سبعة ، فأصابته الجراح فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم : إنّ قزمان قد أصابته الجراح ، فهو شهيد ، فقال : بل من أهل النّار ، فجاءوا إلى قزمان ، فقالوا : هنيئا لك أبا اليسر ق الشهادة ! فقال : بمَ تبشّرونى ! والله ماقاتلنا إلّا على الأحساب ، قالوا : بشّرناك بالجنة ، قال حبّة والله من حَرْمل ، إنّا والله ماقاتلنا على جنّة ولا على نار ، إنما قاتلنا على أحسابنا ، ثمّ أخرج سهما من كنانته ، فجعل يتوخّاه بنفسه ، فلم أبطأ عليه المِشْقَص ، أخذ السيف ، فاتّكأ عليه ، حتى خرج من ظهره ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وآله فقال : « هو من أهل النار » .

قال الواقدىّ : وكان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج ، فلمّا كان يوم أُحُد ، وكان له بنون أربعة يشهدون مع النبىّ صلى الله عليه وسلّم المشاهد أمثال الأسد ، أراد قومُه أن يحبسوه ، وقالوا : أنت رجل أعرَج ، ولا حرج عليك ، وقد ذهب بنوك مع النبى صلى الله عليه وسلّم قال : بئس ! يذهبون إلى الجنّة وأحبس أنا عنكم ! فقالت هند بنت عمرو بن حرام امرأته: كأنّى أنظر إليه موليّاً قد أخذ دَرَقته ، وهو يقول : اللهمّ لا تردّنى إلى أهلى ، فخرج ولحقه بعضُ قومه يكلّمونه فى القعود ، فأبى وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال : يارسولَ الله ، إنّ قومى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه والخروج معك ، والله إنّى لأرجو أن أطأ بعرَجتى هذه فى الجنة ، فقال له : أمّا أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك ، فأبى ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلّم لقومه وبنيه : لا عليكم أن تمنعوه ، لعلّ الله يرزقه الشهادة ، فخلّوا عنه ، فقتل يومئذ شهيدا . وكان أبو طلحة يحدّث ، يقول : نظرت إلى عمرو بن الجموح حين انكشف المسلمون ، ثم ذهبوا وهو فى الرّعيل الأوّل ، لكأنّى أنظر إلى ضَلَعه وهو يعرَج فى مشيته ، وهو يقول : أنا والله مشتاق إلى الجنّة ، ثم أنظر إلى ابنه يعدُو فى أثره ، حتى قُتِلا جميعا .

قال الواقدىّ ، وكانت عائشة خرجت فى نسوة تستروح الخبر ، ولم يكن قد ضُرِب الحجاب يومئذٍ ، حتى كانت بمنقطع الحرّة وهى هابطة من بنى حارثة إلى الوادى ، لقيتْ هنداً بنت عمرو بن حرام ، أخت عبد الله بن عمرو بن حرام ، تسوق بعيراً لها ، عليه زوجها عمرو بن الجموح ، وابنها خلّاد بن عمرو بن الجموح ، وأخوها عبدُ الله بن عمرو بن حرام[1] أبو جابر بن عبدالله ، فقالت لها عائشة : عندك الخبر ، فما وراءك ؟ فقالت هند : خير ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلّم فصالح ، وكلّ مُصيبة بعده جَلَل ، واتّخذ الله من المؤمنين شهداء : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً ﴾ .

ـ قلت : هكذا وردت الرواية ، وعندى أنها لم تقل كلّ ذلك ، ولعلها قالت : « وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ » ، لا غير ، وإلّا فكيف يواطئ كلامُها آية من كلام الله تعالى أنزلت بعد الخندق والخندق بعد أحُد ! هذا من البعيد جدّاً ـ

قال : فقالتْ لها عائشة : فمَنْ هؤلاء ؟ قالت : أخى وابنى وزوجى قَبْلَى ، قالت : فأين تذهبين بهم ؟ قالت : إلى المدينة أقبرُهم بها « جَلْ جَلْ » تزجرُ بعيرها ، فبرك البعير ، فقالت عائشة : لثقل ما حُمِّل ، قالت هند : ما ذاك به ، لربّما حمل ما يحمله البعيران ، ولكنى أراه لغير ذلك ، فزجرته فقام ، فلمّا وجهت به إلى المدينة برك ، فوجّهته راجعة إلى أحُد ، فأسرع ، فرجعت إلى النبىّ صلى الله عليه وسلّم فأخبرته بذلك ، فقال : إنّ الجمل المأمور ، هل قال عمرو شيئا ؟ قالت : نعم ، إنه لما وجّه إلى أحُد استقبل القبلة ، ثم قال : اللّهمّ لا تردّنى إلى أهلى ، وارزقنى الشهادة ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : فلذلك الجمل لا يمضى ، إنّ منكم يامعشرَ الأنصار من لو أقسم على الله لأبرّه ، منهم عمرو بن الجموح ، يا هندُ ، مازالت الملائكة مظلّة على أخيك من لدن قُتِل إلى الساعة ، ينظرون أين يدفن ! ثم مكث رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى قبرهم ، ثم قال : ياهند ، قد ترافقوا فى الجنّة

(١) الواقدى : « حرام » .

جميعا ؛ عمرو بن الجموح بعلك ، وخلّاد ابنُك، وعبد الله أخوك . فقالت هند : يارسول الله ، فادع الله لى عسى أن يجعلنى معهم !

قال الواقدىّ : وكان جابر بن عبد الله ، يقول : اصطبح ناسٌ يوم أُحُد الخمرَ ، منهم أبى ، فقتِلوا شهداء .

قال الواقدىّ : وكان جابرٌ يقول: أوّل قتيل من المسلمين يوم أُحُد أبى ، قتله سفيان ابن عبد شمس أبو الأعور السُّلَمىّ ، فصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ الهزيمة .

قال الواقدىّ : وكان جابر يحدّث ، ويقول : استشهد أبى ، وجعلتْ عَمّتى تبكى ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما يبكيها ! ما زالت الملائكة تظلّ عليه بأجنحتها حتى دُفِن .

قال الواقدىّ : وقال عُبيد الله بن عمرو بن حرام : رأيتُ فى النوم قبل يوم أُحُد بأيام مبشّرَ بن عبد المنذر ، أحد الشهداء ببدر ، يقول لى : أنت قادم علينا فى أيّام ! فقلت : فأين أنت ؟ قال : فى الجنّة نسرح منها حيث نشاء ، فقلت له : ألم تقتل يوم بدر ؟ قال : بلى ، ثم أحييت ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذه الشهادة ياجابر » .

قال الواقدىّ : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد : ادفنوا عبد الله بن عمرو ابن حرام وعمرو بن الجموح فى قبر واحد ، ويقال : إنّهما وجدا وقد مُثّل بهما كلّ مُثْلة قطعت آرابهما[1] عضوا عضوا ، فلا تعرف أيديهما . فقال النبىّ صلى الله عليه وسلّم : « ادفنوهما فى قبر واحد » ، ويقال : إنّما أمر بدفنهما فى قبر واحد ، لما كان بينهما من

(١) الآراب : جمع إرب ، بالكسر والسكون ، وهو العضو .

الصفاء، فقال : ادفنوا هذين المتحابَّين فى لديسا فى قبر واحد .

وكان عبد الله بن عمرو بن حرام رجلًا أحمر أصلع ، ليس بالطويل ؛ وكان عمرو ابن الجموح طويلا ، فعرفا ودخل السَّيل بعد عليهما، وكان قبرهما ممّا يلى السيل، فحفر عنهما، وعليهما نمرتان وعبد الله قد أصابه جرح فى وجهه ، فيدُه على وجهه[1]، فأميطت يده عن جرحه ، فثعب[2] الدم ، فردت إلى مكانها فسكن الدّم .

قال الواقدىّ : وكان جابر بن عبد الله يقول : رأيت أبى فى حفرته ، وكأنّه نائم ، وما تغيّر من حاله قليل ولا كثير ؛ فقيل له :أفرأيتَ أكفانه؟ قال : إنّما كُفّن فى نمرة[3] خُمِّر بها وجهُه ، وعلى رجليه الحرْمل فوجدنا النمرة كما هى ، والحرمل على رجليه كهيئته ، وبين ذلك وبين وقت دفنه ست وأربعون سنة ، فشاورهم جابر فى أن يطيّبه بمسك ، فأبى ذلك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا . لاتحدثوا فيهم شيئا .

قال : ويقال إنّ معاوية لمّا أراد أن يُجْرِىَ العين التى أحدثها بالمدينة ،وهى كطامة نادى مناديه بالمدينة : من كان له قتيل فأخذ فليشهد . فخرج النّاس إلى قتلاهم فوجدوهم رطابا يتثوّن ، فأصابت المسحاةُ رِجْل رجلٍ منهم ،فثعبت دما ، فقال أبو سعيد الخُدْرِىّ : لا ينكر بعد هذا منكر أبدا .

قال : ووُجد عبد الله بن عمرو بن حزام وعمرو بن الجموح فى قبر واحد ، ووُجد حارثة ابن زيد بن أبى رهير وسعد بن الربيع فى قبر واحد ، وإنّما قبرُ عبد الله وعمرو تحوّل ، وذلك أنّ القناة كانت تمرّ على قبرهما ، وأمّا قبر حارثة وسعد فترك ، وذلك لأنّ مكانه كان معتزلا ، وسُوِّىَ عليهما التراب ، وقد كانوا يحفرون التراب ، فكلّما حفروا قُتْرَةً من تُراب ، فاح عليهم المسك .

---

(١) ا : « جرحه » .

(٢) ثعب الدم : سال

(٣) النمرة : بردة من صوف .

قال : وقالوا : إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لجابر : ياجابر ، ألا أبشّرك ؟ فقال : بلَى ، بأبي وأمّي ! قال : فإنّ الله أحيا أباك ، ثم كلّمه كلاما ، فقال له : تمنّ على ربّك ماشئت ! فقال : أتمنّى أن أرجع فأقتل مع نبيّك ، ثم أحيا فأقتل مع نبيّك ، فقال : إنّي قد قضيت أنّهم لايرجعون .

قال الواقديّ : وكانت نَسيبة بنت كعب أمّ عمارة بن غزيّة بن عمرو قد شهدت أحُداً ، وزوجها[1] غزيّة وابناها عُمارة بن غزيّة وعبدالله بن زيد ، وخرجت ومعها شنّ[2] لها في أوّل النهار تريد تسقي الجرحى ، فقاتلت يومئذ وأبلتْ بلاء حسنا ، فخرجت اثنيْ عشر جرحاً بين طعنة برمح أو ضربة بسيف ، فكانت أمّ سعد بنت سعد بن الرّبيع تحدّث ، فتقول : دخلتُ عليها ، فقالت لها : ياخالة ، حدّثيني خبرك ، فقالت : خرجت أوّل النهار إلى أحُد ، وأنا أنظر مايصنع الناس ، ومعي سِقاء فيه ماء ، فانتهيتُ إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو في الصّحابة والدّولة والريح للمسلمين ، فلمّا انهزم المسلمون ، انحزت إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ، فجعلت أباشر القِتال ، وأذبّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالسّيف ، وأرمي بالقوس ، حتى خلصت إلى الجراح ، فرأيت على عاتقها جُرحا أجوفَ له غوْر ، فقلت : ياأمّ عُمارة ، مَنْ أصابك بهذا؟ قالت : أقبل ابن قميئة ، وقد ولّى الناس عن رسول الله صلى عليه وسلم يصيح : دلّوني على محمّد ، لا نجوتُ إنْ نجا ! فاعترض له مُصعب بن عمير وناس معه ، فكنت فيهم ، فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكنّ عدو الله كان عليه دِرْعان ، فقلت لها : يدك ما أصابها ؟ قالت : أصيبتْ يوم اليمامة ، لمّا جعلت الأعراب تنهزم بالنّاس ، نادت الأنصار : اخلصونا ، فأخلصت الأنصار ، فكنت معهم ، حتى انتهينا إلى حديقة الموت ، فاقتتلنا عليها ساعة ، حتى قُتل أبو دُجانة على باب الحديقة ، ودخلتها

(١) كذا في ا والواقدي ، وفي ب : « وتزوجها » .
(٢) الشن : القربة الخلق الصغيرة ، يكون فيها الماء أبرد من غيرها .

وأنا أريد عدوّ الله مُسيلمة ، فيعرض لى رجل ، فضربت يدى ، فقطعها ، فو الله ما كانت ماضية ، ولا عرّجت عليها ، حتى وقفت على الخبيث مقتولاً ، ورأيت عبد الله بن زيد المازنىّ يمسحُ سيفه ثيابه ، فقلت : أقتلتَه ؟ قال : نعم ، فسجدتُ شكراً لله عزّ وجلّ وانصرفت .

قال الواقدىّ : وكان ضَمْرة بن سعيد يحدّث عن حَدّته ، وكانت قد شهدت أُحُداً تسقى الماء ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ : لمقام سَيبه بنت كعب اليوم خيرٌ من مُقام فلان وفلان . وكان يراها يومئذ تقاتل أشدّ القتال ، وإنّها لحاجزة ثوبَها على وسطها ، حتى جرحت ثلاثةَ عشر جرحا .

* * *

قلت : ليت الراوى لم يسكتْ عن هذه الكنانة ، وكان يذكرها باسمها حتى لا تترامى الظنون إلى أمور مشتبهة ! ومن أمانة المحدّث أن يذكر الحديث على وجهه ولا يكتم منه شيئا ، فما باله كتم اسم هذين الرجلين .

قال : فلما حضرت سَيبه[1] الوفاة ، كنت فيمن عمّها فعددت جراحها جرحا جرحا فوجدتها ثلاثة عشر ؛ وكانت تقول : بى لأنظر إلى ابن قَمِيئة وهو يضربُها على عاتقها — وكان أعظم جراحها ، لقد داوته سنة — ثم بى منادى النبىّ صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء أُحُد : إلى حمراء الأسد ! فشدّت عليها ثيابها ، فما استطاعت من عرف الدّم ، ولقد مكثنا ليلتنا نكمّد الجراح ، حتى أصبحنا ، فلمّا رجع رسولُ الله من حَمْراء الأسد ، لم يصلّ إلى بيته حتى أرسلَ إليه عبد الله بن كعب المازنىّ يسأل عنها ، فرجع إليه فأخبره بسلامتها ، فسرّ بذلك .

قال الواقدىّ : وحدثنى عبد الجبار بن عُمارة بن غزية ، قال : قالت أمّ عُمارة

---

(١) الواقدى : « فلما حضرتها » .

لقد رأيتُني وانكشف النّاس عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم فما بقيَ إلا نُفَيْرٌ ما يتمّون عشرة ، وأنا وأبنائي وروحي بين يديه نذبّ عنه ، والناس يمرّون عنه منهزمين ، فرآني ولا تُرْس معي ، ورأى رجلا مولّيا معه تُرْس ، فقال : يا صاحبَ التُّرس ، ألق ترسك إلى مَنْ يقاتل . فألقى ترسه فأخذته ، فجعلت أترمّس به على النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل ، ولو كانوا رجّالة مشوا أصنامهم ، فيقتل رجل على فرس ، فضربني وترّست له ، فلم يصنع سيفه شيئا ، وولّى وأصرب عُرقوب فرسه ، فوقع على ظهره ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصيح : يا ابن عُمارة ، أمّك أمّك ! قالت : فعاونني عليه حتى أوردْتُه شُؤبوب (١)

قال الواقديّ : وحدّثني ابنُ أبي سَبْرة ، عن عمرو بن يحيى ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زيد المازنيّ ، قال : خرجت يومئذ خرجا في عنقي ليسرى ، ضربني رجل كأنه ارتفل ولم يعرّج عليّ ، ومضى عنّي ، وجعل الدم لا يرقأ ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم . اعصب جُرحك ، فتقبل أمّي إليّ ، ومعها عصائب في حَقْوِيها قد أعدّتها للجراح ، فربطت جرحي والنبي صلى الله عليه وسلّم واقف ينظر ، ثم قالت . انهض يا بنيّ ، فصارب القوم ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول : ومن يطيق ما تطيقين يا أمّ عُمارة ! قالت . وأقبل الرّجل الذي ضربني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا ضارب ابنك ، فاعترضت أمّي له ، فضربت ساقه ، فبرَك ، ورأيت النبي صلى الله عليه وسلّم تبسم حتى بدت نواجذُه ، ثم قال : استقدتِ يا أمّ عُمارة . ثم أقبلنا نعلوه (٢) بالسلاح حتى أتينا على نفسه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذي نصرك وأقرّ عينك من عدوّك ، وأراك ثأرك بعينك !

---

(١) شعوب : اسم المنية .

(٢) ب : « نعله » ، والصواب ما أثبته من ا والواقدي .

قال : الواقدىّ وروى موسى بن ضمرة بن سعيد ، عن أبيه قال : أتى عمر بن الخطاب فى أيام خلافته بِمُروط[1] كان فيها مِرْط واسع جيّد فقال بعضهم : إنّ هذا المِرْط يشتن كذا ، فلو أرسلتَ به إلى زوجة عبد الله بن عمر صفيّة بنت أبى عبيد ، وذلك حدثان[2] مادخلت على ابن عمر ، فقال : بل أبعث به إلى مَنْ هو أحقّ منها ، أمّ عمارة سيدة بنت كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحُد يقول . ما التفت يميناً وشمالاً إلاّ وأنا أراها تقاتل دونى .

قال الواقدىّ : وروى مَرْوان بن سعيد بن مُعلّى ، قال : قيل لأمّ عُمارة : ياأمّ عمارة ، هل كنّ نساء قريش يومئذ يقاتلن مع أزواجهنّ ؟ فقالت : أعوذ بالله ، لا والله مارأيتُ امرأة منهنّ رمتْ بسهم ولا حَجَر ، ولكن رأيت معهنّ الدّفاف والأكسار يصرن ويدكرن القوم قتلى بدر ، ومعهنّ مكاحل ومراود ، فكلّما ولّى رجل أو تكعكع ناولته إحداهنّ مرودا ومكحلة ، ويقلن : إنّما أنت امرأة ، ولقد رأيتهنّ ولّين منهزمات مشمّرات ، ولها عنهنّ الرّجال أصحاب الخيل ، وتحوا على متون خيلهم ، وجعلن يسعين الرّجال على أقدامهنّ ، فجعلن يسقطن فى الطريق ، ولقد رأيت هندا بنت عتبة ، وكانت امرأة ثقيلة ، ولها خلق ، قاعدة خاشيةً من الخيل ، ما بها مشى ، ومعها امرأة أخرى ، حتى كثر القوم عليها ، فأصابوا منّا ما أصابوا ، فعند الله نحتسب ما أصابنا يومئذ من قَتْل الرماة ومعصيتهم لرسول[3] الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدىّ : وحدثنى ابنُ أبى سَبْرة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صعصعة ، عن الحارث بن عبد الله ، قال : سمعتُ عبد الله بن زيد بن عاصم ، يقول . شهدتُ أحُداً

---

(١) المرط ، بالكسر : كساء من صوف أو خز أو كتان يؤتزر به ، وربما تلفعه المرأة على رأسها وتتلفع به وجمعه مروط .
(٢) حدثان الأمر : ابتداؤه .
(٣) ا : « الرسول » .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما تفرق الناس عنه ، دنوت منه ، وأمي تدنو عنه ، فقال : يابن عُمارة ،قلت : نعم ، قال : ارمِ ؛ فرميتُ بين يديه رجلا من المشركين بحجر ، وهو على فرس ، فأصبت عين الفرس ، فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه ، وجعلت أعلوه بالحجارة ، حتى تصدّت عليه منها وقرًا ، والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليّ ويتبسم ، فنظر إلى جرح أمي على عاتقها، فقال : أمّك أمّك! اعصب جُرحها ، بارك الله عليكم من أهل بيت ! لمقامُ أمّك خيرٌ من مقام فلان وفلان ، ومقام ربيبك ـ يعني زوج أمه ـ خيرٌ من مقام فلان ، رحمكم الله من أهل بيت ! فقالت أمي : ادع لي الله يارسول الله أن يرافقني في الجنة ، فقال . « اللهم اجعلهم رُفقائي في الجنة » ؛ قالت : فما أبالي ما أصابني من الدنيا .

قال الواقدي : وكان حنظلة بن أبي عامر تزوج جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سَلول ، فأدخلت عليه في الليلة التي في صبيحتها قتال أُحُد ، وكان قد استأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت عندها ، فأذن له ، فلما صلّى الصبح غدا يريد النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلزمته جميلة ، فعاد فكان معها ، فاغتسل منها ، ثم أراد الخروج ، وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها ، فأشهدتهم أنه قد دخل بها، فقيل لها بعد : لم أشهدتِ عليه ؟ قالت : رأيتُ كأنّ السماء فرجتْ ،فدخل فيها ،ثم أطبقت . فقلت هذه الشهادة ،فأشهدت عليه أنه قد دخل بي، فعلقت منه بعبد الله بن حنظلة ثم تزوجها ثابت بن قيس بعد، فولدت له محمد بن ثابت بن قيس وأخذ حنظلة بن أبي عامر سلاحه ، فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بأُحُد ، وهو يسوّي الصفوف ، فلما انكشف المشركون ، اعترض حنظلة لأبي سفيان بن حرب ، فضرب عُرقوب فرسه ، فاكتسعت الفرس ، ووقع أبو سفيان إلى الأرض ، فحمل يصيح : يامعشر قريش ، أنا أبو سفيان بن حرب ! وحنظلة يريد ذبحه بالسيف ، فسمع الصوت رجالا لا يلتفتون إليه من الهزيمة ، حتى عاينه الأسود بن شعوب ، فحمل على حنظلة بالرمح ،

فأنفذه ، ومشى حنظلة إليه فى الرمح فضربه ثانية فقتله ، وهرب أبو سفيان يعدُو على قدميه ، فلحق ببعض قريش ، فنزل عن صدر فرسه ، وردف وراءه أبا سفيان ، فذلك قول أبى سفيان يذكر صبره ووقوفه وأنه لم يفرّ ، وذكره محمد بن إسحاق[1] :

ولو شئتُ نجّتْنِى كُميتٌ طِمِرّةٌ ... ولم أحمل النّعماء لابن شعُوب[2]

ومازال مُهرى مرجر الكلب فيهمُ ... لدن غُدْوَةً حتّى دنت لغُروب[3]

أقاتلهم وأدّعِى يالَ غالبٍ ... وأدفعهم عنّى بركن صليبِ[4]

فبكّى ولا ترعَىْ مقالة عاذلٍ ... ولا تسأمى من عَبْرةٍ ونحيبِ

أباك وإخواناً لنا قد تتابعوا[5] ... وحقّ لهم من حسرة بنصيب

وسلّى الذى قد كان فى النفس إنّنى ... قتلتُ من النّجّار كلّ نجيب

ومن هاشم قَرْماً كريماً ومُصعباً ... وكان لدى الهيجاء غير هيوبِ[5]

ولو أننى لم أشفِ نفسىَ منهمُ ... لكانت شجاً فى الصّدْر ذات ندوبِ[6]

فآبُوا وقدْ أودى الجلابيبُ منهم ... بهم كمد من واجمٍ وكئيب[7]

أصابهم من لم يكن لدمائهمْ ... كِفاء ولا فى سِنْحِهم بضريب[9]

قال الواقدىّ : مرّ أبو عامر الراهب على حنظلة ابنه وهو مقتول إلى جنب

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ ـ ٢١ ، ٢٢

(٢) الطمرة : الفرس السريعة الوثب ، وفى الأصول : « النعمان » تحريف .

(٣) ابن هشام : « منهم » ، ومرجر الكلب ، يريد أنه قريب ، والضمير فى « دنت » يعود إلى الشمس .

(٤) صليب : شديد قوى . (٥) ابن هشام : « وإخواناً له » .

(٦) القرم فى الأصل : الفحل الكريم من الإبل ، وعنى به هاهنا حمزة بن عبد المطلب والمصعب : الفحل من الإبل أيضاً .

(٧) الندوب : آثار الجروح .

(٨) الجلابيب : الجماعات وفى ابن هشام :

* بهمْ جَدَبٌ مِنْ مُعْبِطٍ وكَئيب *

(٩) فى ابن هشام : « ولا فى حصة بضريب »

حمزة بن عبدالمطلب، وعبد الله بن جحش : فقال : إن كنت لأحذرك هذا الرجل ـ يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من قبل هذا المصرع، والله إن كنت لبرًّا بالوالد ، شريف الخلق فى حياتك ، وإنّ مماتك لمع سراة أصحابك وأشرافهم ، إنْ جرى الله هذا القتيل ـ يعنى حمزة ـ خيرا ، أو جرى أحدا من أصحاب محمد خيرا ، فليحرك ، ثم نادى : يامعشرَ قريش ، حنظلة لا يمثّل به ، وإن كان خذلنى وخذلكم ، فلم يأتِ نفسه فيما يرى حمزة ، فمثّل بالناس وترك حنظلة فلم يمثّل به .

وكانت هندُ بنت عُتْبة أولَ مَنْ مثّل بأصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، وأمرت النساء بالمثل ، وتجدّع الأنوف والآذان ، فلم تبق امرأة إلاّ عيها معصّدان[1] ومسكتان[2] وخدمتان[3] إلا حنظلة لم يمثّل به . وقد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . « إنى رأيتُ الملائكة تغسل حنظلة بن أبى عامر بين السماء والأرض بماء المزن فى صحاف الفضّة » ؛ قال أبو أسَيْد الساعدىّ : فذهبنا فنظرنا إليه ، وإذا رأسه تقطر ماء ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فأخبرته ، فأرسل إلى امرأته فسألها ، فأخبرته أنّه خرج وهو جُنُب .

قال الواقدىّ : وأقبل وَهْب بن قابوس المُزنىّ ، ومعه ابن أخيه الحارث بن عُقْبة بن قابوس نعم لهما من حَىّ مُزَينة ، فوجد المدينة خلوًا ، فسألا : أين الناس ؟ قالوا : بأحُد ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقاتل المشركين من قُريش ، فقال : لا ننتنى أثراً بعد عين ، فخرجا حتّى أتيا النبىّ صلى الله عليه وسلّم بأحُد ، فيجدان القوم يقتتلون ، والدّولة لرسول الله صلى الله عليه وسلّم وأصحابه ، فأغارا مع المسلمين فى النُّهْب ، وجاءت الخيل من وراءهم خالد بن الوليد وعِكْرمة بن أبى جهل ، فاختلط الناس ، فقاتلا أشدّ القتال ، فانهزمت فرقة من المشركين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن لهذه الفرقة ؟ فقال وهْب بن قابوس : أنا يارسول الله ، فقدم فرماهم بنَبْل حتّى انصرفوا ، ثم رجع فانهزمت فرقة

---

(١) المعصد : الدملج ، وهو حلى يلبس فى المعصم

(٢) المسك : الأسورة من القرون و نحوه (٣) الخدمة : الخلخال .

أخرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن لهذه الكتيبة ؟ فقال المِرْبَدُ : أنا يارسول الله ، فقام فدبّها بالسيف حتى ولّت ، ثم رجع فقطعت كتيبة أخرى ، فقال النبي صلى الله عليه : مَن يقوم لهؤلاء ؟ فقال المِرْبَدُ : أنا يا رسولَ الله ، فقال : قم وأبشرْ بالجنّة . فقام المِرْبَدُ مسرورا يقول : والله لا أقيل ولا أستقيل ، فجعل يدخل فيهم فيضرب بالسَّيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه والمسلمون ، حتى خرج من أقصى الكتيبة ؛ ورسول الله صلى الله عليه يقول : اللهمَّ ارحمه ، ثم يرجع فيهم ، فما زال كذلك وهم يحدقُون به ، حتى اشتدت عليه أسيافُهم ورماحهم ، فقتلوه فوجد به بضعة عشرون طعنة بالرماح ، كلّها قد خلصت إلى مقتل ، ومُثِّل به أقبحَ المثل بومئذ . ثم قام ابنُ أخيه ، فقاتل كنحو قتاله ، حتى قُتِل ، فكان عمر بن الخطاب يقول : إنّ أحسنَ ميتة أموتُ عليها لما مات عليها المِرْبَدُ .

قال الواقدىّ . وكان بلال بن الحارث المزنىّ يحدّث يقول : شهدنا القادسيّة مع سعد بن أبي وقّاص ، فممّا فتح الله عليها ، وقسمت بيننا غنائمها ، أسقط فتى من آل قابوس من مُزَينة ، فجئت سعدا حين فرغ من يومه ، فقلت : بلال ! قلت : بلال ، قال : مرحباً بك ، مَنْ هذا معك ؟ قلت : رجل من قومى ، قال : ما أنتَ يا فتى من المزنى الذى قُتِل يوم أُحُد ! قال : ابنُ أخيه . قال سعد : مرحبا وأهلا ، أنعم الله بك عينا ! لقد شهدتُ من ذلك الرجل يوم أُحُد مشهداً ما شهدتُ من أحدٍ قطّ ، لقد رأيتُنا وقد أحدق المشركون بنا من كلّ ناحية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلّم وسطنا ، والكتائب تطلع من كلّ ناحية ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم يرمى ببصره فى الناس يتوسّمهم ، ويقول : مَنْ لهذه الكتيبة ؟ كلّ ذلك يقول المُزَنىّ : أنا يا رسول الله ، كلّ ذلك يردّ الكتيبة ، فما أمسى آخر مرة قاهد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم

وأبشرْ بالجنّة ، فقام وقمت على أثره ، يعلم الله أنى أطلب مثل ما يطلب يومئذ من الشهادة ، فحصنا حَوْمتَهم ، حتى رجعنا فيهم الثانية ، فأصابوه رحمه الله ، ووددت والله أنى كنتُ أصبت يومئذ معه ، ولكن أجل [1] استأخر ، ثم دعا من ساعته بسهمه فأعطاه وفضله ، وقال : اختر فى المقام عندنا أو الرجوع إلى أهلك ، فقال بلال : إنه يستحبّ الرجوع ، فرجع .

قال الواقدىّ : وقال سعد بن أبى وقاص : أشهدُ لرأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على المُزَنىّ ، وهو مقتول ، وهو يقول : رضى الله عنك ، فإنى عنك راض ؛ ثم رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله قام على قدميه ، وقد ناله عليه السلام من ألم الجراح ما ناله ، وإنى لأعلم أنّ القيام يشقّ عليه على قدميه ؛ حتى وضع فى لحده وعليه بُرْدة ، لها أعلام حُمْر ، فمدّ رسول الله صلى الله عليه وآله البردة على رأسه ، فغمّره وأدرجه فيها طولاً ، فلمت نصف ساقيه ، فأمرنا فحملنا الحرْمل ، فجعلناه على رجليه وهو فى لحده ، ثم انصرف ما حال أحبّ إلىّ من أن أموت عليها وألقى الله عليها من حال المزنىّ .

قال الواقدىّ : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يوم أحُد قد خاصم إليه يتيم من الأنصار أبا لبابة بن عبد المنذر فى عِذْقٍ بيدهما ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلّم لأبى لُبابة ، فجزع اليتيم على العِذْق ، فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم العِذْق إلى أبى لُبابة لليتيم ، فأبى أن يدفعه إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول لأبى لبابة : ادفعه إليه ولك عِذْقٌ فى الجنّة ، فأبى أبو لبابة ، وقال ثابت [2] بن أبى الدّحداحة : يارسول الله ؛ أرأيت إن أعطيتُ اليتيمَ عِذْقه من مالى ! قال : لك به عِذْق فى الجنة ، فذهب ثابت بن الدحداحة ، فاشترى من أبى لبابة ذلك العِذْق بحديقة نخل ، ثم رد العِذْق إلى الغلام ،

(١) الواقدى : « أحلى استأخر » . (٢) كذا فى الاستيعاب ١ : ٢٠٣

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ربّ عدق مذلّل [1] لابن الدحداحة فى الجنة » ، فكانت ترجى له الشهادة بذلك القول ، فقتل يوم أحُد .

قال الواقدىّ : ويقبل ضرار بن الخطاب فارسا يحرّ قناةً له طويلة ، فيطعن عمرو بن معاد ، فأنفذه ، ويمشى عمرو إليه حتى غُلب ، فوقع لوجهه ، قال : يقول ضرار : لا تعدمنّ رجلا روّجك من الحور العين ، وكان يقول : زوّجت يوم أحُد عشرة من أصحاب محمد الحُور العين .

قال الواقدىّ : فسألت شيوخَ الحديث : هل قتل عشرة ؟ قالوا : ما بلغنا أنه قتل إلاّ ثلاثة ، ولقد ضرب يومئذ عمر بن الخطاب حين جال المسلمون تلك الجولة بالقناة ، وقال : يابن الخطاب ، إنها نعمة مشكورة ، ما كنت لأقتلك .

قال الواقدىّ : وكان ضرار يحدّث بعد ، ويذكر وقعة أحد ، ويذكر الأنصار فيترحّم عليهم ، ويذكر عَناءهم فى الإسلام ، وشجاعتهم وإقدامهم على الموت ، ثم يقول : لقد قتل أشرافُ قومى ببدر ، فأقول : مَنْ قتل أنا الحكم ؟ فيقال [2] : ابن عفراء . من قتل أمية بن خلف ؟ فيقال : خُبيب بن يساف . من قتل عُقْبة بن أبى معيط ؟ فيقال : عاصم بن ثابت . من قتل فلان بن فلان ؟ فيسمى لى من الأنصار ، من أسرَ سهيل بن عمرو ؟ فيقال : مالك بن الدخشم . فلما خرجنا إلى أحد ، وأنا أقول : إن قاموا فى صياصيهم فهى منيعة لا سبيل لنا إليهم نقيم أيامًا ثم ننصرف ، وإن خرجوا إلينا من صياصيهم أصبنا منهم ، فإنّ معنا عددًا أكثر من عددهم ، ونحن قوم موتورون ؛ خرجنا بالظُّعن يذكّرنا قتلى بدر ، ومعنا كُراع ولا كُراع معهم ، وسلاحنا أكثر من سلاحهم ، فقُضىَ لهم أن خرجوا ، فالتقينا ، فو الله ما قمنا لهم حتى هزمنا وانكشفنا مولّين ، فقتلت

---

(١) العدق بالفتح : النخلة . وبالكسر : المرجون بما فيه من الشماريخ ، وقد ورد فى هذا الحديث فى اللسان « عذق » .

(٢) الواقدى : « فقال » .

فى نفسى : هـذه أشدّ من وقعة بدر ، وجعلت أقول لخالد بن الوليد : كرّ على القوم ، فيقول : وترى وجها نكرّ فيـه ! حتى نظرت إلى الجبل الذى كان عليه الرّماة خاليا ، فقلت : يا أبا سليمان ، انظر وراءك ، فعطف عنان فرسه ، وكررنا معـه ، فانتهينا إلى الجبل ، فلم نجد عليه أحداً له بال ، وجدنا نُفَيْرًا فصفاهم ، ثم دخلنا العسكر ، والقوم غارّون ينتهبون عسكرنا ، فأفحمنا الخيل عليهم ، فتطايروا فى كلّ وجه ، ووضعنا السيوف فيهم حيث شئنا ، وجعلت أطلب الأكابر من الأوس والخزرج قتلة الأحيّة ، فلا أرى أحدا ، هربوا لما كان حلّب ناقة حتى تداعت الأنصار بينها ، فأثبلت فخالطونا ونحن فرسان ، فصبرنا لهم ، وصبروا لنا ، وبذلوا أنفسهم حتى عقرنا فرسى ، وترجلت ، فقتلت منهم عشرة ؛ ولقيت من رجُل منهم الموت الناقع ، حتى وجدت ريح الدم ، وهو معانق ما يفارقنى ، حتى أحذته الرماح من كل ناحية ، فوقع ، فالحمد لله الذى أحكمهم بيدى ، ولم يهنّى بأيديهم .

قال الواقدىّ : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحُد : مَنْ له علم بذكوان ابن عبد قيس ؟ فقال علىّ عليـه السلام : أنا رأيت يارسولَ الله فارسا يركض فى أثره حتى لحقه ، وهو يقول : لا نجوتُ إنْ نجوتَ ! فحمل عليه فرسه وذكوان راحل ، فضربه وهو يقول : خذها وأنا ابن علاج ! فقتله ، فهويت إلى الفارس ، فضربت رجله بالسيف ، حتى قطعتها من نصف الفخذ ، ثم طرحته عن فرسه فذفّفت عليه ، وإذا هو أبو الحكم بن أخنس بن شريق بن علاج بن عمرو بن وهب الثقفىّ .

قال الواقدىّ : وقال علىّ عليه السلام لما كان يوم أحُد وجال الناس تلك الجولة : أقبل أميّة بن أبى حذيفة بن المغيرة ، وهو دارع متقنّع فى الحديد مايرى منه إلّا عيناه ، وهو يقول : يوم بيوم بدر ! فيعرض له رجل من المسلمين ، فقتله أميّة ، قال على عليه السلام : وأصمد له ، فأضربه بالسّيف على هامته ، وعليه بيضة بمغفر ، فما سبقى ،

وكنت رجلا قصيرا ، ويضرب بى بسيفه ، فأتقى بالدّرقة ، فلحج سيفه ، فأضربه ، وكان درعه مشمّرة ، فأقطع رجليه ، فوقع وجعل يعالج سيفه ، حتى خلّصه من الدّرقة ، وجعل يناوشنى وهو تارك حتى نظرت إلى فتق تحت إبطه فاحششّ فيه بالسيف ، فمال فمات ، وانصرفت .

قال الواقدىّ : وفى يوم أحُد اتبعنى رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، فقال : « أنا ابن العواتك » ، وقال أيضا :

أنا النبىّ لا كذبْ أنا ابن عبد المطّلبْ

قال الواقدىّ : بينا عمر بن الخطاب يومئذ فى رهطٍ من المسلمين قعود ، مرّ بهم أنس بن النّضْر بن ضمضم عمّ أنس بن مالك ، فقال : ما يقعدكم ؟ قالوا : قُتِل رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم قام ، فحالد بسيفه حتى قتِل ، فقال عمر بن الخطّاب : إنّى لأرجو أن يبعثه الله أمّةً وحده يوم القيامة ، ووُجِد به سبعون ضربةً فى وجهه ما عرف حتى عرفته أخته .

قال الواقدىّ : وقالوا : إنّ مالك بن الدُّخشم مرّ على حارثة بن زيد بن زهير يومئذ وهو قاعد ، وفى حُشْوَتِه [1] ثلاثة عشر جرحا كلّها قد خلصت إلى مقتل ، فقال له مالك : أما علمتَ أنّ محمدا قد قتل ! قال حارثة : فإن كان محمّد قد قتِل ، فإن الله حىٌّ لا يُقتل ولا يموت ؟ وإنّ محمّدا قد بلّغ رسالة ربّه ، فاذهب أنت فقاتل عن دينك .

قال : ومرّ مالك بن الدخشم أيضا على سَعْد بن الربيع ، وبه اثنا عشر جرحا كلّها قد خلصت إلى مقتل ، فقال : أعلمت أن محمدا قد قتل ! فقال سعد : أشهد أنّ محمدا قد بلّغ رسالة ربّه ، فقاتِلْ أنت عن دينك ، فإنّ الله حىٌّ لا يموت .

---

(١) حشوة البطن : أمعاؤه .

قال محمد بن إسحاق: وحدّثنى محمّد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصعة المازنى، أخو بنى النّجّار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ: مَنْ رجلٌ ينظر ما فعل سعد بن الربيع، أفى الأحياء هو أم فى الأموت؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر يا رسول الله ما فعل، فنظر فوجده جريحاً فى القَتْلى، وبه رَمَق، فقال له: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنى أن أنظر فى الأحياء أنت أم فى الأموات، قال: أنا فى الأموات فأبلغْ رسولَ الله صلى الله عليه وآله منّى السلام، وقل له: إن سعد بن الرّبيع يقول: جزاك الله خيراً عنّا ماجزى نبيًّا عن أمّته وأبلغ قومَك السلام عنّى، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: لا عذرَ لكم عند الله أن يخلُص إلى نبيّكم ومنكم عين تطرُف، قال: فلم أبرح عنده حتى مات، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: اللهمّ ارضَ عن سعد بن الربيع.

قال الواقدىّ: وحدّثنى عبد الله بن عمر، عن الحارث بن الفُضَيل الخطمىّ، قال: أقبل ثابت بن الدّحداحة يومئذ والمسلمون أوزاع، قد سقط فى أيديهم، فجعل يصيح: يا معشرَ الأنصار، إلىّ إلىّ أنا ثابت بن الدحداحة! إن كان محمد قد قُتِل، فإنّ الله حىّ لا يموت! قاتلوا عن دينكم، فإنّ الله مظهركم وناصركم؛ فنهض إليه نفر من الأنصار، فجعل يحمل بمَنْ معه من المسلمين، وقد وقفت لهم كتيبة خَشْناء[1] فيها رؤساؤهم: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبى جهل، وضرار بن الخطاب، وجعلوا يناوشونهم، ثم حمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فطعنه، فأنفذه فوقع ميتا، وقتل مَنْ كان معه من الأنصار، فيقال: إن هؤلاء آخر من قتل من المسلمين فى ذلك اليوم.

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى يذكر يوم أُحُد:

ألا ذرفتْ من مُقْلتيك دُمُوعُ ... وقد بان فى حبل الشَّبَاب قطوعُ[2]

---

(١) كتيبة خشناء: كثيرة السلاح

(٢) سيرة ابن هشام ٣: ١٠٤ – ١٠٦، وفيه: «بالدمن حبل الشباب»

وشطّ بمَنْ تهوَى المزارُ وفرّقتْ ... نوى الحيّ دارٌ بالحبيب فَحُوعُ

وليس لما ولّى على ذى صَبَابة[1] ... وإن طال تَدرافُ الدموع رجوعُ

فدعْ ذا ولكن هنْ أتى أمّ مِسْحَلٍ ... أحاديثُ قومى والحديث يشيعُ ا

ونُحْنا حُرُداً إلى أهـــل يَثْرِبٍ ... عَلاجيج فيها صامرٌ و نديع[2]

عشيّة مِرْنا من كَداء يقودُها ... صَرورُ الأعادى للصديق قَموع[3]

يشدّ عليها كلّ رحب كأنّهـــا ... عَذِيرُ نصوح الحاجبين قَبيعُ[4]

فلمّا رأونا حاطتْهم مهـــابة ... وحامرهم رعبٌ هنـــاك قطيعُ

فودّوا لو انّ الأرض يشقّ ظهرُها ... بهم ، وصَمورُ القوم ثمّ حَرُوع

وقد عرّستْ بعضٌ كلّ وميضها ... طريقٌ وشيكٌ فى الأباء سريع[5]

بأيمانها تعلو بهـــا كلّ هامة ... وفيهم سمام للعـــــدوّ ذريعُ

معادين قبلى الأوس عاسه بيثرب ... صميم ولـــــم فوقهنّ وقوعُ

ومرّ بنو النجّار فى كلّ بقعة ... يثورُ بهم من وقعهنّ عجيـــعُ

ولولا علوّ الشعب عادَرْن حمرّ ... ولكن علا والسهوبَ سُرُوعُ[6]

كما عادَرَتْ فى الكرّ حمرَ وبرةٍ ... وفى صدرِه عاصى السِّنان وقيعُ[7]

وقال ابن الزّبعرى أيضا من قصيدة مشهورة ، وهى :

---

(١) ابن هشام : « على ذى حرارة » .

(٢) حنين العرس ، إذ قدمها وأبركها . والحرد : جمع أحرد ، وهو المسن من كل شىء . والعلاجيج : الطوال الحسان ، واحدها علجوج . وانظر ابن هشام .

(٣) ابن هشام : « سرنا فى لهام » . (٤) القبيع : الماء البارد للعدو

(٥) الوميض : الصوء . والأباء : جمع أباءة ، وهى أجمة القصب

(٦) الشعب : الطريق فى الجبل . والسهوب : الأرض المستوية ، والسروع : مائل إلى الحمرة

(٧) شاة كل شىء : حده ، ووقم : حدد

يا غرابَ البين أسمعتَ فقُلْ ... إنما تندب أمراً قد فعلْ (١)

إنّ للخير وللشرّ مدًى ... وسواء قبر مثرٍ ومُقِلّ (٢)

كلّ خير ونعيم زائل ... وبنات الدهر يلعبن بكلّ

أبلغا حسّانَ عنّي آية ... فقريض الشعر يشفي ذا الغُلَلْ

كم ترى بالجسر من جمجمة ... وأكفّاً قد أُرِبّت ورجِلْ (٣)

وسرابيلَ حسانٍ شُقّقت ... عن كُماةٍ غُودِرُوا في المنزَلْ (٤)

كم قتلنا من كريمٍ سيّدٍ ... ماجدِ الجدّين مقدامٍ بَطَلْ

صادق النجدة قرم بارع ... نسير مُنْطاطٍ لدى وقع الأسَلْ (٥)

قل للهراس من ساكنه ... من كراديس وهامٍ كالحجَلْ (٦)

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسَلْ

حين خطّت لقماء بركتها ... واستحرّ القتل في عبد الأشَلّ (٧)

ثم خفّوا عند ذاكم رقصاً ... رقص حفّان يعدو في الجبلْ (٨)

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٩٦ ـ ٩٨ ، ورواية :

إنما تنطق شيئاً قد فعلْ

(٢) ابن هشام : * وكلا ذلك وجه وقبلْ *

(٣) ابن هشام : « باجر » ، أي جبل ، وأرب : قطعت

(٤) المنزل : موضع النزال

(٥) رواية ابن هشام :

* غير ملتاثٍ لدى وقع الأسَلْ *

(٦) الهراس : ماء بجبل أحد ، والكراديس جمع كردوسة ، وهي جماعة الخيل ، والحجل : طائر في حجم الحمام ، ورواية ابن هشام :

* بين أقحافٍ وهامٍ كالحجَلْ *

(٧) البركة : الصدر ، واستحر القتل : اشتد ، وعبد الأشل : أراد عبد الأشهل ، فحذف الهاء

(٨) الرقص : ضرب من المشي السريع ، وحفان : صغار النعام

فقتلنا الضعف من سادتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا ألوم النفس إلا أننا لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم تبرد الغيظ ويشفين الغلل (١)

قلت : كثيرٌ من الناس يعتقدون أن هذا البيت ليزيد بن معاوية ، وهو قوله : « ليت أشياخى » ، وقال مَنْ أكره التصريح باسمه : هذا البيت ليزيد ، فقلت : له إنما قاله يزيدُ متمثّلا لما حُمِل إليه رأس الحسين عليه السلام ، وهو لابن الزِّبعرى ، فلم تسكن نفسه إلى ذلك ، حتى أوضحته له ، فقلت : ألا تراه يقول : « جزع الخزرج من وقع الأسل » ، والحسين عليه السلام لم تحارب عنه الخزرج ، وكان يليق أن يقول : « جزع بنى هاشم من وقع الأسل » ؛ فقال بعض من كان حاضرا : لعله قاله فى يوم الحرّة ! فقلت : المنقول أنه أنشده لما حمل إليه رأسُ الحسين عليه السلام ؛ والمقول أنه شعر ابن الزِّبعرى ، ولا يجوز أن يترك المنقول إلى ماليس بمنقول .

وعلى ذكر هذا الشعر فإنى حضرت وأنا غلام بالنظامية ببغداد فى بيت عبد القادر ابن داود الواسطى المعروف بالمحبّ ، خازن دار الكتب بها وعنده فى البيت باتكين الرومى الذى ولى إربل أخيرا وعنده أيضاً جعفر بن مكّى الحاجب ، فجرى ذكر يوم أحُد وشعرُ ابن الزبعرى هذا وغيره ، وأنّ المسلمين اعتصموا بالجبل ، فأصعدوا فيه ، وإن الليل حال أيضا بين المشركين وبينهم ، فأنشدا ابن مكى بيتين لأبى تمام متمثلا .

لولا الظلام وقلّة علقوا بها باتت رقابهم بغير قِلال (٢)

---

(١) رواية ابن هشام :

* عَدَلًا تَعْدِلُهُمْ بَعْدَ نَهَلْ *

(٢) ديوانه ٣ : ١٣٩ ، من قصيدة يمدح فيها المعتصم ، ويذكر فتح المرمية . وقلة الجبل : أعلاه ، وجمعه قلل وقلال .

فليشكروا جُنحَ الظلام وذِرْوَداً فهمُ لذِرْوَدَ والظلامُ مُوالي[1]

فقال ياسكين : لاتقل هذا ؛ ولكن قل: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] ، وكان ياسكين مسلما ، وكان جعفر سامحه الله مغموصاً عليه فى دينه .

﴿ تم الجزء الرابع عشر من شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد

ويليه الجزء الخامس عشر ﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) ذرود بكسرا وله وسكون ثانية وفتح الواو وآخره دال مهملة : اسم جبل .
(٢) سورة آل عمران ١٥٢

فهرس الموضوعات

باب الكتب والرسائل

صفحة

١ ـ من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة
إلى البصرة ـ ٦

أخبار على عند مسيره إلى البصرة ورسله إلى أهل الكوفة ٨ ـ ٢١

فصل فى نسب عائشة وأخبارها ٢١ ـ ٢٥

٢ ـ ومن كتاب له عليه السلام بعد فتح البصرة ٢٦

٣ ـ من كتاب له عليه السلام لشريح بن الحارث قاضيه ٢٧ ، ٢٨

نسب شريح وذكر بعض أخباره ٢٨ ، ٢٩

٤ ـ من كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه ٣٢

٥ ـ من كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس وهو عامل أذربيجان ٣٣

٦ ـ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ـ ٣٥

جرير بن عبد الله البجلى عند معاوية ٣٨ ـ ٤٠

٧ ـ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا ٤١ ـ ٤٤

٨ ـ من كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلى لما أرسله
إلى معاوية ـ ٤٥

٩ ـ ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا ٤٧

إجلاب قريش على بنى هاشم وحصرهم فى الشعب ٥٢ ـ ٦٤

	صفحة
القول فى المؤمنين والكافرين من بنى هاشم	٦٤، ٦٥
اختلاف الرأى فى إيمان أبى طالب	٦٥–٨٤
قصة غزوة بدر	٨٤–١٥٧
القول فى نزول الملائكة يوم بدر ومحاربتها للمشركين	١٥٧–١٦٤
القول فيما جرى فى الغنيمة والأسارى بعد هزيمة قريش ورجوعها إلى مكة	١٦٥–١٩٩
القول فى تفصيل أسماء أسارى بدر ومن أسرهم	١٩٩–٢٠٥
القول فى المطعمين فى بدر من المشركين	٢٠٥–٢٠٧
القول فيمن استشهد من المسلمين ببدر	٢٠٧، ٢٠٨
القول فيمن قتل ببدر من المشركين وأسماء قاتليهم	٢٠٨–٢١٢
القول فيمن شهد بدرا من المسلمين	٢١٢، ٢١٣
قصة غزوة أحد	٢١٣–٢٨١

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى